١٤



وزارة الثقافة
مهرجان القاهرة الدولى
للمسرح التجريبى

نصوص من المسرح الألمانى

مسرحيتان

- قصاصات
- أسنان اثنتان وثلاثون

تأليف : جونتر جراس

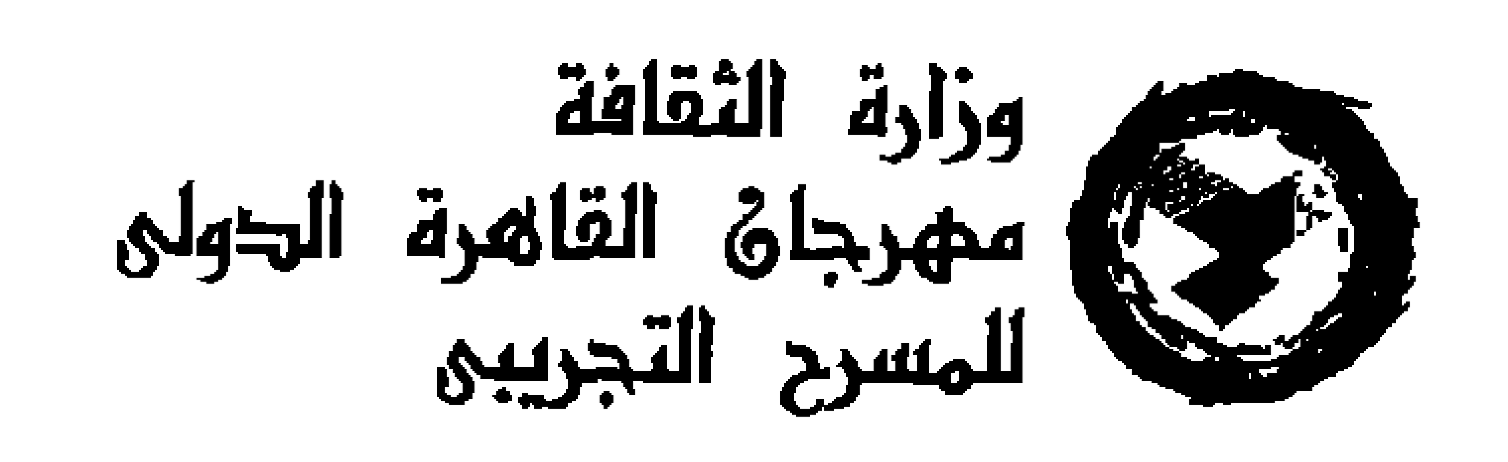
ترجمة وتقديم : د. فوزية على حسن
مركز اللغات والترجمة - أكاديمية الفنون

مراجعة : أ.د. باهر الجوهرى

إهـــــــداء ٢٠٠٨

السيدة / نعم الباز

جمهورية مصر العربية



نصوص من المسرح الألمانى

- قصاصات
- أسنان اثنتان وثلاثون

تأليف : جونتر جراس
ترجمة وتقديم : د. فوزية على السيد حسن
مركز اللغات والترجمة - أكاديمية الفنون
مراجعة : أ.د. باهر الجوهرى

تصميم وتنفيذ: آمال صفوت الألفى
مطابع المجلس الأعلى للآثار

رقم الإيداع ١٤٦٤٩/٢٠٠٢
I.S.B.N.
977-305-308-3
مطابع المجلس الأعلى للآثار

ترجم هذا الكتاب عن الأصل الألمانى :

Günter Grass
Theaterspiele

Göttingen Steidl

1994

مسرحيتان :

١- مسرحية : قصاصات *Stoffreste*

٢- مسرحية : أسنان اثنتان وثلاثون

Zweiunddreißig Zähne

كلمة وزير الثقافة

لم تكن القضية عندى، منذ أن طرحت فكرة هذا المهرجان، أن أدعو إلى تأسيس مدرسة أو منهج فى المسرح؛ لكنْ كان الهدف أن نمارس حريتنا فى التفكير، ليس على منهج سابق، بل أن نتحرر فى نظرتنا، ونتطلع إلى كل ما حدث ويحدث من تغيير، ونعيد النظر فيما لدينا، ونتعامل معه باعتباره قابلاً التجاوز فى مواجهة الخبرة الحية التى مفتاحها الحرية، حيث الأصل فى الفنون أنها دائمًا لا تقبل القول الفصل.

ولا شك أن التواصل مع العالم من حولنا يوسع مساحات الفهم، ويفضى إلى فتح مجالات جديدة، ليس بالمعنى الذى تنتهى فيه علاقاتنا مع ما لدينا؛ بل بالاشتغال على ما نتعرفه بوصفه إمكانات يمكن استثمارها فى تجديد مفاهيم خلاقة تسهم فى فتح تطور ممكن فيما لدينا من صيغ مسرحية، حيث إن الأصالة وحدها هى التى تميز الإبداع الحقيقى، وليس التقليد أو النقل. فالعروض التجريبية التى تأتينا من الخارج تطرح- بالدرجة الأولى- مساحات معرفية، نتعامل معها بمنطقها وظروفها، ولا ننظر إليها من حيث هى انتهاك لتصوراتنا، كما أنه ليس علينا أن نطبقها؛ بل نخضعها لتساؤلاتنا كممارسة

للفاعلية والاشتباك والتداخل والفحص، وهو ما يحتاج دائمًا إلى فكر مفتوح لا ينفى ، وإنما يبادر إلى الحوار، ويطرح عنه حمولات وهم امتلاك مفتاح الطريق إلى كل ما هو صحيح.

لقد تمتع مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى باهتمام الأسرة المسرحية العالمية، والذى تطور على مدى دوراته الأربع عشرة، ليس فقط بالإقبال المتزايد على المشاركة فيه فحسب؛ بل أيضًا بما يكتب عنه فى دوريات المسرح الدولية، والتى أحس عند مطالعتها بالاعتزاز، إذ استطاعت فكرة التواصل ورفض الجمود أن تمتلك القدرة على الانتشار، وتثبت أن رهان فتح مجالات جديدة للمعارف والرؤى والابتكار، يتطلب خلق بيئة تنتج ممارسة الحرية من دون هواجس خوف.

فاروق حسنى

كلمة رئيس المهرجان

هل يمكن أن نختزل كل الوجوه المتعددة للتجربة الإبداعية الحية ونردها إلى صورة وحيدة؟ كان هذا هو السؤال الذى حاول مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى أن يثيره، والسؤال يحمل- ضمنًا- الدفع بقيمة حرية الإبداع فى مواجهة أصحاب نزعة التعسف، التى تفرض ضرورة الانتظام فى إطار صورة وحيدة للإبداع المسرحى، وترفض ما دونها، فى حين أن مسار المسرح على طول تاريخه يشهد بتجاوزه لمفاهيم مسرحية سابقة، كما يؤكد مقاومته لهذه النزعة المغلقة التى تعارض التغيير، وتقف فى وجه الزمن ، بل تحاول تعميم قيمها على محاولات الإبداع المغايرة لها كفئة مسيطرة، حتى بدت وظيفة المسرح وكأنها قد تحددت فى محاولة مقاومة التغيير والتجدد، وهو ما يخالف شحذه ودعمه للإنسان لممارسة تجدد رؤاه وإعادة النظر .

تقنع تيار مقاومة الحرية بكثير من الأقنعة، وكان أهمها الاتهام بأن اتجاهات التجريب تنحو إلى هجر اللغة، فى حين أن المسرح فن لغوى. صحيح أن المسرح فن لغوي، لكنه أيضًا لا يرد إلى اللغة وحدها، إضافة إلى أنه ليست كل اتجاهات التجريب تتأسس على إقامة التواصل المسرحى من دون استخدام اللغة، كما أننا أيضًا لا نسعى، ولا نحتفى بتوجه قد حددناه فى شكل معين من أشكال الإبداع،

إذ المشاركة فى عروض المهرجان من كل دول العالم، مشاركة مفتوحة على حرية أصحابها ، وإلا غايرنا وناقضنا دعوتنا فى أننا نفتح مساحة الإبداع الخلاق بتعدداتها وتنوعاتها إلى جانب كل الصيغ المتوارثة، ولا نحجر على إبداع بعينه، الأمر الذى يجسد إيماننا بأنه ليس هناك من طبيعة للإبداع ثابتة تتعالى على تجارب المبدعين وتئد تصوراتهم واكتشافاتهم . ولما اتسع الاتهام جموحًا ، بأن هدفنا من الاحتفاء بالتجريب يستهدف إسكات وخرس أداة التعبير عن الحرية وهى اللغة، والعمل على اضمحلالها؛ عندئذ غدا الاتهام يفسح المجال إلى كل أشكال التسميم، بحيث تبدو الدعوة إلى الحرية ضد الحرية ، ومن هنا كان الحرص- رفعًا للالتباس- أن نوسع حقل المعارف بالقراءات، وذلك بالترجمة عن لغات متعددة لمراجع وكتب ودراسات وبحوث مختلفة عن كل تيارات التجريب فى العالم، فى شكل إصدارات تتوازى مع العروض المسرحية المقدمة خلال المهرجان، بل تبقى بعدها فى أيدى كل أصحاب هوى المعرفة لتجيب عن الأسئلة، وقد يتوصل بها حتى مَنْ هم فى وهم عزلتهم تصوروا أن آفاق الإبداع توقفت عند القوالب الثابتة، وأيضًا ليدركوا أن دعوتهم المتشدقة بالحرية دعوة زائفة، وأنها لن تقوض دعوة الحرية. أما مساحة المعرفة الثانية فهى الندوة الرئيسة، التى يشارك فيها فى كل دورة مجموعة مختارة من شخصيات الحركة المسرحية من مبدعين منظرين من كل دول العالم، يتناقشون فيؤكدون من خلال مناقشاتهم على الملأ تنوع تيارات التجريب وتلونها بعوامل اجتماعية وحضارية فى استجاباتها للمتغيرات والمستجدات ، وأيضًا قابليتها لتبادل الخبرات وتواصلها.

وفى هذه الدورة تناقش الندوة الرئيسة قضية ساخنة بدأت إرهاصاتها عندما طرح المؤرخ "فيرناند بروديل"، فى أثناء حديثه عن انتقال الحضارات، مقولته "إن مَنْ يُعطِ يَسُدْ"، ثم جاء "صموئيل هنتنجتون" ليعلن أن على امتداد خطوط التقسيم الثقافية التى تفصل الحضارات سيكون الصدام، وبأن "الحرب العالمية القادمة إن حدثت ستكون حربًا بين الحضارات". وتبحث الندوة القضية من خلال سياق سؤالها عن المسرح فى العالم: تواصل هو أم صراع، أملاً فى أن يتحمل المبدعون دورهم فى نزع فتيل الطرح الفكرى الحارق، الذى يُحِل الصدام محل تمايز الثقافات وتفاعلاتها وتواصلها.

يستكمل مهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى بهذه الدورة أربعة عشر عامًا، تبنى على تاريخ هذه الدورات قضية الحرية ورفض الاستتباع، ليزدهر التفاعل والتواصل بين صناع الوجدان فى كل الحضارات. ولن نمل تكرار الشكر لصاحب فكرة هذا المهرجان وراعيه، الفنان فاروق حسنى وزير الثقافة، الذى وسع لنا بهذا المهرجان دائرة الرؤية والتفاعل، ولحظات التأمل التى تمتد إلى ليالٍ عدة نعبر فيها قارات الأرض مع تجارب مبدعيها أنصار قضية الحق، قضية الحرية التى لا تتجزأ إبداعًا وحياة.

أ.د. فوزى فهمى

مقدمة

بقلم / د. فوزية على السيد حسن

ما أجمل أن يجتهد الإنسان ويبدع ويتميز ، حتى يحظى بثمرة كده وتعبه ! وهى الجائزة، التى لها عديد من الاعتبارات ، أولها اعتراف الناس له باجتهاده وتميزه وثانيها اقتناعه بأن الله لا يضيع أجر العاملين .

وهناك عديد من الجوائز الأدبية التى لا تعد ولا تحصى . وتُعد جائزة نوبل من أشهر الجوائز التى تميز بها القرن العشرون، وحظى بها عديد من المتميزين، فى عديد من المجالات ، كالطب، والآداب، والسلام ، منذ إنشائها عام ١٩٠١، وحتى يومنا هذا . ولقد حظى عديد من الأدباء الألمان بهذه الجائزة، وكان آخرهم هو الأديب الألمانى جونتر جراس عام ١٩٩٩ .

ولد الأديب جونتر جراس فى السادس عشر من شهر أكتوبر من عام ألف وتسعمائة وسبعة وعشرين ، فى مدينة دانسيك (فى بولندا حاليا) . التحق بالمدرسة الابتدائية منذ عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٤ ، وبعد ذلك المدرسة الثانوية . وعندما انتهى من التعليم الأساسى ، اشترك فى الحرب العالمية الثانية، بوصفه واحدًا من شباب الجيش الهتلرى . ثم التحق بسلاح الدفاع الجوى كمساعد. ثم بعدها بعام واحد جُند وخاض الحرب فى عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين، وفى أثناء اشتراكه فى الحرب جُرح فى مدينة كوتبوس ببولندا، وأسرته القوات الأمريكية فى إقليم بارفاريا بألمانيا . وهناك مكث فى الأسر حتى عام ١٩٤٦ . وبعد أن أُفرج عنه ، عمل أجيرًا فى المزارع .

ومنذ عام ١٩٤٧ ، ولمدة عام ، تعلم فن النحت فى مدينة دوسلدورف ثم بدأ دراسة فن النحت والرسم فى أكاديمية الفنون بالمدينة نفسها ، وكان ذلك منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٢ .

قام جونتر جراس بكثير من الرحلات إلى كل من إيطاليا وفرنسا فى عام ١٩٥٠ .كما أنه التحق بعد ذلك بمعهد الفنون التشكيلية فى مدينة برلين، واستكمل دراسة فن الرسم والنحت هناك ، وكان ذلك منذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٥٦ . وبالإضافة إلى إبداعاته فى مجال الحفر والنحت ، بدأ جونتر جراس يبدع أيضا فى المجال الأدبى .

ومنذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٥٩، استقر به المقام فى مدينة الفنون والثقافة؛ فى باريس . وأقام جونتر جراس فى هذه الفترة كثيرًا من المعارض الفنية فى كل من مدينتى برلين وشتوتجارت ، ولكنه عندما استقر به المقام فى باريس قلَّت إبداعاته الفنية بعض الشىء فى حين أن أرصدته فى المجال الأدبى قد ازدادت . وفى هذه الفترة ظهر له عديد من الأعمال الأدبية . ومنذ ذلك الحين وهو يتميز، بالإضافة إلى الموهبة الفنية ، بموهبته الأدبية ، التى تنوعت بين الرواية، والمسرحية، والدواوين الشعرية ، والقصة القصيرة ، وأيضا المقالات ، والخطب السياسية .

وفى عام ١٩٥٥ ، انضم جونتر جراس إلى جماعة " ٤٧ الأدبية " ، وأصبح عضوًا بارزًا فيها . وبعدها بعام واحد، أى فى عام ١٩٥٦ ، ظهر له أول ديوان شعرى بعنوان: " مميزات الدجاج " " *Die Vorzüge der Windhühner* " ، وبرزت موهبته الفنية جنبًا إلى جنب فى هذا الديوان ؛ لأنه هو الذى صمم بنفسه رسومات هذا الديوان .

إضافة إلى ذلك، شرع فى كتابة أول رواية له بعنوان : " الطبلة الصفيح " ، " *Die Blechtrommel* "، وكتب الجزء الأكبر من هذه الرواية فى أثناء إقامته فى باريس . وفى عام ١٩٥٨ سافر إلى بولندا لكى يجرى التنقيب عن بعض الحقائق اللازمة لإتمام الرواية . وفى العام نفسه ، وعندما قرأ أجزاء من الرواية على جماعة ٤٧ الأدبية، حاز جائزتها ، ونُشرت الرواية فى عام ١٩٥٩، وأحدثت ردود فعل عالمية، واتسعت شهرة جونتر جراس الأدبية . وكانت هذه الرواية هى الجزء الأول من ثلاثية كتبها .

أما الجزء الثانى، فكان رواية بعنوان " قط وفأر " ، " *Katz und Maus* " ونشرت فى عام ١٩٦١ .

والجزء الثالث كان بعنوان " سنوات الكلاب " ، "*Hundejahre*" والتى نشرت عام ١٩٦٣ .

ومنذ عام ١٩٦٠ ، استقر جونتر جراس فى مدينة برلين، وتنقل بعدها فى المدن الألمانية وصار من أهم كتَّاب الأدب الألمانى فى العصر الحديث ، ويحتل مكانة أدبية رفيعة بين معاصريه .

ويتميز أسلوب جونتر جراس بالاستفزاز والمشاغبة والجرأة فى معالجة مشكلات ألمانيا، وربما مشكلات أوروبا أيضا . ويعتقد جونتر جراس أن من الواجب عليه أن يتناول مشكلات بلاده بطريقة استفزازية ؛ حتى يمكنه من خلال ذلك الأسلوب أن يفتح الآذان الصماء ، لأنه اشتهر بأنه يتمسك بمعايير أخلاقية رفيعة ومثالية ، خاصة على المستوى السياسى، ويشعر بالمسئولية تجاه جمهور

القراء، سواء من الناحية الأدبية أو من الناحية السياسية . ومنذ ذلك الحين يعده النقاد كاتبًا وأديبًا غير مريح . وهو فى حقيقة الأمر كذلك ، فلا جدال فى هذه الحقيقة. ولكن هل هذا معناه أن نتجاهله أو ننساه ، أو نبتعد عن مناقشة إبداعاته الأدبية ، فلا نحاول أن نضع لها المقاييس النقدية الموضوعية ؟

علينا أن نحاول فهم المنطلق الصحيح الذى يتحرك فى إطاره جونتر جراس، ويدفعه إلى هذه الكتابة الاستفزازية وغير المريحة بالنسبة إلى بعض النقاد . وإذا اتفقنا على أن جونتر جراس كاتب مستفز، فلن يكون ذلك من تلقاء نفسه ، بل إن هذا الاستفزاز نتج من خلال الخبرة التى أحرزها فى المجالين السياسى والاجتماعى . وهذه الخبرة هى التى شكّلت أسلوبه الأدبى ، وأثرت فيه، ودفعته إلى أن يقاوم حتى آخر قطرة حبر فى قلمه ... ومازال الاستفزاز قائمًا ... وربما مازالت الآذان صماء ...

ولم تتوقف نشاطات جونتر جراس فقط على مستوى الإبداعات الأدبية ، أو الفنية ، كالنقش ، والحفر ، والنحت؛ بل اتسعت نشاطاته لتمتد إلى الحياة السياسية . ومنذ عام ١٩٨٢ حتى عام ١٩٩٢ ، كان عضوًا بارزًا فى حزب (*SPD*)، أى الحزب الديمقراطى الاشتراكى ، واشترك فى كثير من الحملات الانتخابية لمجلس النواب، مؤيدًا لهذا الحزب . لذلك كتب عديدًا من المقالات السياسية، والخطب ، التى كان يلقيها أثناء الحملات الانتخابية ، التى كان يدعم فيها هذا الحزب .

ويُعرف عن جونتر جراس أنه نشأ فى بولندا ، وقضى فيها فترة صباه . ولقد أثرت هذه النشأة فى أسلوبه الأدبى . كما أنه نشأ فى ظروف سياسية تؤمن

بالسياسة المثالية لألمانيا ، لأنه عاصر الحركة النازية فى أوج عظمتها ، وربما كان يفتخر بأنه واحد من شباب الجيل الهتلرى، كما أنه عايش الحرب العالمية الثانية، وعاش الدمار الذى لحق بألمانيا ، وكذلك فترة الخمسينيات والستينيات التى حاولت ألمانيا أن تبنى فيها دولة جديدة من الأنقاض المتبقية من الحرب العالمية الثانية ، وأن تنشىء دولة ذات أفكار مثالية فى مجالات الحياة المختلفة كلها ، حتى على المستوى السياسى، الذى تأثر به كثيرًا جونتر جراس فى كتاباته . وظهرت الأحزاب، وتعددت السياسات ، وتميز كل حزب بسياسة مختلفة عن الأحزاب الأخرى ، ولكن جونتر جراس كان يُظهر الود دائمًا لحزب (*SPD*) ويتعاطف معه، مع ذلك فقد صار يتعاطف مع حزب الخضر فى الفترة الأخيرة ، كما خطب أخيرًا وقال: " الصوت الأول سوف أعطيه لحزبى (*SPD*)، أما الصوت الثانى فسيكون لحزب الخضر" .

ولقد اكتسب جونتر جراس خبرة كبيرة من جراء تفاعله مع الحياة السياسية بشكل لم يسبقه إليه كاتب قبله . لذلك عُرف عنه أنه السياسى الأديب، أو الأديب السياسى ؛ لأنه تميز على أقرانه من الكتّاب باقتحام المجال السياسى ، والمشاركة فيه بكل ما أوتى من قوة. لذلك ، فعند التعريف بجونتر جراس ، لا يعرف بعضهم تقديمه بوصفه السياسى الأديب أم بوصفه الأديب السياسى ، فكل صفة من هاتين الصفتين تلتصق به التصاقًا وثيقًا . لذلك فهو يعد أهم شخصية أدبية دخلت المجال السياسى، وله الكلمة المسموعة، والرأى الحر الجرىء، الذى يؤثر فى الرأى العام فى ألمانيا .

من أجل ذلك قام بجولات عديدة فى عام ١٩٦٥ ، وعام ١٩٦٩ ، وعام ١٩٧٢، لتأييد الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى معاركه الانتخابية ، من دون أن يكون عضواً فيه .

ويتميز جونتر جراس على المستوى السياسى بوضوح الرؤية؛ لأنه شارك فى الأحداث السياسية كلها التى تمت فى ألمانيا . فنجده يثنى على ما يجده جيدًا، ويندد بما يعتقد أنه ليس فى مصلحة العامة . ونذكر على سبيل المثال موقفه من الأحكام العرفية ، التى قام بشن حملة ضدها. وكذلك ندد بسياسة ألمانيا التى وجدها متطرفة إلى حد بعيد فى بعض الأحيان .كما أنه شن حملة واسعة النطاق ضد ما يسمى " بتقييد الحريات فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية" ، أى ألمانيا الشرقية سابقاً .

وهناك عديد من الأعمال الأدبية التى كُتبت فى ظل هذه الأحداث ، ويظهر فيها تعاطف جونتر جراس وتأييده لاتجاه سياسى بعينه . نذكر على سبيل المثال، مسرحية : " الحرافيش يتمردون ويعلنون العصيان " " *Die Plebejer proben den Aufstand* " ، والتى عرضت – أول مرة – فى برلين عام ١٩٦٦ .

وكذلك تظهر اتجاهاته السياسية فى مسرحية : " ما قبل " ، " *Davor* " والتى عرضت – أول مرة – فى برلين عام ١٩٦٩ ، وأيضا رواية : " تخدير موضعى " ، " *Örtlich betäubt* " ١٩٦٩ . وهذه الأعمال جميعها تحمل مشاحنات سياسية ، ووجهة نظر الأديب فى الأحداث السياسية اليومية التى يشارك فيها ، وبالتالى يظهر أثرها فى هذه الأعمال الأدبية .

وهناك أيضا عديد من القصائد التى كتبها جونتر جراس عام ١٩٦٧ بعنوان : " استجواب "، " *Ausgefragt* ". هذه الأعمال كلها تُظهر قدر اشتراك الأديب فى معترك الحياة السياسية وتأثره بها كأديب ، وكذلك رد فعله عليها كسياسى محنك له رأى واضح جلى ، وأيضا كإنسان وكمواطن عادى يعيش الأحداث اليومية التى تحدث فى بلاده . ونراه يحفر بقلمه الكلمات ، رغبة منه فى تغيير جزء من الأوضاع الخاطئة، مثلما يحفر بإزميله فى الخشب والحجر والنحاس ليصنع التماثيل .

وفى رواية متعددة المستويات بعنوان : " من يوميات قوقعة "، " *Aus dem Tagebuch einer Schnecke* " والتى نُشرت عام ١٩٧٢ ، يتناول جونتر جراس تجربته فى المعركة الانتخابية عام ١٩٦٩ . وكان لهذه التجربة أثر كبير أدى إلى أن ينسحب جونتر جراس من الحياة السياسية لبعض الوقت ، ويطلق لقلمه ولازميله العنان لكى يعبرا عن تلك الفترة السابقة ، التى تعَّرف فيها الحياة السياسية من منظور مختلف غير الذى كان يعتقده .

وفى عام ١٩٧٧ يفاجئ جمهور قرائه برواية : " سمكة موسى " ، " *Der Butt* " التى زادت من شهرته على المستويين الأدبى والعالمى .

وفى عام ١٩٨٠ يظهر كتاب له بعنوان : " ولادات الرأس أو الألمان ينقرضون " ، " *Kopfgeburten oder die Deutschen Sterben aus* "، والتى هُوجمت بعنف من قبل النقاد فى ألمانيا ، ذلك لأن جونتر جراس يحفر بسن قلمه فوق مواضع الألم المزمنة والأليمة فى حياة الشعب الألمانى . ولقد تعود النقاد أن يكون رد فعلهم مماثلاً فى العنف والهجوم، بالدرجة نفسها التى يكتب بها جونتر جراس .

فما كان منه إلا أن اعتزل الحياة السياسية لعدة سنوات، وتفرغ لنحت التماثيل في منزله .

والواضح أن الله قد وهبه هاتين الخاصيتين؛ لكي يهرب من إحداهما إلى الأخرى كلما اشتدت عليه الظروف ، وشدد النقاد قبضتهم عليه . فدائما ما يهرب إلى النحت والحفر ليفرغ طاقة الغيظ التي يشعر بها من هجوم النقاد عليه.

وفي عام ١٩٨٦ ينتهي من كتابة رواية بعنوان : " الفأرة " ، " *Die Rättin* " ، والتي تتنبأ بالانتحار الجماعي للبشرية وفناء العالم .

ويوالي جونتر جراس كتاباته عن إفساد البشر للطبيعة، ويتألم من التلوث البيئي الذي يدمر كل شيء . وفي كتابه : " الخشب الميت . رثاء " ، " *Totes Holz . Ein Nachruf* " ، الذي نُشر عام ١٩٩٠ ، يتناول جونتر جراس موضوع التلوث البيئ الذي يؤثر حتى في الغابات ويحولها إلى خشب ميت . فهذا الكتاب يمثل نعيًا أو رثًاء للطبيعة التي يعبث بها الإنسان ويدمرها .

وتتسع دائرة نشاطات جونتر جراس لأنه يشارك في الأحداث الدولية المهمة ويسعى إلى المؤتمرات الدولية واللقاءات التي تحدث على نطاق واسع لمناقشة قضايا عالمية . في ديسمبر من عام ١٩٨١ ، يشترك في المؤتمر العالمي الذي انعقد بعنوان : " السلام " ، والذي عُقد في ألمانيا الشرقية . وفي هذا الصدد يكتب جونتر جراس عديدًا من المقالات السياسية التي يتناول فيها قضية السلام، ويهاجم كلاً من سياسة " البنتاجون " و " الكريملن " .

كما أنه كان من الذين وقعّوا على (المانيفستو) الذى وقّع عليه الأدباء والعلماء والفنانون جميعهم ، لأنهم يرفضون سياسة إرساء القواعد العسكرية الصاروخية لصواريخ " البرشنج ٢ " فى ألمانيا . وقد ندد جونتر جراس بموقف ألمانيا من هذا الحدث ، وطالب هو ومجموعة من الأدباء بإيقاف هذه العملية ، وناشد الشباب فى رفض أداء فترة التجنيد بأداء الخدمة العسكرية . وقد أدى موقف جونتر جراس إلى إحداث بلبلة على مستوى الرأى العام فى ألمانيا .

وفى الفترة منذ عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٣ ، يكتب جونتر جراس عديدًا من المقالات السياسة تحت عنوان : " تعلم كيف تكون المقاومة "، " *Widerstand lernen* " ، وسجل فيها أهم الأحداث السياسية فى تاريخ ألمانيا فى العصر الحديث .

وفى أغسطس من عام ١٩٨٦، يرغب جونتر جراس فى الفرار من أوروبا والابتعاد عنها لبعض الوقت ، فيقرر السفر إلى القارة الآسيوية ، ويستقر به المقام فى مدينة "كالكتا" بالهند . وفى كتابه " إظهار اللسان "، " *Zunge zeigen* " فى عام ١٩٨٨ ، نجده يسجل تجاربه كلها التى جمعها على مدى الشهور الستة التى قضاها هناك ، ويتيقن من أن تلك الشعوب – التى تعدها أوروبا شعوبًا بدائية – تتميز – فى الحقيقة – بالفطنة والحكمة –، ويمكن للشعوب الأوروبية كلها أن تتعلم منها الكثير . ويصرح بذلك بقوله إنه يشعر بالخجل من موقف أوروبا من تلك الشعوب التى يمكن أن نتعلم منها كثيرًا .

كذلك كان جونتر جراس من الأدباء الذين كان لهم رأى واضح فى الوحدة التى تمت بين ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية ، ويعتقد أنها لم تكن وحدة بالمفهوم المقصود؛ ولكنها كانت أشبه بابتلاع كائن كبير لكائن أصغر منه ، أو انصهار جزء فى جزء أكبر منه . لذلك لم يكن جونتر جراس من المؤيدين لهذه الوحدة أو المرحبين بها ، تلك الوحدة التى صفق لها العالم أجمع من دون أن يعرف أدق التفاصيل عما يحدث لألمانيا الشرقية فى ذلك الوقت تحت مسمى " الوحدة الألمانية " .

وفى هذا الصدد كتب جونتر جراس عديدًا من المقالات النقدية المناهضة للوحدة ، نذكر منها على سبيل المثال : "التعويضات الألمانية "، " *Deutscher Lastenausgleich* " .

وكان يدعو فى هذه المقالات إلى بناء أمة ألمانية على المستوى الثقافى، تتميز بالتنوع الثقافى الذى حدث من جراء انشطار الأمة الواحدة إلى شطرين ، ونما كل منهما بعيدًا عن الآخر بثقافة مختلفة أثرت فيه تأثيرًا بالغًا.

لذلك يعتقد جونتر جراس أنه لابد من أن يلتئم هذا الجرح بشكل طبيعى أولا وليس قسرًا وأن تنمو الأمتان فى وئام ، وأن يحدث التواصل والتمازج تدريجيا وبشكل طبيعى، وليس بشكل يحمل طابع عقد الصفقات .

وفى قصة له بعنوان : " نقيق الضفادع أو نذير شؤم "، " *Unkenrufe* " ، التى نشرت فى عام ١٩٩٢، يحاول استكمال ما بدأه فى روايته الأولى : " الطبلة الصفيح"، وهو لم الشمل ، والتسامح الذى يبدو من وجهة نظره محالاً أو صعب

المنال ، ليس فقط بالنسبة إلى ألمانيا الشرقية ، ولكن أيضا بالنسبة إلى الدول الشرقية المتجاورة مع ألمانيا الغربية . فهل يمكن لكل هذه الدول التى جُرحت ودمرت أن تنسى الجرح ، وأن تعفو عن عدو الأمس ، وأن تصفح وتمد يدها بالسلام ؟ هذا ما يدور بخلد الكاتب جونتر جراس عندما يكتب المقالات التى يتناول فيها -ومن وجهة نظر أدبية وسياسية وتاريخية فى الوقت ذاته - الأحداث التاريخية التى غيرت الخريطة الأوروبية فى القرن العشرين .

وفى مايو من عام ١٩٩٢، يبدو وكأنه شعر بالتعب والسأم من هجوم النقاد عليه والتصدى لكل ما يقوله ، فقرر أن يعتزل الحياة السياسية ، وأدلى بحديث لمجلة : " *Der Spiegel* " ، فحواه أنه لا يرغب فى المشاركة فى الحياة السياسية فى ألمانيا أبدًا .

لذلك استقال فى يناير من عام ١٩٩٣ من الحزب الديمقراطى الاشتراكى (*SPD*) ، الذى طالما أيده وأصبح عضوًا بارزًا فيه ، نتيجة للسياسة التى أقرها هذا الحزب ضد اللاجئين السياسيين .

وفى عام ١٩٩٥ كان قد انتهى من رواية بعنوان : " حقل واسع ممتد "، " *Ein weites Feld* " ، ويسجل فيها حقبة مهمة فى تاريخ الشعب الألمانى ، وتدور أحداثها فى مدينة برلين فى الفترة بين إقامة حائط برلين حتى سقوطه وقيام الوحدة .

ويتناول فيها البطل الأحداث السياسية ، ويسترجع ذكرياته عن الفترة التى سبقت ذلك أى منذ قيام ثورة مارس ١٨٤٨ ، تلك الفترة التى مازالت تلقى بظلالها على ألمانيا المعاصرة .

فى هذه الرواية يحكى البطل من الذاكرة كل ما يعرفه عن هذه الحقبة التاريخية المهمة فى تاريخ ألمانيا ، ويتعرض تحديدًا للوحدة الألمانية وكيف تمت ، والظروف التى تمت فيها ولم تُستقبل هذه الرواية استقبالاً حسنًا من قبل النقاد، وتهكم أكبر نقاد ألمانيا ، وهو" مارسيل رايش راينكه؟ " عليها فى مجلة "*Der Spiegel*" بشكل جارح ومستفز ، مما أدى بصاحب هذه الرواية إلى أن يسحب مقالة له كان مقررًا لها أن تُنشر فى عدد أغسطس بهذه المجلة . ومع هجوم هذا الناقد على جونتر جراس بشكل عنيف ، إلا أن هذا النقد كان له أثره الإيجابى على مبيعات هذه الرواية ، فلقد تضاعفت أعداد النسخ المباعة منها ، إلى درجة أنه قد تم طبع أكثر من خمس طبعات بعد صدورها بثلاثة أسابيع فقط.

وبقدر النقد اللاذع الذى تلقاه فى ألمانيا ، كانت برقيات التهانى والترحيب تأتيه من الأوساط الأدبية العالمية كلها.

وفى يوم ١٩ أبريل من عام ١٩٩٦ ، حاز جونتر جراس بهذه الرواية جائزة "*Sonnig*" الدانماركية . وعندما توجه إلى كوبنهاجن لكى يتسلم الجائزة خطب قائلا :

" لقد وجه النقاد إلىَّ ضربة فى
الصميم، كان الغرض منها الإبادة
الكاملة لى ولأعمالى . وأشعر من
جراء ذلك بالجرح العميق فى
حقيقة الأمر ".

وفى فبراير من عام ١٩٩٧ دُعى جونتر جراس إلى مسرح " دريسدن " لإحياء أمسيات هناك تحت عنوان : " حوارات فى دريسدن " ، " *Dresdner Gespräche* " ، وكانت تتضمن عديدًا من الحوارات والآراء حول تقييم الوحدة الألمانية بعد مرور حوالى عشر سنوات .

وفى هذا اللقاء وصل جونتر جراس إلى قمة المزج بين السياسى والأدبى فى تلك الخطب التى ألقاها وتناول فيها - من وجهة نظره - الانهيار الذى يحدث فى جمهورية ألمانيا الاتحادية فى الوقت الحاضر . كما أنه حذر من ظهور طبقة من الإقطاعيين ، تلك التى سوف تؤدى إلى ارتداد ألمانيا مرة أخرى إلى النظام الإقطاعى، الذى يميز بين الطبقات داخل المجتمع ، ويعتقد أنه ربما يكون الحل والطريق إلى معالجتها هو طريق الديمقراطية الاشتراكية .

والجدير بالذكر أن جونتر جراس لم يتفاعل مع الحركات السياسية داخل بلاده فقط ، ولكنه تعاطف مع حقوق الإنسان فى كل ركن من أرجاء العالم . ففى مارس من عام ١٩٩٨ قام مع مجموعة من الأدباء والصحفيين بمناشدة الحكومة الإيرانية الإفراج عن أحد الادباء الإيرانيين، والسماح له بالسفر إلى ألمانيا ، حيث إن زوجته وأبناءه يعيشون فى مدينة برلين . ومن الذين وقعّوا على هذه الوثيقة نجد : الكاتبة الألمانية المستشرقة آنّا مارى شيمل، والأديبة كريستا ڤولف، والأديب ڤالتر ينس ، والأديب جونتر ڤالراف ، والأديب مارتن ڤالتسر، وكذلك الأديب جونتر جراس . وقد سبق أن ذكرنا أن جونتر جراس فنان ونحات متميز، وسياسى محنك، وأديب مبدع . ولقد تنوع فى كتاباته الأدبية بين

الروايةوالدواوين الشعرية، وكذلك المقالات النقدية والسياسية والأدبية، وكذلك الخطب السياسية ، وأيضا فى القصة القصيرة .

- الرواية عند جونتر جراس

ومن أهم الروايات التى كتبها جونتر جراس نذكر :

١- " الطبلة الصفيح "، " *Die Blechtrommel* "

ونُشرت فى عام ١٩٥٩ ، وقد تحولت إلى فيلم سينمائى من إخراج فولكر شلون دورف، وحاز جائزة أوسكار الأمريكية ، التى تعطى للأفلام الأجنبية. وهذه الرواية هى الجزء الأول من ثلاثية .

٢- الجزء الثانى من هذه الثلاثية ، وهو رواية بعنوان :

" قط فأر " ، " *Katz und Maus* "،

ونُشرت عام ١٩٦١ .

٣- الجزء الثالث من هذه الثلاثية، وهو رواية بعنوان :

" سنوات الكلاب " ، " *Hundejahre* "،

ونُشرت عام ١٩٦٣ .

٤- رواية " تخدير موضعى " ، " *Örtlich betäubt* "

ونُشرت عام ١٩٦٩ .

٥- ورواية : " من يوميات قوقعة " ،

" *Aus dem Tagebuch einer Schnecke* " ونُشرت عام ١٩٧٢ .

٦- رواية : " سمكة موسى " ، " *Der Butt* " ، وقد كتبها فى عام ١٩٧٧ .

٧- رواية : " اللقاء فى تلجته " ، " *Das Treffen in Telgte* " ، وقد كتبها فى عام ١٩٧٩ .

٨- رواية : " ولادات الرأس أو الألمان ينقرضون " ،

" *Kopfgeburten oder die Deutschen sterben aus* " ، وقد كتبها عام ١٩٨٠ .

٩- رواية، " الفأرة "، " *Die Rättin* " ، وقد كتبها عام ١٩٨٦.

١٠- رواية " إظهار اللسان " ، " *Zunge zeigen* "

ويحكى فيها عن تجربته فى القارة الآسيوية، وتحديدًا فى مدينة "كالكتا" بالهند وقد كتبها فى عام ١٩٨٨ .

١١- رواية "نقيق الضفادع . نذير شؤم " ، "*Unkenrufe* " ، وقد كتبها عام ١٩٩٢ .

١٢- رواية " حقل واسع ممتد " ، " *Ein weites Feld* "، وقد كتبها فى عام ١٩٩٥، وقد سجل فيها معارضته للوحدة الألمانية .

١٢- وآخر ماكتب جونتر جراس حتى الآن كان رواية بعنوان :" القرن الذى أعيش فيه، " *Mein Jahrhundert* " ، وكان ذلك فى عام ١٩٩٩ .

- الدواوين الشعرية

كما أنه كتب عديدًا من الدوايون الشعرية، نذكر منها على سبيل المثال :

١- ديوان شعرى بعنوان : "استجواب" ، " *Ausgefragt* " وكان ذلك فى عام ١٩٦٧ .

٢- ديوان آخر بعنوان : " توقير ماريا " ، " *Marienzuehren* " وكان ذلك فى عام ١٩٧٣ .

٣- وكذلك الديوان الشعرى الذى كتبه عام ١٩٧٤ بعنوان : "اختبار فى الحب "، " *Liebe geprüft* " .

والجدير بالذكر أن جونتر جراس يقوم بنفسه بتصميم الرسومات لدواوينه الشعرية .

- المقالات السياسية

ومن المقالات السياسية، والخطب الانتخابية، نذكر على سبيل المثال :

١- مجموعة من المقالات التى كتبها فى أثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٦٥ تحت عنوان : " إننى اتغنى بك أيتها الديمقراطية " ، " *Dich singe ich, Demokratie* ".

٢- ومـجـمـوعـة أخـرى من المقـالات تحت عنوان : " مـا بعـد البـديهـيـة "، " *Über das Selbstverständliche* " ، وكان ذلك عام ١٩٦٨ .

٣- ومـجـمـوعـة أخرى من المقالات السيـاسـيـة بعنوان : " المواطن وصـوته "، " *Der Bürger und seine Stimme* " ، وكان ذلك عام ١٩٧٤ .

٤- مـجـمـوعـة أخـرى بعنوان : " خطبـة الخسـائر " " *Rede vom Verlust* "، وكان ذلك عام ١٩٩٢ .

٥- عدة مـقـالات تحت عنوان : "دولة نوفـمبـر " ، " *November Land* "، وقد كتبها فى عام ١٩٩٢ .

٦- مجمـوعة من الخطابات المتبـادلة بينه وبين بعض الأدبـاء فى اليـابان تحت عنوان : " بالأمس قبل خمسين عاماً "، " *Gestern vor 50 Jahren* ".

- المسرح عند جونتر جراس

وفى مجال المسرح أبدع جونتر جراس عديدًا من المسرحيات التى نذكر منها :

١-مسـرحيـة بعنوان " الركوب ذهـابًا وإيابًا"، " *Beritten hin und zurück,* " ونُشرت فى عام ١٩٥٤ وعُرضت - أول مرة - على مسرح هامبورج، فى يناير من عام ١٩٥٩ .

٢- مسـرحيـة بعنوان : "فـيـضـان " ، " *Hochwasser* "، والتى نُشـرت فى عام ١٩٥٥، وعُرضت على خشبة المسرح فى فرانكفورت أول مرة، فى يناير من عام ١٩٥٧ .

٣- مسرحية " أيها العم "، " *Onkel , Onkel* " ، ونُشرت فى عام ١٩٥٦، وعُرضت على خشبة المسرح فى مدينة كولونيا، فى مارس من عام ١٩٥٨ .

٤- مسرحية بعنوان : " عشر دقائق حتى نصل إلى بوفالو " ، " *Noch zehn Minuten bis Buffalo* " ، ونُشرت فى عام ١٩٥٧، وعُرضت أول مرة على خشبة المسرح فى مدينة بوخوم فى فبراير من عام ١٩٥٩ .

٥- مسرحية بعنوان : " الطباخون الأشرار "، " *Die bösen Köche* "، والتى نُشرت فى عام ١٩٥٧ ، وعُرضت أول مرة على مسرح شيللر فى مدينة برلين، فى فبراير من عام ١٩٦١ .

٦- مسرحية بعنوان :"قصاصات"، " *Stoffreste* "، و التى نُشرت عام ١٩٥٧ ، وعُرضت أول مرة على مسرح المدينة فى مدينة إيسن، وكان ذلك فى فبراير من عام ١٩٥٩ .

٧- مسرحية بعنوان : " أسنان "، " *Zweiunddreißig Zähne* "والتى نشرت عام ١٩٥٨، وتحولت إلى مسلسل إذاعى بُث على الهواء من إذاعة جنوب ألمانيا فى عام ١٩٥٩ .

٨- مسرحية بعنوان :" الفم الذهبى " ، " *Gold Mäulchen* " ، ونُشرت فى عام ١٩٦٣ ، وتحولت إلى مسلسل إذاعى فى العام نفسه . وعُرضت على خشبة المسرح أول مرة فى يوليو من عام ١٩٦٤ على مسرح ميونخ .

٩- مسرحية أخرى بعنوان: " بوم أو الماضى يطير معنا " ، " *Poum oder die Vergangenheit fliegt mit* "، ونُشرت فى عام ١٩٦٥ .

١٠- وكذلك مسرحية بعنوان :"الحرافيش يجربون التمرد والعصيان " ، " *Die Plebejer proben den Aufstand* "، ونُشرت فى عام ١٩٦٦، وعُرضت أول مرة على مسرح شيللر فى مدينة برلين، فى يناير من عام ١٩٦٦ .

١١- مسرحية أخرى بعنوان :" ما قبل" ، " *Davor* "، و نُشرت فى مجلة "المسرح اليوم " بألمانيا فى أبريل من عام ١٩٦٩، وعُرضت أول مرة على مسرح شيللر فى مدينة برلين، فى فبراير من عام ١٩٦٩ .

١٢- مسرحية بعنوان : " خيال المآتة "، " *Die Vogelscheuche* "، والتى نُشرت فى عام ١٩٧٠، وعُرضت أول مرة فى برلين فى العام نفسه أيضا .

١٣- مسرحية بعنوان : " تأمل الخرسانة "، " *Beton besichtigen* "، وهى عبارة عن جزء من رواية " الطبلة الصفيح "، لذلك فهى لا تعد مسرحية بالمفهوم الصحيح .

ولقد اخترنا من بين هذه المسرحيات مسرحيتين بعنوان : "قصاصات " ، " *Stoffreste* " والأخرى بعنوان:" أسنان اثنتان وثلاثون " ، " *Zweiunddreißig Zähne* " .

وربما يرجع اختيار هاتين المسرحيتين إلى أسباب عدة، نذكر منها أنهما كُتبتا فى فترة متقاربة، أى بين عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ومع ذلك نجد أنهما تختلفان فى الشكل والمضمون .

فالمسرحية الأولى التى قمنا بترجمتها تحت عنوان : " قصاصات "، تعد قصيرة، ولا تعد بأية حال من الأحوال مسرحية بالمفهوم المعروف للمسرحية . ولكنها أقرب ما يكون إلى تعليمات أو إرشادات للمخرج عندما يفكر أحد المخرجين فى تنفيذ هذه الفكرة على خشبة المسرح . وبذلك نحاول أن نبين مدى الثراء الذى يتمتع به عالم جونتر جراس الفكرى والأدبى .

وهذه المسرحية- إذا جاز لنا أن نطلق عليها لفظ مسرحية - تتناول لقاء بين فتاتين ورجل يمتلك محل أقمشة . تدور بينهم المشاحنات التى تُعرض أيضا بشكل فنى وراقٍ، وهى عبارة عن حركات باليه . والواضح أن بائع الأقمشة هذا يعيش حلمًا ما فى خياله، وعندما يرى الفتاتين يعتقد أن الحلم قد تحقق، ولكنه يكتشف فى النهاية أنه أضغاث أحلام . ويحاول فى حقيقة الأمر جذب إحدى الفتاتين بشتى الطرق، ولكنه يخفق فى تحقيق الحلم .

ويستخدم جونتر جراس الوسائل الفنية كلها، ليرمز إلى فكرة بعينها، هى فكرة الصراع بين المرأة والرجل . ويستخدم كذلك الألوان كدلالات ورموز لإبراز العلاقة بينهما .

ويحاول جونتر جراس فى هذه المسرحية أن يؤكد فكرة أن المرأة هى التى تنتصر دائما ، كما يفعل فى أعماله كلها - فهى تستخدم جميع الوسائل الممكنة لديها . وفى النهاية يفشل البائع فى تحقيق مآربه، ولا يستطيع حتى الحفاظ على حياته، أو على ممتلكاته التى تتمثل فى محل الأقمشة .

وفى يؤول المحل لحشرة العث، وتصبح الوريث الوحيد له ، ونجد هنا أيضا الفكرة نفسها التى كثيرًا ما يؤكدها جونتر جراس فى أعماله كلها، وهى غلبة الحشرات والحيوانات على بنى الإنسان . فالحشرات هى التى سوف تسيطر على الكون فى يوم ما، وتنتصر على بنى الإنسان وتبيده . فهذه الفكرة قديمة عند جونتر جراس، وليس كما يتصور بعضهم أنها نشأت فقط فى رواية " الفأرة " التى كتبها عام ١٩٨٦ ، ويتكلم فيها عن الإبادة الجماعية للجنس البشرى . وهنا يجعل جونتر جراس الفأرة هى البطلة الحقيقية التى تحكى سيرة الجنس البشرى بعد أن يفنى . ويعتقد جونتر جراس فى هذه الرواية أن الطبيعة تعاقب الإنسان على جهله ، وعلى تعامله الفظ معها .

فمن خلال التلوث البيئي تُدمر الطبيعة ، التى تدمر- بدورها - الجنس البشرى عقابًا له. ذلك الموقف نفسه نجده فى نهاية مسرحية " قصاصات "، عندما تهرب الفتاتان ويموت صاحب محل الأقمشة، وتنهض العُث الأربع ، وتقف فوق المنضدة لترقص رقصة النصر والنشوة، وتحتفل بسيطرتها على المحل وعلى ما فيه من كنوز ثمينة .

ووسط هذا الجو المشحون داخل محل الأقمشة نجد أن المسرحية تلعب أيضا خارج المحل؛ ويتمثل ذلك فى الجمهور، الذى يقف خارجًا ويتابع سير الأحداث داخل المحل بين الفتاتين وبائع الأقمشة . ويلقى جونتر جراس الضوء على علاقة الشرطة بالشعب؛ وذلك من خلال الشرطى الذى يقبض على بائع الأقمشة.

كـذلك يلقى جـونتـر جـراس الضـوء- ولو من بعيـد- على عـلاقـة الأزواج بالزوجات الواقفات خارج المحل لمشاهدة ما يحدث داخل المحل .

أما المسرحية الثانيـة التى قمنا بترجمتها وهى بعنوان " أسنان "، فقد كُتبت فى فترة قريبة ولاحقة لتلك الفترة التى كُتبت فيها مسرحية " قصاصات " . ومسرحية " أسنان " من المسرح التقليدى فى الشكل، ولكنها فى المضمون تعد من المسرح العبثى ؛ لأن موضوعها غاية فى الغرابة . ويمكن أن نفهم لماذا يطلق بعض النقاد على مسرح جونتر جراس المسرح العبثى .

موضوع هذه المسرحية يتلخص فى الحياة الجماعية التى يشترك فيها كل من بوروكـر المدرس فى مـدرسـة ثانوية، وأرنست فـريبـوزى الشـاب والذى يعـمل فى مدرسة ابتدائية، وخطيبته فرانسيسكا ،وصـديقتها سوزى . وُيصِرُّ بوروكر على تنفيذ فكرة الحياة الجماعية ؛ عن طريق استخدام الجميع لفرشاة أسنان واحدة. ومن البديهى أن فرشاة الأسنان من الأشياء الخاصة التى لا يستخدمها أثنان مهما تكن درجة القرابة بينهما . ولكن السيد بوروكر يُصرُّ على موقفه، ويطارد أرنست فريبوزى أينما ذهب ، حتى عندما يذهب لقضاء الأجازة فى سويسرا، أوحتى عندما يفكر فى الهجرة إلى أمريكا على ظهر مركب فى عرض المحيط .

يحاول بوروكـر أن يقنع فـرانسـيـسكا خطيبـة فـريبـوزى بهـذه الفكرة، وتقـوم بتنفيـذها على الفـور . وكـذلك تقـوم بدورها بإقنـاع سوزى . ويسـتـخـدم الجـمـيع فرشاة الأسنان نفسها .

وعند تأمل هذه المسرحية يعن لنا أن نتساءل: ترى ما المقصود بهذا الرمز أو المدلول، وأى شىء يقصد جونتر جراس عندما يجعل أفراد مسرحيته جميعًا يستخدمون فرشاة الأسنان نفسها، تلك التى تعد من الأشياء الخاصة جدًا ؟

فى حقيقة الأمر، نعتقد أن جونتر جراس كتب هذه المسرحية فى أثناء انغماسه فى الحياة السياسية وتفاعله مع حزب (*SPD*) - الحزب الديمقراطى الاشتراكى- الذى كانت من أهم مبادئه فكرة الحياة الجماعية . وربما لاحظ جونتر جراس- الذى ربما يحمل أفكار فريبوزى- أن القائمين على هذا الحزب تسيطر عليهم الأفكار الغريبة، التى تتمثل فى السيطرة على كل شىء ، والتدخل فى كل شىء - وأنهم يفضلون الحياة الجماعية ، لذلك ضاق جونتر جراس ذراعًا ببعض هذه الأفكار المتطرفة، وتناول هذه الفكرة بشىء من السخرية والتهكم، وأيضًا المبالغة .

فيصرُّ بوروكر طوال الوقت على أن فرشاة أسنان واحدة تكفى الجميع ، ويقنع كلاً من فرانسيسكا وسوزى بوجهة نظره، فى حين أن أرنست فريبوزى يجد أنها فكرة عقيمة وغير قابلة للتنفيذ، ولا يمكن أن يقبلها، أو حتى يتصورها .

ولكنه فى النهاية يجد نفسه محاصرًا بتلك الأفكار التى يرددها بوروكر، ومن ورائه كل من فرانسيسكا وسوزى. ونجد أن فريبوزى يحاول الدفاع عن النفس بالتنازل عنها، أو بفكرة التنازل عن كل شىء والهجرة إلى أمريكا، ولكن الجميع يلحق به، فيفكر فى الانتحار ولا يستطيع . وفى نهاية الأمر يخضع لأمر الجماعة

ويقف كل من بوروكر وفرانسيسكا وسوزى فى جانب، ويقف فريبوزى وحيدًا على الجانب الآخر . ويتصارع فريبوزى مع نفسه ، التى تتمثل فى شخصية القرين . فالشخصية الرئيسة هنا، التى تتمثل فى شخصية أرنست فريبوزى، شخصية ليست لها أية خبرة فى الحياة ، وغير سوية، لذلك نجد أن فريبوزى ضعيف الشخصية، ويعانى التمزق الداخلى، ولا يستطيع أن يستقر على رأى؛ لأنه يعتقد أن الظروف الخارجية المتمثلة فى كل من بوروكر وفرانسيسكا وسوزى أقوى منه، وتجبره دائما على الخضوع لرأى الجماعة ، حتى وإن عارضه بشدة .

ويحدث الشقاق والصراع النفسى عند فريبوزى، ويثور على نفسه إلى درجة أنه يقذف بالقرين فى عرض البحر لتأكله الأسماك ، لأنه لا يستطيع التوحد مع النفس . وعندما يتخلص من القرين يعتقد أنه استراح من المعاناة النفسية والتمزق الداخلى ، ولكنه على العكس من ذلك، وكما قال له القرين – سوف يضعف أمام المجموعة، وسوف يمتثل لرأيها، ولن يستطيع المقاومة من دون وجود القرين معه .

من ناحية أخرى يتعرض جونتر جراس فى هذه المسرحية إلى الرأسمالية، ويتناول تلك الفترة التى يحاول فيها أصحاب رءوس الأموال الوصول إلى الثراء الفاحش من اللاشىء وبشتى الوسائل .

كما أن جونتر جراس يتعرض أيضا للنظام التعليمى فى تلك المرحلة فى ألمانيا . ومن خلال عرضه لكل من شخصيتى بوروكر و أرنست فريبوزى يمكننا أن

نستخلص أنه يرفض مساوئ التعليم فى تلك الحقبة . كذلك يتعرض جونتر جراس للعلاقة بين الرجل والمرأة ، أولاً من خلال أرنست فريبوزى وخطيبته فرانسيسكا، التى تحاول بشتى الطرق ابتزازه، وأن يخضع دائما لأوامرها. وفى النهاية تتركه وحيدًا وتتزوج بوروكر .

ومن ناحية أخرى يتعرض للعلاقة بين أرنست فريبوزى وخطيبته الثانية سوزى التى اختارها قلبه، وأحبها بشدة لرقتها غير المعهودة، والتى لم يجدها فى خطيبته السابقة فرانسيسكا . ولكن سوزى تتحول فجأة إلى أداة يحركها كل من بوروكر وفرانسيسكا ضده، لكى تجعله ينفذ لها كل ما ترغب، وتجبره على الدخول فى الحياة الجماعية والاقتناع بها .

وفى النهاية لا يستطيع أن يفعل أى شىء سوى أن يخضع لرأى الجماعة، فيستخدم فرشاة الأسنان نفسها التى استخدمها كل بوروكر وفرانسيسكا وسوزى.

فيغمض أرنست فريبوزى عينيه، وينظف أسنانه بالفرشاة نفسها، ويفعل ما يفعله الآخرون من دون أن يقتنع بما يفعلون، ولكن عليه أن يسير فى الركب إن شاء أو أبى، مادام هذا هو رأى الجماعة .

فوزية حسن

مسرحية : قصاصات *Stoffreste*

باليه من فصل واحد

الشخصيات حسب الظهور

- بائع الأقمشة
- فتاتان صغيرتان (توءم)
- شرطى
- أربع من حشرة العُث
- رف أو حامل للمقصّات
- زوجات وأزواج

المشهد عبارة عن محل (روبابيكيا) تباع فيه فضلات الأقمشة ، ومكتوب على جزء من واجهة المحل العبارات التالية : " قصاصات .. زهيدة الثمن ... قصاصات "

ومن خلال مدخل المحل الزجاجي ، يمكن رؤية المكان من الداخل . فى المنتصف توجد منضدة كبيرة فوقها عديد من الأقمشة المنقوشة ، وفى الحائط الخلفى توجد أرفف مزدحمة بالبالات الكبيرة والضخمة من الأقمشة . كما يُرى عديد من السلالم الخشبية . وبالقرب من المنضدة توجد مرآة كبيرة مثبتة على الحائط ، ويُرى أيضا الرف الذى توضع فوقه المقصات ، ويتدلى منه مقصان يبلغ طول الواحد منهما حوالى ٤٠سم . وفى الجهة الشمالية يُرى المدخل الخاص بصاحب المحل . أما فى الخلف فتوجد لوحة المفاتيح الكهربائية لإضاءة المحل .

١- يبدو المحل الآن خافت الإضاءة . ويتركز الضوء فقط على المنضدة الموجودة بالمنتصف ، وتتراكم فوقها عديد من بالات الأقمشة المختلفة ، تُرى بعض هذه القصاصات وهى تبدأ فى التحرك . ويتحرك أربع من العُث *، تظهر ثم تختفى وتظهر مرة أخرى بين هذه القصاصات . تتراقص العُث الأربع فوق المنضدة وتتجاذب ثوبًا من القماش الأبيض وتمزقه . وهى تعرض ما تلتهمه منه.

---

* العُثة : نوع من الحشرات ويُطلق عليه بالعامية العتة .

٢- يدخل صاحب المحل ويضىء الأنوار ، ويحاول مطاردة العث الأربع، ولكنه لا يستطيع الإمساك بها لأنها تختفى بين أطواء الثوب ، ولكن ترى تحركاتها وذبذباتها تحت القصاصات .

٣- رقصة بائع الأقمشة .

٤- تتقدم الفتاتان ، وترتدى كل واحدة منهما قبعة عريضة ، وتتمشيان أمام محل القماش جيئة وذهابًا ، إلى أن تلفت الموسيقى الصاخبة المنبعثة من داخل المحل نظريهما . ويشد انتباههما بائع الأقمشة وهو يرقص بمفرده .

٥- تدخل الفتاتان المحل ، ولكن سرعان ما يتحول نظرهما عن بائع الأقمشة، وتتجهان على الفور ببصريهما ناحية المنضدة ، وتتساقطان كالصقور فوق المنضدة ، وتجمعان القصاصات بشكل هيستيرى .

٦- يحاول البائع أن يلفت نظر الفتاتين دون جدوى ، ويحاول إغراء إحداهما بأن يسحب قصاصة من القصاصات الموجودة فوق المنضدة ذات اللون الأصفر . ينجح فى بدء الأمر بأن يلفت انتباههما ، ويراقص إحداهما، ولكنها سرعان ما تتحول عنه ولا تنظر إليه ، ولا تبدى أى اهتمام بالرقص معه. فى نهاية الأمر تخطف من يده القصاصة الصفراء . فيضطر إلى أن يسحب البائع قصاصة حمراء من بين القصاصات الموضوعة فوق المنضدة ، فى حين أن الفتاة ترقص مع قصاصة القماش الصفراء ، رقصا منفردًا وتنهى رقصها أمام المرآة .

٧- يحاول البائع إغراء الفتاة الأخرى بقصاصة القماش الحمراء وابعادها عن المنضدة... وفجأة تظهر الفتاة الأولى ذات القصاصة الصفراء ، وتتحرك أمام المرآة فى شكل دائرى ، وتلتف بالقصاصة الصفراء . أما الفتاة الثانية فتمسك بقصاصة القماش الحمراء التى يمدها إليها الراقص ، بائع الأقمشة. ويجذبها إليه، وهى تقترب منه حتى تقع فى قبضته. وفى اللحظة نفسها يسقط وإياها فوق الأرض ... ويبدو وكأنه حقق مآربه وتغلب عليها وانتصر ... فى لمح البصر تنهض الفتاة وكأن شيئًا لم يكن ... وتمسك بقصاصة القماش ، وتنظر إلى البائع الراقص الراقد الآن على الأرض ، ويبدو خائر القوى ، ويتدحرج على الأرض من شدة الألم وخيبة الأمل .

٨- تنهض الفتاة بالقصاصة الحمراء ، وتتحرك فى شكل دائرى حول المرآة، . وتقلدها الفتاة الأخرى ، وتفعل مثلها تمامًا بالقصاصة الصفراء . وتبدأ كل واحدة فيهما التحرك بمفردها من دون أن ترى الأخرى، وفجأة تغيران اتجاههما وترتطم إحداهما بالأخرى أمام المرآة . وتسقط الأقنعة، أى القصاصات الحمراء والصفراء . وفى اللحظة نفسها تدرك كل واحدة منهما أنها ترغب فى قصاصة الأخرى ... وتتصارع الفتاتان باستماتة حول القصاصتين الحمراء والصفراء .

٩- ينهض البائع من عثرته فى بطء وتراخ ، ويحاول الفصل بين الفتاتين ، وإدخال الهدوء على هذا الجو المشحون بالتوتر . فيقدم إلى الفتاتين مقاعد للجلوس ثم يقوم برقصة انفرادية رائعة ، كى يلفت بذلك انتباه الفتاتين مرة

أخرى ، إلا أنهما لا تلتفتان إليه ، ولا تعيرانه أدنى اهتمام ، وتكتشف واحدة منهما بالة قماش رائعة فوق أحد الأرفف كلاهما يسرعان إليها ، وتشيران بإصبعيهما إليها . وهنا يتوقف البائع الذى كان مندمجًا بشدة فى الرقص المنفرد، ويأخذ أحد السلالم الخشبية، ويصعد حيث بالات الأقمشة، ويقذف بها الواحدة تلو الأخرى فى غضب . وتنقضى الفتاتان عليها ... وفى نهاية المطاف يتوقف البائع فى حيرة ودهشة، وينزل الدرج وهو فى قمة اليأس والحيرة والغضب المستعر .

١٠- تنطفئ الأنوار، ويخيم الظلام على المحل . فيتجسد فى خيال البائع مشهد مجموعة من المقصات التى تشكل مجموعة من أعضاء فرقة باليه، ترقص حوله على أنغام موسيقية ساحرة، ويمسك كل عضو من أعضاء فرقة الباليه مقصًا ويقدمه إلى البائع . فى هذه اللحظة تُضاء الأنوار من جديد، ويتحرك الرف الموجود فوقه المقصات الحقيقية، ويقدم إليه مقصين . وبعد تردد، يمد البائع يده ليأخذ المقص ، فى حين أن الفتاتين تتحركان فى حركة تزداد سرعتها رويدًارويدًا، وهى حركات مكررة ومعادة . وهنا يسدد الراقص ضربة بطرفى المقص، الذى يستقر طرفاه فى وقت واحد فى عظام لوح كتفى كل من الفتاتين ، ويظهر هذا المشهد بالحركة البطيئة .

١١- وبعد لحظة واحدة من هذه الضربة، تقفز الفتاتان وكأن شيئًا لم يكن - وتصعد كل واحدة منهما فوق المنضدة وتتراقصان ، مع وجود طرفى المقص بين عظام لوحى كتفيهما ، ولكنهما تتحركان فى حركة سريعة ورشيقة

ومملوءة بالحماسة والحيوية - وترقصان فى نشوة وحبور متزايد. وهنا يتراجع البائع ويسقط عدة مرات على الأرض.

١٢- ينجذب من خارج المحل إلى صوت الموسيقى الصاخبة والمنبعثة من داخل المحل بعضُ المارة من الرجال والنساء . فيدخلون على الفور حيث ترقص الفتاتان فى عبث وجنون . يحاول الأزواج منع زوجاتهم من الدخول، ويجذب كل زوج زوجته ولكنهم لا يستطيعون ؛ لأن هناك ما يشبه القوة المغناطيسية التى تجذب هؤلاء الزوجات ، وتجعلهن يلتصقن بواجهة المحل ، ولا يستطعن المقاومة .

وفى هذه الأثناء يتعالى الصياح ، ويشتد الهرج والمرج ، فيلفت هذا المنظر انتباه الشرطى ، فيتقدم -على الفور - حيث يقف الجمهور الغفير . يحاول الشرطى - من دون أن يعرف ما الخبر - أن يفرق بين تلك الجموع من البشر، وتحاول النسوة - دون جدوى - أن تلفت نظره إلى ما يحدث داخل المحل .

١٣- يقفز الشرطى إلى داخل المحل، ويدرك ما يدور بداخله ، ويقبض على البائع . ويهم بسحبه إلى الخارج وهنا تسحب الفتاتان المقصين وترفعهما ، لكى تتمكن كل واحدة منهما من أن تقص الثوب الذى فى يدها، إن كان الأحمر أو الأصفر .

١٤- يحاول البائع أن ينبه الشرطى على أن القوانين التى تحدد العلاقة بين الفرد والشرطة ،وكذلك المجتمع ، قد تغيرت بالفعل . وهذا الكلام يؤثر فى

الشـرطى ، ويجـعله يطلق سـراح البـائع ، ويخـرج إلى حـيث تقف الزوجـات والأزواج . ثم يذهب الـشرطى إلى حـال سبـيله . وتنفض أيضـا الجمـوع التى كانت تقف أمام واجهة المحل .

١٥- بعد أن تفرغ الفتـاتان من قص القمـاش الأحمـر والأصفـر ، تضع كل واحـدة منهمـا المقص فى تلقـائية شـديدة فى مكانه، بين عظام لوحـى الكتفين . وتهم كل منهما بالخروج بالقماش المقصوص .

١٦- يريد البـائع منعهمـا من الخـروج ولكنه لا يستـطع الامسـاك إلا بالمقصـات . وتخرج الفتاتان . مسرورتين. ويقف البائع وحيدًا وفى يده المقصات .

تنطفىء الأنوار ... وتعـاود البـائع الأخيلة من جـديد، التى يتـخـيل فـيـهـا مـجـمـوعـة من المقـصـات الراقـصـة. كل شـىء يبـتـعـد عنه وينصـرف. تعـود الأضواء. ويريد إعادة المقصات فوق الأرفف الحـقيـقية. الأرفف تنزوى عنه وتفلت من يديه.

وبعد رقص يائس مع المقصات التى تبدو لاصـقـة بيديه ولم يعد هناك أحد يأخذها منه.

وعندئذ يطعن صدره بكلا المقصين، ويهوى فوق المنضدة التى عليها فضلات الأقمشـة ويلفظ أنفاسه الأخيـرة وهو يقـذف بآخـر قوة لديه يقـطع القمـاش عاليًا، إلى أن يرقد تحت القماش وقد دفنه تقريبًا .

(كثير من الأقمشة الحيّة تغطية) .

١٧- يتحرك الرف المخصص للمقصات، ويستقر فى المكان المخصص له ، فى حين أن العُثّ تنشط من جديد، وتتسلق الحوائط، إلى أن تصل إلى بالات الأقمشة الموجودة فوق الرفوف المخصصة لذلك .

من **الآن فصاعدًا** ، يكون المالك الحقيقى والفعلى لهذا المكان هو العُث .

الآن تدور العُث حول المنضدة التى عليها فضلات الأقمشة فى دوائر تصغر باستمرار، وأخيرًا تتقضى على المنضدة وتتقلب بين القصاصات .

مسرحية : أسنان اثنتان وثلاثون

Zweiunddreißig Zähne

مسرحية هزلية فى خمسة فصول

الشخصيات

- بوروكر

مدرس فى مدرسة ثانوية

Puruker, ein Studienrat

- فريبوزى

مدرس فى مدرسة ابتدائية

Friböse, ein Volkschullehrer

- فرانسيسكا

خطيبة فريبوزى

Franziska, Friböses Verlobte

- سوزى

صديقة فرانسيسكا

Susi, Franziskas Freundin

- السيدة تفنر

صاحبة الفندق

Frau Teffner, Hotelbesitzerin

سيدة	*Eine Lady*
ثلاثة أطفال	*Drei Kinder*
ثلاثة من الأصدقاء	*Die Drei Eidgenossen*

- شليبه

مسافر على السفينة

Schliepe,ein Schiffspassagier

- بيآتا

مرافقة شليبه

Beate, Schliepes Kompagnon

- مضيف على السفينة

Ein Schiffsteward

- القرين

الروح الأخرى لفريبوزى

Das Double, Friböses Zweite Seele

الفصل الأول

المنظر :

فندق يحمل اسم " الفصول الأربعة ". في الناحية الشمالية من الفندق يُرى بهو الفندق . ومن جهة اليمين تُرى حجرة في الدور السادس . ومن ينظر من نافذة هذه الحجرة يسعد برؤية بانوراما كاملة لأطراف المدينة كلها ، ويجد أن واجهة الفندق الداخلية مغطاة بالإعلانات والإشارات الدالة على عدد الطوابق الموجودة في الفندق.

في مكتب الاستقبال تجلس السيدة تفنر، صاحبة الفندق . وفي المقعد المقابل لها تجلس فرانسيسكا في ملابس رياضية .

وفي الحجرة العلوية، في الطابق السادس ، يرقد فريبوزي في سريره.

فرانسيسكا :

أود أن أعرف لماذا يسمى الفندق " بالفصول الأربعة " ؟

السيدة تفنر :

ليس من دون سبب ياعزيزتي . فقد تم بناؤه في الربيع . وفي الصيف أكلته النار والتهمت كل شيء فيه ، من أعلاه إلى أسفله . وفي الخريف أعيد بناؤه طبقا للخرائط التي استخدمت في بنائه أول مرة . وهاهو يعود في أبهى وضع له من جديد .

فرانسيسكا :

ولكن الفندق سُمى " بالفصول الأربعة " . فماذا عن الفصل الرابع ؟

السيدة تفنز :

هذا صحيح . ينقص فصل الشتاء . هذا الفصل نعيشه هنا بفضل المدفأة التي ينبعث منها الدفء حتى في فصل الصيف ، تلك المدفأة التي صممت خصيصًا لهذا الفندق، وصنعت بأيدي أفضل

الخبراء فى هذا المجال ... فبفضل هذه المدفأة نعيش الشتاء وكأننا فى فصل الربيع . وكذلك فى فصل الخريف نشعر بفضلها وكأننا فى فصل الصيف ، ومع ذلك فإننا نسعد بالإقامة فى هذا الفندق . وإن كان هناك مايثير شكوكك، فيمكنك الاستفسار من السيد فريبوزى ، إنه يقطن هنا منذ أكثر من ثلاثة أعوام ، أعتقد أنه خير من يستطيع توضيح اسم الفندق لك ؛ فهو يعرف سبب التسمية جيدًا .

فرانسيسكا :

فريبوزى !! (**تقفز من مكانها**) . ماذا يفعل فى حجرته إلى الآن ؟!

السيدة تفنر :

بالتأكيد ، إنه فى الطريق إلى هنا .. إنه يقطن فى الطابق السادس، وبين كل طابق وآخر ٢٤ درجة سلم .

فرانسيسكا :

ولكن موعد السينما قد حان . فسوف يبدأ الفيلم بعد قليل ، ولقد وصلنا المرة الماضية متأخرين جدًا عن الموعد .

السيدة تفنر :

ولكن لن يفوتكما الشئ الكثير ، فربما الإعلانات وبداية النشرة الأسبوعية .

فرانسيسكا :

ولكننى أبغض الاستعجال . ومنذ ثلاثة أسابيع أو أربعة، ونحن نفعل الشىء نفسه . فدائما ما نصل متأخرين ، بعد أن تكون قد قطعت أنفاسنا من اللهث والجرى، ومع ذلك فإننا نصل متأخرين جدًا .

السيدة تفنر :

ولكن السيد فريبوزى منهوك القوى ومتعب جدًا ؛ لأنه يعمل كثيرًا، ويحمل كثيرًا من المسئوليات التى يجب عليه إنجازها ، قبل أن يذهب لقضاء الأجازة ، لذلك ينبغى لك التروى والانتظار قليلاً؛ حتى يتخفف بعض الشىء من أعبائه . وربما يكون من الأفضل لو حصل على أجازته فى فصل الخريف ، ففى هذا الوقت سوف تستمتعين بالذهاب إلى السينما معه قبل الموعد، وتسعدين أيضا بمشاهدة الإعلانات .

فرانسيسكا :

ولكننى أتكلم عن هذه المرة . لقد دعوته اليوم لنذهب معًا إلى السينما ، (**تقذف بنفسها على المقعد**) .

السيدة تفنر :

ولكن ما خططكما بالنسبة إلى قضاء فصل الصيف ؟

فرانسيسكا :

سنذهب إلى مكان للاستجمام فى المنطقة الجبلية لاقليم فرانكن.

السيدة تفنر :

عظيم جدًا .. أكثر من رائع .

فرانسيسكا :

ولكننى لا أرغب فى الذهاب إلى هناك .

السيدة تفنر :

ولكن لماذا ... ما الأسباب ؟!

فرانسيسكا :

لا أعرف الأسباب على وجه التحديد .. ولكن ربما لأن السماء تمطر بصفة دائمة ... ويستمر هطول الأمطار ولا ينتهى .

السيدة تفنر :

إذًا لابد من التعاقد مع شركة تأمين . هل فعلتما ذلك ؟

فرانسيسكا :

لن يتأثر المطر ... ولن تنقص قطرات الماء ولن تزيد سواء أتعاقدنا مع شركة تأمين أم لم نتعاقد ... تُرى ماذا يفعل الآن ذلك الرجل فى حجرته ... لقد دعوته اليوم إلى الذهاب معى إلى السينما !

السيدة تفنر :

ولكن ، أية الأمكنة تفضلين عندما تذهبان إلى السينما ؟

فرانسيسكا :

مقاعد الدرجة الأولى الممتازة بالطبع .

السيدة تفنر :

رائع .

فريبوزى :

(يظهر وهو يقف أمام المرآة المعلقة فوق الحوض فى الحمام، ويغسل وجهه بالماء، ويخاطب نفسه قائلا :)

مازال لديك خمس دقائق يافريبوزى .أنت دائما منضبط فى مواعيدك .. يافريبوزى . إنك تتحدث مع نفسك الآن فى موقف معين . وذلك لأنك تنتمى لهؤلاء الناس ، هؤلاء الذين يحملون روحين فى صدريهما . هذا هو السبب الذى من أجله تشعر دائما بالصراعات النفسية والعنيفة .

فمن ناحية ، تعمل مدرسًا فى المدارس الابتدائية ... وتقرأ أعمال بيستالوزى *Pestalozzi* . أما الوجه الآخر الذى يرقد فى ثنايا روحك ؛ فهو ذلك الفريبوزى الذى يقرأ الروايات البوليسية . على

أية حال ، فإن هذا الفريبوزى ، وذلك الفريبوزى يقفان فى موقف لا يحسدان عليه . هذا الموقف يكمن فى لحظات الانتظار. فهما فى انتظار ... حالة انتظار دائم ومستمر ... وهناك من تجلس فى بهو الفندق وتنتظر . إن فرانسيسكا تنتظر خطيبيها الاثنين فريبوزى ... وأعتقد أنها تشعر بالاستياء من فكرة الانتظار . إننى أتخيلها وهى تقفز من مكانها فى عصبية، وتتمشى فى بهو الفندق، فى حالة هياج وثورة، جيئة وذهابًا ، وكأنها أسد ثائر ...

(فى بهو الفندق تُرى فرانسيسكا وهى تفعل ذلك) .

فرانسيسكا :

إنه يتعمد ذلك ... إنه يقصد إثارتى ... إننى على يقين من ذلك. **(توجه خطابها إلى السيدة تفنر)** : ترى هل لك رأى آخر ؟!

السيدة تفنر :

لا أعتقد ذلك أبدًا .. إن السيد فريبوزى لا يفكر فى مثل هذه الأشياء .

فرانسيسكا :

أعتقد أنك لا تعرفينه جيدًا .. ولا تعرفين نظريات التربية وعلم النفس مناهجهما التى يحاول تطبيقها . وهو فى جميع الأوقات مندمج فى مهنته ... والآن ... سأصعد إليه ..

السيدة تفنر :

أعتقد أنه الآن فى طريقه إليك .

فرانسيسكا :

عظيم ، فلنتقابل فى منتصف الطريق .. على الدرج .. والآن سأصعد إليه .

السيدة تفنر :

إذا كانت هذه هى رغبتك ، فلتتفضلى !

فرانسيسكا :

إننى لا أفعل ذلك عن طيب خاطر ، ولكن عندما يظل فى حجرته إلى الآن .. فما عساى أن أفعل ؟ ... **(تبدأ فى صعود الدرج)** .

السيدة تفنر :

حجرة رقم (٥١) .

فرانسيسكا :

رقم سهل ؛ ولذلك فمازلت أحتفظ به فى ذاكرتى منذ زمن بعيد .

فريبوزى :

(يسحب علبة من داخل الصوان ، ويخرج فرشاة أسنان جديدة ما زالت فى غلافها من داخلها) : هاهى . فرشاة جديدة ، ذات شعر من النايلون . إن السيد فريبوزى **(يقصد نفسه : المترجمة)** ليس شخصًا عاديًا ... إن له تطلعات ورغبات خاصة . إنها الفرشاة الثالثة التى أستخدمها هذا الأسبوع **(يضع معجون أسنان على الفرشاه)** . ولكننى دائما أستخدم معجون الأسنان نفسه، فهذا شئ بديهى . إنه "الكلورمينت " . إن معجون الأسنان لا يشكل أية أهمية بالنسبة إلى السيد " بورروكر " .

فريبوزى :

(ينظف أسنانه بعناية فائقة ، ويخاطب المرآة قائلا :)

نعم بورروكر ! ... بورروكر ! إنه ليس شخصًا سيئ الطباع **(يمسك فريبوزى بكوب من الماء)** ... على العكس تماما .. **(يمضمض فمه)**.. إنه دائما ما يكون مهذبًا ومتواضعًا، هذا بالإضافة إلى أنه

رجل مـــثـــقف ، وذو أفق واسع ورائق . إن رأســـه مملوء بالأفكار الجديدة - فى الوقت نفسـه - الجريئـة ومع ذلك لا يمكن وصفـه بأنه شخص خيالى .

(يضع فـريبـوزى الفـرشـاة فى كـوب الماء ... وفى اللحظة نفسـهـا تصل فـرانسـيسكا إلى الطابق السـادس ، حيث يقطن فـريبـوزى ، وتقف أمـام حجرته وتدق البـاب بكل عنف ، وتدخل على الفور دون أن تنتظر أن يأذن لهـا فـريبـوزى بالدخـول . يرتعـد فـريبـوزى من رؤيتها ويقول :)

فريبوزى :

لا ... لا ... سيسكا **(هذا هو الاسم الذى يناديها به، وهو اختصار لفرانسيسكا : المترجمة)** لا يصح !

فرانسيسكا :

ما هذا الذى لا يصح ... وعمَّ تتحدث ؟

فريبوزى :

أن تقتحمى علىَّ حجرتى ... هذا هو مالا يصح أبدًا .

فرانسيسكا :

وهل يصح أن أنتظرك فى بهو الفندق لمدة ساعتين ؟... هذا الفندق القبيح ... وبالإضافة إلى ذلك ، فالجميع يحملقون فىَّ ، وينظرون إلىَّ فى دهشة واستغراب ؟

فريبوزى :

أعتقد أن الاشخاص هنا يُتصفون بالحياء نوعًا ما، ولا يقحمون أنفسهم فى شئون الآخرين .

فرانسيسكا :

لقد عصرتنى هذه السيدة التى تُدّعَى تفنر من كثرة الأسئلة .

فريبوزى :

لم أعهد منها قط شيئا كالذى تخبرنى به الآن . ولكن على أية حال، عليك الآن التوجه إلى أسفل وانتظارى هناك ...

فرانسيسكا :

لن أفعل .

فريبوزى :

ولكن .. لا يمكنك البقاء هنا معى بمفردى .

فرانسيسكا :

ولكن السيدة تفنز لم تعترض على ذلك .

فريبوزى :

ولكن أنا ... أنا الذى يعترض .. أنا .. أتفهمين ؟!

فرانسيسكا :

هذا أمر لم أعتده منك من قبل . كنت فى الماضى إذا دخلت هذه الحجرة لا أخرج منها بسهولة .. وكنت ألحق ، بشق الأنفس ، آخر قطار كى أصل إلى منزلى ... كنت تتمسك بى ولا ترغب فى أن أتركك بمفردك هنا ... وكنت تتذرع بحجج ، وتقول لى إنه مازال هناك الكثير مما ترغب فى أن تقصه علىَّ . ويمر الوقت ... وأنت ترفض أن تتركنى أذهب ... وكانت الحال تستمر إلى وقت متأخر من الليل . وفجأة تقول أنه لم يعد يصح ...

فريبوزى :

ولكن أرجوكِ ... اذهبى الآن .

فرانسيسكا :

ولكن لماذا الآن ؟ إننى أشعر هنا بالراحة إلى جوارك ... وبالأخص لرؤية المنظر البديع من نافذة حجرتك . (**تحاول أن تقترب من النافذة ، ولكن فريبوزى يمنعها**) .

فريبوزى :

سيسكا ... أرجوكِ ... فقط خمس عشرة دقيقة ... أرجوك .. وخذى معك الصحيفة، أو ربما أى شىء آخر ... هه ؟ ... أرجوك .

فرانسيسكا :

أرغب فقط فى الذهاب إلى السينما ... إلى السينما، وليس جريدة المساء ... والبرنامج فى السينما سوف يبدأ بعد قليل ... ودائما ما نصل متأخرين ...

فريبوزى :

ولكن لن يفوتنا سوى الإعلانات .. وأخبار الأسبوع ومقدمة الفيلم.

فرانسيسكا :

أرغب فى رؤية كل شىء من البداية ... أرغب فى رؤية كل شىء ... حتى الإعلانات ، وإن كانت أيضًا سخيفة وتافهة .

فريبوزى :

وليكن ... لك ما تشائين ... ولكن هناك بعض الأشياء التى يجب إنجازها قبل أن نذهب إلى السينما .. هناك بعض الكراسات التى ينبغى لىِ أن أقوم بتصحيحها ، إنها كراسات التعبير لتلاميذ فصل أ٤ .. وكذلك بعض الأشياء الصغيرة ... ربع ساعة فقط ...

أرجوك... أو ربما عشر دقائق فقط ..وأعدك أننى سوف أسرع وأنجز المطلوب يا أعز ما أملك .

فرانسيسكا :

قلها مرة أخرى !

فريبوزى :

ماذا ؟

فرانسيسكا :

قلها مرة أخرى !

فريبوزى :

ياأعز ما أملك .

فرانسيسكا :

مرة أخرى !

فريبوزى :

أرجوك ! اذهبى الآن يا أعز ما أملك !

فرانسيسكا :

لن أنصرف قبل أن تقبلنى .

فريبوزى :

ياأعز ما أملك **(يقبلها .. وسرعان ما تتفلت منه مرة أخرى)** .

فرانسيسكا :

هل نظفت أسنانك الآن ؟

فريبوزى :

نعم .. ياأغلى شىء فى حياتى ... والآن أرجوك انصرفى !

فرانسيسكا :

ليس قبل أن تخبرنى بنوع المعجون الذى استخدمته .

فريبوزى :

" كلورومينت " – أرجوك ... هيا ... (**يفتح الباب كى تخرج**) .

فرانسيسكا :

أتعرف ؟ إنه لذيذ الطعم .. حلو المذاق .. حقًا ... حقًا ... (**تقول له وهى تهم بالخروج**) سأذهب الآن .. ولكن سوف أعد ببطء عشر مرات إلى المائة ... وإذا لم تأت ... إذًا .. إذًا ... هل تعرف ما الذى سوف أفعله حيالك ؟ (**تخرج مسرعة من الغرفة وكأنها الريح... فريبوزى مازال منصتا إلى دقات حذائها فى أثناء نزولها الدرج . يغلق الباب بالمفتاح ... تنزل فرانسيسكا إلى بهو الفندق، وتقذف بنفسها فى المقعد ، فتجذب انتباه السيدة تفنر ، التى تجلس فى مكتب الاستقبال**) .

السيدة تفنر :

لقد حان الوقت . سوف يبدأ الفيلم الآن .

فرانسيسكا :

ولكننى سوف أعد أولاً حتى المائة .. عشر مرات ... وبعدها سوف يبدأ الفيلم عندى ... (**تهز السيدة تفنز رأسها ... لأنها لا تفهم ماذا تقصد فرانسيسكا " بالفيلم الحقيقى"، وتقول :**)

السيدة تفنر :

أعتقد أن السينما عندى لا تنتهى أبدًا ... فهى عرض مستمر .

فريبوزى :

(**وهو فى طريقه إلى النافذة**)

لا تفكر كثيرًا ، ولا تشغل بالك . إن لم يصل متأخرًا (**يقصد نفسه: المترجمة**) ، فلن يحرك ذلك ساكنًا لديها (**يقصد**

فرانسيسكا : المترجمة) إنها على درجة كبيرة من الحساسية ... إنها تشعر بالإهانة لأقل الأشياء ... وتزن الأمور جميعها بميزان واحد . إنها لا تعرف الحدود ... ولا يعرف الحياء لها طريقًا ... من يدرى ؟ ماذا يمكن أن يحدث لو أنه وصل فى موعده المحدد كما كان يفعل دائمًا **(يقف بوروكر بالقرب من النافذة ، وهو يرتدى ملابسه فى عناية ويدخل الحجرة فى خفه وسرعة).**

بوروكر :

إن مواعيدى دائمًا منضبطة ، وأحضر دائما فى الموعد المحدد... ولكن لا أرغب - أبدًا - فى أن أسبب لك أى إزعاج ، فلماذا فُزعت إذًا هكذا ياصديقى ؟

فريبوزى :

دائما ما يسيطر علىّ شعور بالخوف ... وتتجدد عندى دائما هذه اللحظة ... لحظة الخوف ... ودائمًا من جديد ... هل انتظرتنى عند حافة النافذة ؟

بوروكر :

نعم ، كنتُ متعلقا بحافة النافذة ... وهذا وضع غير مريح أبدًا ، وكذلك يمثل درجة كبيرة من الخطورة على حياتى .

فريبوزى :

يجب علىَّ أن أتقدم لك بخالص الشكر على صنيعك هذا .

بوروكر :

إننى أفعل أى شىء من أجلك ... هذا شىء بديهى .. أتعرف ؟ إنها رائعة ... فاتنة ... عروسك الصغيرة ... ولها صوت رائع أخاذ ... بالروعة صوتها .

فريبوزى :

إنها الآن فى انتظارى ... فى بهو الفندق .

بوروكر :

أعرف .. لقد سمعت كل شىء .. إنها ستعد إلى المائة عشر مرات .. إنه عمل يستحق كل الثناء والتقدير . تُرى هل وصلت إلى الثلاثمائة الآن .. أو لا ؟!

فريبوزى :

(**فى توتر**) أخشى أن تكون فرانسيسكا قد عدت إلى الثلاثمائة بالفعل ... فاسمح لى - على أية حال - أن نقوم بتأجيل مناقشاتنا هذه إلى وقت آخر ... هل يمكنك أن تتركنى الآن ... أقصد ... إنك تفهم ما أرمى إليه (**يشير إلى الحوض**).

بوروكر :

تمامًا ! لقد فكرتُ فى التو أننا لن نستطيع استكمال حواراتنا ذات الطابع العلمى الجاد الآن ، ولكننى كنت أود أن ألفت انتباهك إلى شىء قبل أن أنساه (**يخرج كتابًا من جيبه**) أننى أرده إليك ، وأشعر بالامتنان الشديد لقراءته، وأتقدم إليك بوافر الشكر ... إنه كتاب رائع ... ونستدل منه على أن الكاتب يفهم الحياة ... الحياة الفعلية كما هى ... تلك الحياة التى نعيشها ، ويحاول أيضا أن ينظر إليها من منظور الأحداث العلمية التى تصاحبها ... سوف أذكر لك مثالا ... وليكن هذا المنظر فى الحمام ... نعم بالتأكيد ... أنت ترغب فى أن تقول لى الآن ... أعلم أن هذا المنظر يبعث على التقيؤ والغثيان ... ولكن ... إنها الحقيقة ... فهذا شىء حقيقى

يحدث فى حياتنا ... ولا يمكن إنكاره ... إن هذا ما أتحدث عنه لتلاميذى ... إننى أقول لهم : إن الحياة هى التى تكتب لنا فى الواقع أروع القصص والحكايات .

فريبوزى :

أوافقك الرأى على الفور فى كل ما تقوله وتفكر فيه ، ولكن أرجوك، لو تفضلت ...

بوروكر :

لك ما تشاء ياصديقى العزيز (**يخلع فى هذه الأثناء الجاكت**) ... أنت تعلم أن هذا الموضوع الشيق كثيرًا ما يجذبنى ... إنه أمر يستحق الثناء والتقدير ... ولا أفهم لماذا تقاطعنى فى أثناء الكلام... هذا لا يجعلنى أعتقد أنه ربما يدل ذلك على أن حديثى ممل ، ويسير على وتيرة واحدة .

فريبوزى :

أرجوك لا تفسر كلامى من هذا المنطلق ... أهم من ذلك أننى...

بوروكر :

(**مقاطعًا**) أعرف ... أعرف ... أعرف ما تريد أن تخبرنى به ... إنك شديد التواضع ... ولكن .. كنتُ أود أن أمرَّ سريعًا على موضوعنا الذى نحن الآن بصدد مناقشته، وهو " الحياة الجماعية"، وكذلك " الحجرات الجماعية "، و " المعيشة الجماعية " ... ربما تكون هذه الفكرة غير قابلة للتنفيذ ... وربما يكون مبالغًا فيها ... وبالمناسبة كنت أريد أن أعرف منك ، هل لديك كتب أخرى لهذا المؤلف ؟

فريبوزى :

ألم تعدنى بأن تتصرف ؟ ...

بوروكر :

بديهى ... طبعًا ... طبعًا ... ولكن دعنى أمكث حتى تبحث لى عن كتب أخرى من تلك الكنوز القيمة التى تخبئها ولا تظهرها لأحد .

فريبوزى :

(يسحب كتابًا من فوق رف الكتب ، ويعطيه لبوروكر فى سرعة، ثم يقول :)

خذ هذا الكتاب ... سأعطيك إياه هدية ... لا ... لا .... لا تبدأ الآن فى قراءته .. أرجوك ... ابدأ فى قراءته بعد ذلك ... أى بعد أن تترك غرفتى .. مثلاً فى الترام ... أو فى أى مكان آخر ... أرجوك ... والآن أتمنى أن تتركنى وشأنى ... أعتقد أنك تعرف جيدًا أن خطيبتى تنتظرنى .

بوروكر :

(يغلق الكتاب ويقول ضاحكا :) آه من االأحبه الشباب ... إنها القصة نفسها دائما ما تتكرر ، إما أن ينتظر هو ... وإما أن تنتظر هى ... فالانتظار قاسم مشترك ... الانتظار دائما ... **(يقف أمام الحوض ، ويتفحص الأدوات الموجودة فوق الرف مليًا، ويقول)** : لا ... لا ... لا ... ما هذا الذى أرى ؟ فرشاة أسنان جديدة ... يبدو لى أنك شخص غاية السوء فى التبذير !!

فريبوزى :

ما عساى أن أفعل ؟ إننى أشعر بالاختناق فى كل مرة عندما ...

بوروكر :

(**يقاطعه فى حدة**) هل تقصد أن الشعور بالغثيان ينتابك عندما ... وتقصد أن تقول إنك لا تستطيع التكيف مع هذا الوضع ... لن أترك هذه المسألة هكذا على أية حال من الأحوال ... ولن أتراجع ... (**يأخذ فرشاة الأسنان الخاصة بفريبوزى ... يتفحصها على ضوء المصباح جيدًا**) .. ولكننى على يقين أن استخدامك الدائم لفرش أسنان جديدة سوف يعرض لثتك للالتهابات والتقيحات ... تحديدًا هذا النوع من الفرش المصنوعة من الألياف الصناعية ... إنك بذلك تعرض أسنانك لأضرار لاحصر لها ... لقد تأكدت منذ زمن بعيد أن اللثة عندك تنزف دائما بشدة، تحديدًا من جهة الأنياب السفلية، هل تعرف لماذا ؟ السبب يكمن هنا فى هذا البلاء (**يقصد فى كون الفرشاة جديدة: المترجمة**) .

فريبوزى :

إن طبيب الأسنان يقول لى الشىء نفسه .

بوروكر :

إذًا ، فأنا على حق ... إنك تتصرف باستهتار (**يضغط المعجون ليضعه فوق الفرشاة**) عليك أن تستخدم فرشاة أسنان جديدة كل أسبوع مثلا، وليس كل يوم ... إن هذا الأمر خطير جدًا ... إنك تدمر اللثة ... وأيضا الأسنان ... ليس هذا وحسب ، بل تدمر المعدة أيضا ... وفى النهاية سوف تعانى مشاكل فى الهضم ... أرجو المعذرة وسامحنى إن كان خطابى لك مباشرًا وواضحًا ... ولكننى أحاول أن ألفت انتباهك إلى أنه يجب عليك أن تتوقف – على الفور– عن تدمير صحتك ، ولا تنس أنك – من ثم – تدمر صحتى أنا أيضا ...

فريبوزى :

أرجو المعذرة ... ولكننى لا أستطيع غير ذلك ... لا أستطيع أن أجبر نفسى ... إننى فى حيرة من أمرى ... ولكن لا أستطيع .

بوروكر :

هل هذا معناه أننى شخص غير مريح بالنسبة لك ، ياصديقى العزيز ؟

فريبوزى :

أبدًا ... ولكن .

بوروكر :

ولكن ماذا ؟ ... كل ما يحدث لك ما هو إلا أحكام مسبقة ... هذا الاشمئزاز... هذا ما يحدث لك ياصديقى وليس إلا ... هل تستطيع أن تجيب عن هذا السؤال : ترى من الذى قام باكتشاف مثل هذه الأحاسيس ؟ من ذا الذى أدخلها فى شعورنا وفى أعماقنا؟ لماذا يشعر شخص تجاه شخص آخر بالتقيؤ والغثيان ؟ من ذا الذى ابتدع هذه الفكرة ياصديقى ؟ ... أنصحك ! لابد أن تتغلب على هذا الشعور الذى تطلق عليه الغثيان أو التقيؤ... إن مثل هذه الأفكار مضحكة جدًا .. فكيف إذًا يجد الإنسان طريقه إلى إنسان آخر ؟ ... إنه ... ما يمكن أن نطلق عليه "الرعاية الصحية " ... إنها هى التى تربطنا ببعضنا بعضًا.

إن عليك أن تتغلب على هذا الإحساس بالتقزز المضحك الذى يفصل الناس عن بعضهم البعض والذى يصيبهم بالغباء .

فريبوزى :

نعم ... نعم ... إنه كذلك .

بوروكر :

أرأيت ؟! .. هكذا ...ارفع رأسك ياأخى ... من اليوم ... ومنذ هذه اللحظة سوف نبدأ فى أن نعيش حياتنا بطريقة واقعية وعقلانية **(ينظف أسنانه بعناية بفرشاة الأسنان الخاصة بفريبوزى)** والآن أنصحك بأن تستخدم هذه الفرشاة لمدة أسبوع ... وإياك أن تغيرها **(ينظف فمه بالماء)** ومن هنا تبدأ فى زيادة المدة ... فى البداية لمدة أسبوع... ثم لمدة أسبوعين ... وسوف يأتى الوقت الذى سوف تستعمل فيه الفرشاة لمدة شهر بالكامل من دون أن تشعر بالغثيان أو التقيؤ... وربما لمدة شهرين ... من يدرى ؟! وفى هذه الحالة سوف تشعر بمدى ارتباطك بهذه الفرشاة ... ومدى إخلاصك لها... ونحن بالضبط نريد أن نجرب المدة التى يمكن للفرشاه أن تتحملها .

فريبوزى :

سوف أفكر جديًا فى الأمر ... لكن ... ربما .

بوروكر :

ربما ، هذا ما اسميه الشجاعة ... وفى الحال ... دعنا نقم بالتجربة العملية ... فى الحال ... لابد أن تكون ممن يتمسكون بالمبادئ ... **(يعطى فريبوزى الفرشاة ... فى حين أن فريبوزى يتراجع إلى الوراء ، فى فزع .. ويقول) :**

فريبوزى :

لا .. لا .. لا أستطيع .

بوروكر :

أرجوك ياصديقى !

فريبوزى :

لا ... لا ...

بوروكر :

عليك أن تغمض عينيك .. افعل ذلك على الأقل فى المرة الأولى...

فريبوزى :

أبدًا ... لن يحدث ذلك .

بوروكر :

ياأغلى فريبوزى فى هذه الدنيا ... إننى أعرفك جيدًا أكثر مما أعرف نفسى ... إننى أعرفك تمامًا ... لا ينبغى لك - أبدًا - أن تخجل من وجودى هنا .

فريبوزى :

ولكننى لا أستطيع .

بوروكر :

إنك لا تعرف قدر نفسك ياعزيزى .

فريبوزى :

لا أرغب فى ذلك ... هل تفهم ؟ ولا أستطيع ... ماذا تقول فرانسيسكا عنى إذا عرفت ...

بوروكر :

وهل تعتقد أنها مازالت تنتظرك فى بهو الفندق ؟ - ربما - إذا كانت مازالت مشغولة بالعد ... البطئ .

فريبوزى :

.. هذه هى المشكلة ... فهى لا تستطيع العد فى بطء ... إنها تسرع فقط ... إن كل شىء تفعله بسرعة كبيرة .

(يهرع من باب الحجرة إلى الخارج فى اللحظة نفسها التى تنهض فرانسيسكا فى بهو الفندق بأسفل) .

بوروكر :

إن حجرتك موجودة بالطابق السادس ... والفندق ليس به مصعد كهربائى ... فثمة مسافة كبيرة تقع بين الدور الأرضى والدور السادس فى هذا الفندق .

(فريبوزى ينزل درجات السلم) .

فرانسيسكا :

هذا يكفى ... لقد انتهى كل شىء بيننا ... أرجوك

(تخاطب السيدة تفنر صاحبة الفندق : المترجمة) أخبريه أننى لم أكتف بالعد عشر مرات حتى المائة ، ولكننى قمت بعد المائة الحادية عشر ، وبمنتهى البطء ، ومرة واحد إلى الخمسين بسرعة . والآن هذا يكفى .

السيدة تفنر :

إن الحب ياعزيزتى ليس لعبة من اللعب التى نستخدم فيها الأعداد.

فرانسيسكا :

لابد أن يتمسك الإنسان بفكرة أو بمبدأ ما ...

(تغـادر الفندق يظهـر بعـدها ، بوقت قـصـيـر ، فـريبـوزى فى بهـو الفندق) .

فريبوزى :

أين هـى ؟

السيدة تفنر :

إذا كنت تقـصـد الآنسـة فرانسيـسكا - خطيـبتك - فلقـد حملتـى رسـالة لك ؛ وهـى أنهـا غـادرت الفندق منذ لحظات قليلة ، فـجـأة، ومن دون سـابق إنذار ... قـامت وخـرجت من الفندق كـالعـاصـفـة الهوجاء ... مازال الباب الدائرى يتذبذب من جراء دفعها إياه.

فريبوزى :

وهل قالت شيئًا ... أو تركت لى رسالة ؟!

السيدة تفنر :

دعنى أسـترجع مـا حـدث فى ذاكرتى ... نعـم .. نعم إنهـا قـالت إنهـا لم تقم بِعَدِّ المائة عشـر مرات فقـط ، بل إحدى عشـر مرة ... كذلك قـامت بالعـد حتـى الخمسين فى بطء شـديد. كما أنهـا قـالت : هذا يكفـى! ... وأعتقد أنهـا كانت غاضبة جدًا عندما خرجت من الباب الدائرى الذى يـتذبذب إلى هذه اللحظة ... لا أعتقـد أنه عـاد الآن إلى السكون وتوقف عن الحركة .

فريبوزى :

هل تركت لى رسالة أو أى خبر ؟

السيدة تفنر :

ألا يكفى ما أخبرتك به ؟!

فريبوزى :

يكفى لأى شىء ؟!

السيدة تفنر :

لأن تبدأ فى طريق العودة إلى حجرتك بالطابق السادس ؟

فريبوزى :

ألم تترك لى رسالة خطية ... أقصد خطابًا أو حتى ورقة ؟

السيدة تفنر :

لا .. لأنها لم تكن فى حالة تسمح لها بكتابة أى شىء على الورق ... ولكنها أخذت تردد فى أثناء انصرافها : " سوف ألقنه درسًا لن ينساه، عندما أرجع إليه مرة أخرى .

فريبوزى :

هكذا ؟!

السيدة تفنر :

نعم .

فريبوزى :

هكذا !

السيدة تفنز :

هذا هو الموقف الآن .

فريبوزى :

إذًا ، لا يبقى لى سوى الرجوع إلى حجرتى .

السيدة تفنر :

كما تريد .

فريبوزى :

ما الذى يمكن أن أفعله إذا وقفتُ هنا وهى غير موجودة ؟

السيدة تفنر :

لا شئ ...

فريبوزى :

لا شئ مفيد على الإطلاق .

السيدة تفنر :

ولكن هل لديك أية رغبات أخرى ؟

فريبوزى :

(فى لهجة مملوءة بالحماسة) كنت أود أن أحدثك فى هذا الموضوع منذ فترة بعيدة ... أرجوك ألا تسيئ فهمى ... أرجوك !

السيدة تفنر :

لقد فكرتُ كثيراً فى هذا الأمر ... أعتقد أن درجات السلم ربما تكون بالنسبة إليك متعبة وشاقة ... انتظر لحظة فلربما يمكنك الانتقال إلى الحجرة رقم ١٤ فى الطابق الثانى ... إنها حجرة جميلة .. وتدخلها أشعة الشمس فى وقت الظهيرة ، وبها أيضا حمام.

فريبوزى :

ليس هذا ما أردت أن أتكلم معك بشأنه ياعزيزتى .. إننى سعيد جدًا فى حجرتى الكائنة فى الطابق السادس ... فقط كنتُ ...

السيدة تفنر :

ريما يتعلق الموضوع بالعاملين بالفندق ... سوف أستدعى العاملة على الفور .

فريبوزى :

سيدة تفنر أرجوك ... هذه الفتاة ... إن " لينى " أطيب فتاة فى الوجود ، وتقوم بتنظيف حجرتى على أكمل وجه ... أننى أقيم فى الفنادق منذ ثمان سنوات ، فلندع هذا !

السيدة تفنر :

سيكون موضع دهشة واستغراب بالنسبة لى . إذا ما كان السيد فريبوزى غير راضٍ عن حجره رقم ٥١ وأعتقد أنه لابد أن أعترف لك ، أنه لولا درجات السلم الكثيرة ، لقلت لك أننى أفضل غرف السطح الصغيرة اللطيفة عن الغرف فى الطوابق السفلى ...

فريبوزى :

أوافقك الرأى تمامًا ... وبها كثير من المميزات ، أقلها أن الضجيج والإزعاج اللذين يحدثان فى الشارع لا أشعر بهما . كما أننى أشعر فى هذه الحجرة - على وجه التحديد - بخصوصيتى.

السيدة تفنر :

نعم ... بخصوصيتك .

فريبوزى :

نعم ... نعم !

السيدة تفنر :

بالتأكيد تشعر بخصوصيتك وأنت فى حجرتك بمفردك .

فريبوزى :

مفهوم ... مفهوم .

السيدة تفنر :

وينبغى لك ألا تنسى هذا المنظر الخلاب الذى تستمتع به من خلال نافذتك بالدور العلوى . لأن حجرتك تطل على القديسة برجيت ، والقديسة كاترين ، وكذلك على المرصد الفلكى . ومن حجرتك تستطيع أيضًا أن ترى ذلك المبنى الضخم الذى يُصنع فيه معجون " الكلورومينت " ، الذى يحافظ على الأسنان ويعتنى بها . لذلك ينبغى لك ألا تستهين بهذه الحقيقة ... وهى أن أحدًا لا يزعجك فى خلوتك . . أو ينظر عليك أحد من النافذة ويضيق عليك الخناق، فيمكنك أن تفعل ما ترغب فيه ، وأن تترك مالا ترغب فيه... أين توجد مثل هذه المميزات اليوم ؟

فريبوزى :

(يفكر) .

السيدة تفنر :

وقديما كان يقال أن الحظ السعيد يقيم أسفل السطح .

فريبوزى :

هل كان السابقون يقولون ذلك حقًا ؟ إذًا سوف أتسلق درجات السلم ؛ سعيًا إلى الحظ القابع تحت سقف حجرتى ...

السيدة تفنر :

ربما ما يميز حجرتك أيضًا أن الأتربة تكون قليلة نسبيًا فى الأدوار العليا عنها فى الأدوار السفلى .

فريبوزى :

جائز جدا (**يقول وهو يغادر المكان**).

كلها أسباب منطقية ومعقولة .

السيدة تفنر :

ولا تنس أبدا أن الشمس تدخل غرفتك دائمًا ... ويمكنك فتح النافذة على مدار اليوم بأسره ... لا تتعجل فى خطواتك أيها الشاب ... فلن تهرب الحجرة من مكانها ... ولكن ، أخبرنى ماذا أقول للآنسة إذا رجعت مرة أخرى إلى هنا ! ربما لم تذهب بعيدًا، ربما كانت تتجول فقط حول الفندق .

فريبوزى :

فلتنتظر هنا - فى هذا البهو - إلى أن أنزل إليها .

السيدة تفنر :

ولماذا هذه التعقيدات كلها ؟ سأطلب إليها فور وصولها أن تصعد إليك فى حجرتك . هل يمكننى أن أفعل ذلك ؟

فريبوزى :

لا ...

السيدة تفنر :

ولكن لماذا ؟ أعتقد أن درجات السلم سوف تساعدها على أن تخفف من حدتها الزائدة ، التى تسيطر عليها الآن . هذا بالإضافة إلى أنه ينبغى لكما أن تتصالحا ... أليس هذا صحيحًا!؟

فريبوزى :

(يهرع إلى درجات السلم وتشير إليه السيدة تفنر فى أثناء ذلك وتقول :)

السيدة تفنر :

ولكن إذا حضرت الخطيبة إليك ، فلا تلعبا لعبة العد مرة أخرى .

(على أول درجة من درجات السلم ، يظهر قرين فريبوزى ، ويقطع عليه الطريق) .

القرين :

فريبوزى !

فريبوزى :

ماذا ؟ .. دعنى وشأنى لا بد أن أصعد إلى أعلى .

القرين :

ولكنك كنت ترغب فى التحدث إليها **(يقصد السيدة تفنر : المترجمة) .**

فريبوزى :

أرجوك .. دعنى وشأنى الآن ... يافريبوزى ... لقد استمعت معى إلى ما قالته .

القرين :

ولكن ما كان عليك أن تلين معها فى هذه الأمور .

فريبوزى :

لا أستطيع الدخول فى حوارات مع هذه المرأة **(يقصد السيدة تفنر: المترجمة)** . والآن دعنى وشأنى **(يحاول أن يبعد القرين عن طريقه، ويقفز إلى الدرجة الثانية من السلم ، ولكن القرين يتبعه).**

القرين :

فريبوزى ! اسمع ، لو كنتُ مكانك لتوجهتُ على الفور إلى قسم الشرطة .

فريبوزى :

دعنى وشأنى ! إنك تسخر منى ... وهذا يتناسب مع شخصيتك .

القرين :

ما قصدتُ لك سوى الخيرَ .

فريبوزى :

أنا أيضًا أتمنى لك كل الخير (**يصعد الدرجة الثالثة، ولكن القرين يقفز قبله ، ويمنعه من الصعود**) .

القرين :

إذًا ، عليك أن تخبر فرانسيسكا بالأمر .

فريبوزى :

لن أفعل ذلك أبدًا !

القرين :

لماذا ؟

فريبوزى :

قلت لك لن أفعل !

القرين :

إذًا ، فلتذهب إلى قسم الشرطة .

فريبوزى :

كفى أرجوك ...

القرين :

إذًا فلتذهب إلى إدارة المدرسة .

فريبوزى :

أتعنى أنه من الأفضل أن أشرح قضيتى أمام مجلس الآباء ؟ ترى هل هذا معقول ؟ إنك تسخر منى ، وترغب فى أن يفعل الآخرون معى الشىء نفسه. أليس كذلك ؟!

القرين :

فلتتوجه إذًا إلى السيدة تفنر مرة أخرى .

فريبوزى :

ربما فيما بعد ، ليس الآن . الآن لابد أن أصعد إلى حجرتى **(يتصارعان)** .

القرين :

... إنك جبان يافريبوزى.

فريبوزى :

رأيك لا يهمنى ... والآن ... لابد أن أتوجه إلى حجرتى .

القرين :

إنك عنيد ، ولا تستمع إلى نصيحتى .

فريبوزى :

أعرف نصائحك كلها ... فاحتفظ بها لنفسك .

القرين :

إذًا لابد عليك أن تقوم بتنفيذها . فلتذهب إذًا إلى قسم الشرطة، أو حتى إلى شرطة الآداب ، أو إلى قسم الكشف عن الجريمة .. لأن الأمر حدث فى الفندق .

فريبوزى :

ولكن لماذا لا أذهب إلى الشرطة ، تحديدًا إلى قسم شئون الرعايا الأجانب ، بحجة أن ذلك يحدث هنا فى هذا الفندق ؟

القرين :

لايعنينى إلى أية جهة تذهب ، إن أهم ما فى الموضوع هو أن تقدم بلاغًا ... حاول أن تذهب إلى أية جهة ، واشرح لهم كل شىء... عليك أن تكتب كل شىءعن هذا الموضوع بالتفصيل فى بدء الأمر... ثم عليك أن تشرحه فيما بعد باختصار. عليك أن تشرح الوقائع كما تحدث بالتفصيل، وكذلك لابد من التنويه بالتوقيت الذى تحدث فيه ... وكذلك حتى لون الشعر ... وكذلك لون الحلة... فرجال الشرطة يهتمون بشدة بمثل هذه التفاصيل .

فريبوزى :

لا أستطيع .

القرين :

ماذا ؟!

فريبوزى :

أشعر بالخجل الشديد .

القرين :

هراء ... إن هذا يحدث لكل إنسان .

فريبوزى :

ربما يعتقد رجال الشرطة ... أن ...

القرين :

يعتقدون ماذا ؟

فريبوزى :

(يجذب نفسه بشدة من قبضة القرين) :قلت لك لا . لا . لا . إن شفتاى لا تستطيعان أن تُخرج مثل هذه الكلمات ...

(يهرع إلى أعلى ، ولكن القرين لا يدعه وشأنه ، بل يلاحقه) .

القرين :

انتظر يافريبوزى .

فريبوزى :

دعنى وشأنى يافريبوزى .

فريبوزى :

استمع أنت ، ولو مرة واحدة، إلى توسلاتى ... أرجوك دعنى وشأنى ... **(يصلان الآن إلى الطابق السادس ، ويهمس القرين إلى فريبوزى قائلا)** :

القرين :

أقولها لك لآخر مرة ... عليك التوجه – من فورك – إلى قسم الشرطة ... لأنه مجرم.

فريبوزى :

من أين علمت ذلك ؟ إنه يتصرف بطريقة حسنه..

القرين :

إذًا يمكن أن نطلق عليه أنه مجرم مهذب ...

فريبوزى :

إنه معلم بالتعليم الثانوى ، ودائما ما نتحاور فى أمور مهمة، تدعو للتأمل .

القرين :

ولكنه يغرر بك .

فريبوزى :

إننى أتعلم منه الكثير .

القرين :

إذًا أنت تريد الاستمرار فى العيش على هذا النحو ؟

فريبوزى :

لا ... ليس الموضوع كما تعتقد .

القرين :

أخبرنى إذًا ...

فريبوزى :

سيصبح كل شىء على ما يرام .. الآن اذهب ودعنى .. فلا بد أن أُمعن التفكير ... **(يطرق على باب الغرفة)** .

بوروكر :

(وهو ينظر فى كتاب مفتوح يقول) :

تفضل بالدخول .

القرين :

فكر فيما قلته لك سابقًا ، ولا تنس !

فريبوزى :

حسن ... حسن **(يفتح الباب ، ويخفى به القرين ، ويدخل الغرفة ثم يغلق فريبوزى الباب، ويختفى القرين)** .

بوروكر :

ولكن ياصديقى العزيز ... ما كل هذه الحيرة ؟ .. أتستأذن فى دخول حجرتك ؟ وتطرق الباب وتنتظر إلى أن تسمع الرد ؟ .. لماذا؟

ولماذا تبدو فى هذه الهيئة الغريبة ؟ .. شاحب اللون .. وتنظر فى ذهول وشرود .. هل تشاجرت مع أحد ؟.. مع خطيبتك مثلا ؟ !

فريبوزى :

لم أتمكن من رؤيتها .. لقد ذهبت على الفور .

بوروكر :

بالتأكيد ، يرجع السبب فى ذلك إلى أنها كانت تعد المائة تلو المائة فى سرعة رهيبة .. أو هناك احتمال آخر ؛ وهو أن تكون قد قامت بالغش فى أثناء العد ، أو ربما يكون صبرها قد نفذ. لكنك بقيت لفترة طويلة فى بهو الفندق .. هل استوقفك أحد ؟

فريبوزى :

نعم .. لقد تحدثت بعض الوقت مع السيدة تفنر .

بوروكر :

هذا معناه ، أنك أنت الذى كنت ترغب فى الحديث معها..لا..لا.. ليس هذا ضروريًا ... أعتقد أنه من الأفضل أن تظل بهذه الحجرة الرائعة ... والله إنك لن تجد حجرة أفضل أو أرخص من هذه أبدًا .. لذلك يستحق الفندق هذا الاسم الذى نطلقه عليه وهو "فندق الفصول الأربعة" .. إنه مكان رائع للسكنى .. هادئ ونظيف ورائع فى كل شىء...

فريبوزى :

هذا لايعنينى ! وأرجوك لا أحتمل أكثر من ذلك .. أنت الذى يقلب عالمى هذا رأسًا على عقب .. كم كان حالى جيدًا من قبل أجل ، جيد جدًا .

بوروكر :

لا أختلف معك أبدًا فى الرأى .

فريبوزى :

إذًا سأذهب إلى قسم الشرطة .

بوروكر :

أى قسم شرطة ؟ ... إذا سمحت لى بالسؤال !

فريبوزى :

قسم الشرطة المختص بالجرائم ... لو كنت ترغب فى معرفة ذلك بدقة .

بوروكر :

لا .. لا .. لا .. أعتقد أن قسم الشرطة غير مختص بمثل تلك الأمور ياصديقى العزيز!

فريبوزى :

إذًا إلى شرطة الآداب.

بوروكر :

ربما ، ولكن يبدو لى ، ولأن كل شئ حدث فى الفندق...

فريبوزى :

إذًا إلى قسم الشرطة المسئول عن شئون الرعايا الأجانب ؟ ربما يكون ذلك ممكنا ... وما المانع فى ذلك؟.. أعتقد أن إحدى هذه الجهات سوف تتخذ الإجراءات اللازمة ... وأعتقد أن قسم الشرطة المسئول عن شئون الرعايا الأجانب سوف يكون خير معين لى فى هذه المسألة ، وأفضل من يستطيع مساعدتى فى هذا الصدد .

بوروكر :

أفضل ممن ؟!

فريبوزى :

لا أفهم ماذا تقصد .

بوروكر :

ربما يكون هذا أفضل " من عدم الاستعانة بالشرطة " . فكلمة "أفضل" هذه التى تستخدمها ، تبعث على المفاضلة بين شيئين؛ لأننا نقول دائما :

"هذا أفضل من ذلك" ... أو "هذا أجمل من ذلك" أو "هذا أهدأ من ذاك" ... وهكذا ... دائمًا تأتى المفاضلة بين شيئين . أليس كذلك؟!

فريبوزى :

هل قلت أفضل ؟

بوروكر :

لا ... ولكنك كنت تعنى هذه الكلمة نفسها .

فريبوزى :

أنا لا أستخدم – أبدًا – مثل هذه المفردات. ولكن على أية حال ... سوف أذهب إلى قسم الشرطة ؛ لأنك دائما تسبب لى الإزعاج والتوتر ... حتى مع خطيبتى أصبحت العلاقة غير سوية ومتوترة ، تلك العلاقة التى كانت تسودها المودة والألفة ....أنت تقف حائلاً منيعًا بيننا ... أنت تفصل بينى وبين العالم الذى أعيش فيه ...

بوروكر :

شىء لا يصدق ... أمن أجل نصف ساعة أقتطعها من وقت فراغى لكى أحضر إليك ، ويكلفنى حضورى إلى هنا عديدًا من الصعاب وأصل إليك فى الطابق العلوى بشق الأنفس .. هذا كله من أجل أن أجلس معك ، وأتجاذب أطراف الحديث معك ، وأن أطمئن أيضا على أحوالك ؟!

فريبوزى :

ولكن لم يطلب إليك أحد أن تفعل ذلك ..

بوروكر :

ولكنك سوف تفتقدنى عندما أغيب عنك لمدة أسبوع - لأسباب صحية مثلا .

فريبوزى :

هذا يتوقف على التجربة والمحاولة .

بوروكر :

من الواجب عليك ألا ترسم الشيطان على الحائط وتستحضره .

فريبوزى :

ومتى ستنصرف من هنا ؟

بوروكر :

فى الحال ... ياصديقى العزيز ... أشكرك لأنك تذكرنى بذلك ... أعتقد أنه لابد علىَّ أن أنصرف ، لأنه ليس لدى متسع من الوقت. إننى فى عجلة من أمرى . من المفروض أن أدون خطبة سوف ألقيها ؛ لأن الربع الأول من العام الدراسى سوف ينتهى غدًا ... ولابد من الاستعداد لهذه المناسبة . لقد دُعيت رسميًا إلى حضور هذا الاحتفال الختامى .

فريبوزى :

تُرى ، عن أى شىء سوف تتكلم ؟

بوروكر :

عن (*Heinrich Pestaloizzi*) هاينريش بيستالوزى . الإنسان والمربى . ولكن كما أخبرتك سابقًا أننى لا أمتلك، مع الأسف ، أى

كتاب من كتبه . ولقد اكتشفت أن رفوف مكتبتك لا تخلو من العديد من أعماله . مكتبتك مزودة بالأعمال الكلاسيكية الرائعة رغم صغرها وبصفتى مدرسًا بالمدرسة الثانوية؛ فإننى أقدر لك هذا... وأنظر إليك بعين الاحترام والاعتبار. إنك واسع الثقافة ومعنى بأعمال المفكرين الكبار ... بالله عليك، ترى من ذا الذى يعنى فى وقتنا هذا مثلا بقراءة أعمال (*Jean Paul*) چين پاول ، أو حتى (*Gotthelf*) جوت هيلف ؟ هل تستطيع أن تتخيل معى يافريبوزى... نعم ... نعم ... هذا ما أحاول أن ألفت إليه نظر تلاميذى ... وأقول لهم دائما ... عليكم أولا بقراءة أعمال (*Wieland*) فيلاند قبل أن تشرعوا فى قراءة أعمال (*Hemingway*) هيمنجواى ، عليك أن تواصل تثقيف نفسك يا فريبوزى !

فريبوزى :

بالتأكيد ياسيادة المعلم الفاضل ولكن ...

بوروكر :

لا تخاطبنى بالألقاب ياصديقى العزيز ... نادنى بـ بوروكر ... باختصار بوروكر ... والآن سوف أطلعك على سر من أسرارى ... هل تعرف أن تلاميذى ينادوننى بـ " ديك الشوربة " .. هاهاها **(يضحك)** .

فريبوزى :

(يضحك) ولكن فكرة غريبة. فهذا اللقب لا ينطبق مع أوصافك أبدًا.

بوروكر :

إنها الحقيقة التى لا يمكن إنكارها ... إنك تعلم أن هؤلاء الشباب لا يستطيعون التخلى عن أفكارهم ، حتى وإن لم تكن صحيحة ، فلهم ملاحظاتهم على الرؤساء ... ولا يقصدون إلا الخير والمزاح من وراء ذلك . إنهم فى أغلب الظن يعدون ذلك نوعًا من أنواع المداعبات اللطيفة . وكثيرًا ما فعلت مثلهم أيام شبابى ... هل فعلت أنت أيضا مثلهم ؟ ... أرجوك لا تنطق إلا بالصدق ! .. وضع يدك على قلبك وأنت تتكلم !

فريبوزى :

لم أكن طالبًا مثاليًا .

بوروكر :

ألم أقل لك ؟ هذا ما كنت أرغب فى سماعه بالضبط ... وسيبقى الحال كما هو عليه . إن تلاميذ اليوم المتوسطين والرديئين هم فى الغد أفضل المدرسين والممتازين .

فريبوزى :

لا أختلف معك أبدًا .. ولكن لابد أن ألفت نظرك إلى شىء مهم ... ألا وهو أن الغالبية العظمى من مدرسى هذه المدرسة لن تتفق معك فى الرأى ...

بوروكر :

مع الأسف ... وبكل الأسف ... هذا صحيح .

فريبوزى :

لأول مرة فى حياتى أسمع مثل هذه الموضوعات الشائقة

والصريحة.. والتى تتضمن الأفكار الثورية التى لم يتفوه بها أحد من قبل .

بوروكر :

ولكن لا يسعنى إلا أن أصرخ بأعلى صوتى وأقول هذا ما يحدث "مع الأسف " دائمًا ... فأنا دائمًا ما أقف فى الجبهة التى تتزعم المعارضة لكل ما يقوله المدير ... فالمدير وكل أفراد الطاقم المدرسى يقفون ضدى . إن مدرس التربية الرياضية هو الوحيد الذى يوافقنى الرأى... ويقف لمساندتى بين الحين والآخر .. أعتقد أنه رجل فاضل وله رأى مستنير. إننى على يقين من أنك تعرف الكثير والكثير عن المشكلات التى تعج بها المدرسة، وأيضا عن المشكلات التى تعوق القضية التعليمية بشكل عام ... إنك تنال جانبًا من الثقافة من خلال هذا الكم الضخم من الكتب الأدبية والكلاسيكية، فهى تسهم فى تعرفك عديدًا من القضايا المهمة التى تميز بها العصر الذى نعيش فيه ، لكن هل تسمح لى بهذه المناسبة أن أستفسر منك عن أسرتك ؟ هل أنت من عائلة يعمل أفرادها بالتدريس ؟!

فريبوزى :

ليس بالضبط .. ولكن .

بوروكر :

هل كان والدك قسيساً ؟

فريبوزى :

كان والدى يعمل خبازًا ... ولكننى كنت طالبًا فى كلية المعلمين، التى يتخرج فيها الطلبة ، ويعملون فيما بعد بالتدريس . وأقوم الآن

بالتدريس لتلاميذ فصل "٢ب" ، وكذلك لتلاميذ فصل "٤أ" بمدرسة بيستالوزى.

بوروكر :

نعم ... ربما يجوز لنا أن نطلق على أنفسنا إذن أننا زملاء فى العمل .. وكان من الواجب علىَّ أن أصل إلى هذه الحقيقة بنفسى .

فريبوزى :

لست سوى معلم متواضع فى مدرسة ما .

بوروكر :

ما كل هذا التواضع ؟! إنك تتكلم وكأننى لا أعرف كم المشكلات التى تئن منها رأسك ... وسوف تناضل من أجلها حتى النهاية .

فريبوزى :

أصارحك القول ، وأؤكد لك أيضا ... إن ما يدور برأسى ما هو إلا صرخات تصل إلى عنان السماء ... هل تعرف مثلا أن عدد تلاميذ فصل "٢ب" وحده يزيد على ثمانية وخمسين تلميذًا ، وأن عدد تلاميذ فصل "٤أ" يزيد على أربعة وخمسين تلميذًا ؟.. هذا بالإضافة إلى عدد من الساعات الإضافية التى أنوب فيها عن بعض الزملاء .. كما أن جدول الساعات غير مستقر بالمرة ، وبذلك نحصل كل يوم على جدول ساعات جديد ومختلف عن جدول البارحة .

بوروكر :

جدول الساعات ؟! فتغيير جدول الساعات من أفضل الأعمال التى تميز بها مدير المدرسة السيد *"Littschwager"* ليتشفاجر. ويحتسب ذلك من الأعمال الجليلة التى قام بها ، ويعده من أهم

إنجازاته التى كتب عنها . سوف أحضر لك هذا الكتاب غدًا ، لكى تتصفحه. إنه من الكتب القيمة جدًا التى يخاطب فيها الشباب .

فريبوزى :

وهل ستأتى فى الغد خصيصًا من أجل إحضار الكتاب ؟

بوروكر :

أصارحك القول ، إننى لن أحضر غدًا فقط من أجل إحضار الكتاب ... لو كانت المسألة تتعلق بالكتاب فقط لأرسلته إليك بالبريد مثلا ... ولكن قبل أن أنسى .. أرجوك ، هل يمكنك إعطائى قلم رصاص حتى أُدوِّنَ ملحوظة بسرعة ؟ اسمح لى من فضلك (يجلس **على مكتب فريبوزى**) .. لكن يا عزيزى ... لكن ... ما هذا الذى أرى يا عزيزى ؟ تترك أقلامك من دون تقليم ، ويتأرجح السن بداخلها ؟ (**يسحب سكينًا صغيرة من جيبه . ويبدأ فى تقليم الأقلام. فى هذه الأثناء تقتحم فرانسيسكا بهو الفندق، وتتجه مباشرة إلى درجات السلم . ومازال بوروكر مستغرقًا فى حديثه، ويقول :**)

بوروكر :

هذا ما أقوله دائمًا لأبنائى الطلبة . أقول لهم : عليكم أولاً تقليم أقلام الرصاص . ثم بعدها نبدأ فى التفكير ... ماذا سنكتب. وفى المرحلة الأخيرة نشرع فى الكتابة . هكذا وبمنتهى البساطة سأقولها لك مرة أخرى : أولا تقليم أقلام الرصاص ... ثم ... وأخيرًا ... أليس كذلك ؟

فريبوزى :

نعم ... نعم ... التفكير .

بوروكر :

وماذا بعد ذلك ؟ أجب !!

فريبوزى :

الكتابة ...

بوروكر :

(**يضحك**) : عظيم ... رائع ... الآن سأبدأ فى تدوين ملاحظاتى من "*Littschwager*" ليتسشفاجر (**مدير المدرسة : المترجمة**) وحتى فريبوزى ... آه ... وقبل أن أنسى ، أود أن أذكرك أن العطلة المدرسية سوف تبدأ قريبًا .. عرفت أنك سوف تذهب إلى منطقة الجبال الفرانكية ، وهذه فكرة رائعة .. لقد اخترت المكان المناسب يا عزيزى . وفى هذا الصدد دائما أقول لتلاميذى : أولا يجب علينا نعرف وطننا ، ثم ننتقل من مدينة إلى مدينة حتى نتعرف بلدنا كله ... ثم بعد ذلك يمكننا الذهاب إلى إيطاليا أو أسبانيا أو حتى اليونان ... أو أى مكان آخر يقودكم إليه الشوق .

(يُسمع دق على باب الحجرة. ينصت كل من فريبوزى وبوروكر)

فريبوزى :

(**يقول لبوروكر**) : أرجوك ، اخفض صوتك قليلاً .

بوروكر :

(**يهمس**) : إنها هى .. العروس الجميلة الصغيرة .. إذًا ينبغى علىِ أن أغادر حتى لا أقتحم عليكما هذه الخلوة الرائعة (**يمشى على أطراف الأصابع حتى يصل إلى النافذة، ثم يلتفت إلى فريبوزى، ويقول :)**

بوروكر :

أتمنى أن تكون قد أغلقت الغرفة من الداخل ! لو لم تكن قد فعلت ذلك ، فسيكون موقفى غاية فى الخجل والحرج .

فريبوزى :

من الطارق ؟

فرانسيسكا :

من يكون غيرى ؟ افتح الباب بسرعة !

فريبوزى :

فى الحال ياسيسكا ... فى الحال ... حالاً **(يقول بصوت خفيض)**: انصرف الآن من فضلك ... هل ترغب فى أن ... حتى فى أوقات العطلة ؟!

بوروكر :

وما الضرر فى ذلك ؟

فريبوزى :

أليس من الأفضل مثلا أن تقضى العطلة على شاطئ البحر ؟ ربما يكون ذلك أنسب شىء بالنسبة إليك ؟

بوروكر :

لا أبغض فى حياتى أكثر من مناطق الاستحمام والاستجمام ... سوف أذهب إلى الجهة التى سوف تقصدها أنت ... سأذهب حيثما تذهب أنت ... لكى أحظى بقربك ... أيضا لكى أستطيع، بالقرب منك ، أن استكمل أبحاثى عن الأدباء والفلاسفة، أمثال " *Jean Paul Richter* " چين باول ريشتر . لقد لاحظت أن مكتبتك الخاصة عامرة ببعض المجلدات لهذا العلاّمة .

فريبوزى :

ألا ترغب فى الذهاب إلى منطقة " *Wunsiedel* " فون زيدل ؟

بوروكر :

عليك أن تخمن الآن ياصديقى العزيز ، أية جهة سوف أقصدها **(يقف عند حافة النافذة ، ويقول)** : والآن أتمنى لك الاستمتاع بالطقس الجميل هناك . ولابد أن تكون قد تعاقدت مع شركة تأمين هناك. أليس كذلك ، أيها الماكر ؟

فريبوزى :

ولكن كيف عرفت ذلك ؟

بوروكر :

أعرف كل شىء عنك جيداً . **(يختفى . ينظر إليه فريبوزى فى ذهول وشرود ، إلى أن توقظه الطرقات العنيفة على الباب) .**

فريبوزى :

حالاً ... حالاً **(يقذف بالكراسات فوق المكتب ، ويفتح بعض الكتب، ثم يتوجه ناحية الباب كى يفتحه . تقتحم عليه فرانسيسكا الحجرة، وتقذف بنفسها فوق المقعد، وتحرك ساقيها فى غضب ، وتوتر وتقول):**

فرانسيسكا :

لم أر فى حياتى قط ... قط ... شيئًا كهذا ... فى البداية أنتظر فى بهو الفندق ، وبعد ذلك أصعد إلى حجرتك ... هل يمكنك أن تفسر لى ما يحدث ؟ وماذا تفعل هنا بمفردك طوال الوقت ؟!

فريبوزى :

أنا ... أنا ... أنا ... مازال هناك بعض الأشياء التى ينبغى لى الانتهاء منها أولا ... لابد أن أنتهى مثلا من كتابة خطبة نهاية الفصل الدراسى .

فرانسيسكا :

خطبة نهاية الفصل الدراسى ؟

فريبوزى :

نعم ... هذا هو دورى فى إعداد الخطبة ... سوف أتحدث عن بيستالوزى الإنسان والمربى .

فرانسيسكا :

هكذا ! بيستالوزى ؟!

فريبوزى :

أعتقد أن الموضوع شيق جدًا، لكنه يحتاج إلى إعداد جيد .

فرانسيسكا :

بيستالوزى يحتاج دائمًا إلى إعداد جيد .

فريبوزى :

بالتأكيد !

فرانسيسكا :

وماذا عنى أنا ؟ لن أستطيع الانتظار بأية حال من الأحوال حتى تفرغ من إعداد هذا الموضوع الشيق . إنك لن تكتب موضوعًا جيدًا عنى أنا ... بل ستكتب فقط عن السيد بيستالوزى .

فريبوزى :

أرجو ألاّ تضطربى هكذا ... أرجو أن تهدئى ياعزيزتى ...لم يكن

هذا هو الذى منعنى من النزول إليك .. إنك تعرفين جيدًا أننى مشغول بتصحيح كراسات تلاميذ فصل ٤أ . كذلك هناك بعض الخطابات والأعمال التى لابد من إنجازها ... وأنت ترين بنفسك ، ماذا أفعل لتوى ... وفى أثناء العطلة لن أتمكن من إنجازها ... لذلك لا ينبغى أن تظل معلقة هكذا .

فرانسيسكا :

هل هذا معناه أننى أحول دون إتمام ما ترغب فى الانتهاء منه ؟ وأمنعك أيضا من كتابة رسائلك ؟ إذًا ، افعل ما شئت ، وسافر أيضا لقضاء الأجازة بمفردك. لك مطلق الحرية ... افعل ما تشاء... لأن قضاء العطلة فى الجبال الفرانكية بالنسبة إلىّ يُعد شيئًا سخيفًا ومملاً... ولا يحرك فى ساكنًا ... ولا أشعر بالانجذاب إلى هذه المنطقة. إنها تمطر هناك طوال الوقت ... لقد سمعت كثيرًا عن تلك الأفكار ... ربما كان من الأفضل لو ذهبنا إلى مدينة "*Bayreuth*" – بايرويت – ولكن ... لنترك الأمر هكذا .

فريبوزى :

إننا نسافر إلى مدينة بايرويت مرتين فى السنة ، لقد حجزت تذكرتين ، مرة لمسرحية " الهولندى " وفى آخر الأجازة نشاهد معا مسرحية " تريستانى " .

فرانسيسكا :

لن أحتمل أكثر من ذلك ... ولا أرغب حتى فى قضاء العطلة فى بايرويت ؛ لأن هذه المدينة لم تعد مثلما كانت من قبل . ألم يخطر ببالك مكان آخر لقضاء العطلة فيه ؟

فريبوزى :

إنك لا تفضلين قضاء العطلة فى مدينة " *Marburg* " ماربورج مثلا.

فرانسيسكا :

أحب قضاء العطلة فى سويسرا، وليس فى إحدى مدن ألمانيا .. أتفهم ؟ سويسرا ... سويسرا ... سويسرا .. هل تسمعنى ؟ سويسرا .

فريبوزى :

اعتقد أن فكرة سويسرا ربما تكون قد جاءت متأخرة بعض الشىء.

فرانسيسكا :

لا أقبل تلك الحجج . كل شىء قابل للتنفيذ . ويجب ألا نتذرع دائما بالحجج الواهية ونقول " لقد تأخر الوقت " .

فريبوزى :

أين قرأت تلك الأفكار؟

فرانسيسكا :

إنها من وحى خيالى وتفكيرى ... والآن أخبرنى ، هل سنذهب إلى سويسرا أو لا ؟ ... سوف أعد ثلاث مرات حتى المائة ، وسيكون العد بطيئاً . وإذا لم تكن قد قررت إلى أين نذهب معًا سوف أذهب بمفردى ... واحد ... اثنان ... ثلاثة... أربعة ... خمسة (**وبصوت خفيض**) ست عشرة ... والآن سوف أنظف أسنانى بالفرشاة فى أثناء العد، وحتى انتهى من الثلاثمائة . هل تسمح لى ؟ عشرون ... واحد وعشرون (**تذهب إلى الحوض**) .

فريبوزى :

سأحضر لك فرشاة جديدة .

فرانسيسكا :

خمس وعشرون ... لماذا ؟... سبعة وعشرون .. هل تعنى أننى أشمئز من فرشاة أسنانك ؟... ثلاثون ... إنك خطيبى ولا بأس من استخدام فرشاة أسنانك ... اثنان وثلاثون ... ثلاث وثلاثون ... **(تأخذ الفرشاة التى استخدمها بورركر ، وتضع فوقها معجون الأسنان) .**

فريبوزى :

سيسكا ... أرجوك ... لا علاقة للمسألة بالتقزز أو الاشمئزاز ... ولكن يجب ألا يستخدم أحد فرشاة الآخر ، مهما تكن درجة القرابة.

فرانسيسكا :

هراء ... خمسون ... لا تكن شديد الحساسية ... ثلاث وخمسون... إن هذا المعجون رائع بالفعل ... خمس وخمسون ... تُرى ما اسم هذا المعجون ؟

فريبوزى :

كلولورومينت .

فرانسيسكا :

ثمان وخمسون ...

فريبوزى :

انتظرى ، سوف أهديك بعضًا منه .

فرانسيسكا :

أعتقد أنه عندما أستخدم الأشياء الخاصة بك ، فإنك تشعر بعدم الارتياح ... أليس كذلك ؟ ثمان وستون ... أليس كذلك ؟

فريبوزى :

شىءمضحك ... لماذا تقولين ذلك ؟ وما معنى أنك تربطين بين كونك خطيبتى وبين استخدامك لأشيائى الخاصة ؟ صحيح أنك خطيبتى ...

فرانسيسكا :

ما أجمل أن أسمع منك ذلك ... خمس وسبعون (**تنظف أسنانها وفريبوزى ينظر إليها، ويشعر بالغثيان والتقزز**) .

فريبوزى :

هل ترغبين حقًا فى قضاء الأجازة فى سويسرا ؟

فرانسيسكا :

أين إذًا إن لم يكن فى سويسرا ؟ مائة ... واحد ... اثنان .. ثلاثة .. أربعة (**مازالت مستمرة فى تنظيف أسنانها**) .

فريبوزى :

ولكننى أرغب فى زيارة بعض الكنائس المبنية فى العصر الباروكى .

فرانسيسكا :

سوف تستمتع بمشاهدة الأبنية التى يرجع تاريخها إلى العصر الباروكى فى سويسرا أيضًا ... مائة وثلاثون ...

فريبوزى :

بالتأكيد فى لوزان مثلا ... فهناك كنيسة الجزويت .

فرانسيسكا :

إنك تؤكد بنفسك كلامى ... ثلاث وأربعون (**تمضمض فمها عدة مرات**) .. اثنان وستون .. بستالوزى العجيب هذا أليس هو أيضا من سويسرا ؟

فريبوزى :

لقد ولد بستالوزى فى الثانى عشر من شهر يناير من عام ألف وسبعمائة وأربعة وستين فى مدينة زيورخ ، وتوفى فى السابع عشر من شهر فبراير فى مدينة بروج ، على نهر الآراجو " *Aragau* " .

فرانسيسكا :

مائة وأربعة وتسعون .

فريبوزى :

ماذا ؟

فرانسيسكا :

مائة وخمسة وتسعون ... سأقترح عليك شيئًا ... أعتقد أنك ترغب فى قضاء العطلة فى سويسرا ... وأعتقد أيضًا أن سويسرا أفضل من تلك المنطقة ... ماذا كان اسمها ؟

فريبوزى :

ڤون زيدل .

فرانسيسكا :

نعم ... نعم ... مائتان وأربعة ... إذًا عليك أن تكرر كلمة سويسرا عشر مرات ... ثم بعدها سوف تلاحظ أنك ترغب فى قضاء

الأجازة هناك ... فلا تكن عنيدًا هكذا يا فتى . مائتان وثمانية عشرة ... وبعد غد سوف نذهب ... ردد ورائى .. إلى أين ؟ ..

فريبوزى :

... إلى سويسرا !

فرانسيسكا :

مائتان وتسع وعشرون ... لقد استغرق اتخاذ هذا القرار منك وقتًا طويلاً ... (**تعانقه بشدة**) ، أنت الآن ... حبيبى الغالى ... وأنت أرنست الشجاع ... قبلنى الآن ...

فريبوزى :

آه ياسيسكا .. (**يهم بتقبيلها ، ولكنها تنزع نفسها من بين يديه**) .

فرانسيسكا :

لا .. ليس الآن .. عليك أولا أن تنظف أسنانك بالفرشاة ... إن طعم المعجون رائع ... والآن خذ الفرشاة ، وابدأ فى تنظيف أسنانك!

فريبوزى :

ولكننى قمت بتنظيفها فى التو واللحظة ... ألا تتذكرين ؟

فرانسيسكا :

(تناوله المعجون والفرشاة، وتقول) : ستنظف أسنانك حالا .. وسأعد من واحد إلى عشرة ببطء وإن لم تكن قد نظفتها بعد ... واحد ... اثنان ... ثلاثة ... أربعة (**فريبوزى يأخذ الفرشاة والمعجون ، ويذهب إلى ركن من أركان الحجرة . يدير ظهره إلى فرانسيسكا ... وفى هذه الأثناء تلقى فرانسيسكا بنفسها فوق السرير ، وتنظر إليه وهو ينظف أسنانه ، وتقول له**) :

فرانسيسكا :

أدر وجهك إلىَّ يافريبوزى ... أريد أن أراك وأنت تنظف أسنانك.

(يستدير كى تراه ... ويغلق عينيه، ثم ينظف أسنانه) ... هكذا ...

إننى سعيدة الآن لأننا سوف نقضى الأجازة فى سويسرا .

الفصل الثاني

المنظر :

فى عـربة النوم بالقـطار . فى إحـدى كـبـائن القطـار المضـاءة تُرى فـرانسـيسكا وهـى ترقـد فـوق السـرير الأسـفل . أمـا فـوق السـرير العلوى فـيجلس فـريبـوزى ، ويبـدو مـشـغـولاً فى تصـحـيح كـراسـات التـعبير. وفى نهاية الممـر الشمـالى لعربة النوم تظهـر لافتـة مضـاءة مكتوب عليها .W.C (أى تواليت) . ومن خلال نـافذة القطار تُرى فى الخارج حقول ممتدة ، ولكن الإضـاءة خافتة ، وهذا يدل على أن الوقت كـان ليلاً . كـمـا تُرى أعـمـدة التلغـراف، وتسـمع صـفـارات القطار .

فرانسيسكا :

ماذا تفعل الآن ؟

فريبوزى :

ماذا تقولين ؟

فرانسيسكا :

أطفئ الأنوار من فضلك ... أريد أن أنام الآن !

فريبوزى :

ثلاث كراسات فقط ، وانتهى من تصحيح الكراسات .

فرانسيسكا :

هل من الضـرورى تصـحـيح الكراسـات الآن ؟ أعتـقـد أن الأجـازات تبدأ بالأحداث السعيدة ، وليس بتصحيح الكراسات .

فريبوزى :

إذا لم أنتــه من ذلك الآن ... فلـن انتــهى أبدًا من هـذا العـبء الثقـيل... إنها آخر موضوعات تعبير فى هذا العام الدراسى ، أقوم

بتصحيحها لتلاميذ فصل ٤أ. هل ترغبين فى رؤية بعضها ؟ إن بعض التلاميذ يكتبون موضوعاتهم بطريقة مرحة جدًا ... كما أن لهم ملاحظات ذكية ومبتكرة جدًا .

فرانسيسكا :

أرغب فقط فى النوم الآن ... هل تسمعنى ؟
أطفئ الأنوار الآن !!

فريبوزى :

أعتقد أنه يجب على الخطيبة أن تُعنى بأمور خطيبها . وأنت لا تعنين– أبدًا – بأمورى أو بوظيفتى ، ولا ترغبين فى معرفة ما يعجبنى . أليس كذلك ؟!

فرانسيسكا :

هذا ليس صحيحًا ، ولكن – على أقل تقدير – لا أرغب فى سماع أى شىء الآن عن تلك الأمور ... على الأقل فى الأجازة فقط . إننى أطمع فى الاستجمام والراحة ... وأن أستنشق الهواء ، واستمتع بشرب اللبن . والآن أود أن أنام ... أطفئ الأنوار الآن !!

فريبوزى :

أرجوك ، فرانسيسكا ... فلتفعلى لى صنيعًا ... أرجوك لا تقاطعيننى حتى أفرغ من تصحيح خمس الكراسات الباقية ... سأسرع قدر الإمكان ... وسوف أطفئ النور على الفور .

فرانسيسكا :

من قبل قلت لى ثلاث كراسات ... ثلاث فقط ...

فريبوزى :

ربما أكون قد أخطأت فى العد ياعزيزتى ...

فرانسيسكا :

وربما تكون قد أخطأت فى العد هذه المرة أيضا ... لذلك ينبغى لك الآن أن تعد الكراسات مرة ثانية ، حتى تتأكد أنها لم تصبح الآن سبع كراسات مثلا ... أو ربما إحدى عشرة كراسة .

فريبوزى :

عندما أقول لك خمس كراسات ... فهذا معناه أنها خمس كراسات.

فرانسيسكا :

ولكنك قلت ثلاث كراسات من قبل ...

فريبوزى :

ولكننى صححت أخطائى بعد أن تأكدت من أنها خمس كراسات وليس ثلاث ... هل أنت الآن راضية عنى ؟

فرانسيسكا :

كم دقيقة سوف تحتاج لتصحيح كل كراسة ؟

فريبوزى :

هذا يتوقف على ....

فرانسيسكا :

على ماذا ؟

فريبوزى :

على طريقة كتابة المقال ... وكذلك على الأسلوب الذى كُتب به، وأيضا إذا كان المقال طويلا أم قصيرًا ... وكذلك عدد الأخطاء الموجودة فيه .... هل هى أخطاء بسيطة أو من الأخطاء التى على المصحح أن يتوقف عندها طويلا ... وربما تحتاج إلى تفكير طويل.

فرانسيسكا :

تستطيع أن تفعل ذلك كله، وتحسب فى رأسك ، وتأخذ متوسط الوقت الذى تحتاج إليه كل كراسة .

فريبوزى :

إذا كان لابد من ذلك ، وإن كان ذلك سوف يضفى عليك الراحة النفسية والوئام ، فسوف أقول لك إن كل كراسة سوف تحتاج - فى المتوسط - إلى دقيقتين .

فرانسيسكا :

كل كراسة ؟

فريبوزى :

نعم ... تقريبًا ... فى المتوسط .

فرانسيسكا :

وكم عدد الكراسات الآن ؟

أقول لك خمس كراسات للمرة المائة . هل استرحت الآن ؟ هل تكفى المعلومات التى أدليت لك بها ؟

فرانسيسكا :

هذا معناه أنك سوف تفرغ من مهمتك بعد عشر دقائق من الآن ...

فريبوزى :

طبقًا لتقييم آدام ريزه .

فرانسيسكا :

سوف أعد إذًا من الآن وببطء حتى ستمائه ... ومن ثم سوف تكون قد فرغت من مهمتك فتطفئ النور .

فريبوزى :

حسن ياسيسكا ... ويمكنك أن تعدى حتى إلى ست آلاف ... ولكن أرجوك بصوت خفيض .

فرانسيسكا :

لكى تقول لى بعد ذلك أننى قمت بالغش فى أثناء العد !!

فريبوزى :

سأصدقك على الفور ياسيسكا، ولن أقول لك ذلك ... هذا وعد منى بذلك ... إننى أعرف أنك بارعة فى لعبة العد هذه . وإننى على يقين من أنه لا يجانبك الصواب أبدًا ... أثق فيما تقولين **(بعد فترة صمت)** ... سيسكا هل بدأ الآن ؟

فرانسيسكا :

بديهى ، ثمانية وعشرون .

فريبوزى :

ولكن لم أنته بعد من تصحيح الكراسة الأولى حتى الآن .. لابد أنه حدث سوء تفاهم بيننا . ربما الأفضل إذا أعدت المحاولة بعد أن أفرغ من تصحيح هذه الكراسة .

فرانسيسكا :

حسن ... سأنتظر **(بعد قليل)** هل انتهيت الآن ؟

فريبوزى :

حالاً ... حالاً ...

فرانسيسكا :

أرنست ... هل تغشنى ... هل عدد الكراسات خمس بالفعل ؟

فريبوزى :

إنها خمس كراسات بالفعل .

فرانسيسكا :

ربما يكون الأفضل أن أصعد إليك وأرى بنفسى ؟

فريبوزى :

ألا تستطيعين منحى قدرًا قليلاً من الثقة ؟ هل أنا كاذب دائما من وجهة نظرك ؟ ... هل أنا من وجهة نظرك دائمًا تلميذ وقح ، يقوم بارتكاب الأعمال الدنيئة والوقحة كلها ؟ وتعتقدين أيضا أننى قادر على إطلاق عديد من الأكاذيب والادعاءات . إننى أشعر بالخجل لأننى غير قادر على أن أكسب ثقتك ... فهذا يجعلنى غير قادر على تخيل كيف أننا سوف نبنى حياتنا معًا فى المستقبل .

(تنهض فرانسيسكا ، وتمسك بالكراسات الموجودة فوق سرير فريبوزى ... وتعدها ، ثم تلقى بها فوق السرير) .

فرانسيسكا :

لقد خنت الثقة كالعادة ... إنها سبع كراسات ... ماذا تقول الآن ؟ هل هى فى نظرك سبع كراسات أو أنك ترى شيئًا آخر ؟

فريبوزى :

ولكن لماذا تدسين أنفك فى خصوصياتى كلها ؟ هذه أمور تخصنى وحدى ولا شأن لك بها .

فرانسيسكا

أعتقد أن هذا يزيد من سعادتك إذا أبديت الاهتمام بمهنتك، وشاركتك الرأى فى تصريف أمورك ... وهذا ما طلبته منى من قبل. أليس كذلك ؟

فرييوزى :

... إذًا ، فعدد الكراسات فى حقيقة الأمر سبع ، وليس خمسًا ... هذا سخف وشىء لا يعقل .

فرانسيسكا :

لقد حدثت المعجزة ... ولكن فسر لى معنى العبارة التى تقولها : "شىء لا يعقل " ؟

فرييوزى :

لا تغالى فى الأمر ... فالقصة لا تحتاج إلى هذه التعقيدات كلها . أرجوك .. إننى متعب جدًا ... وربما يكون هذا الخطأ قد حدث بسبب أننى متعب ، ولكننى لم أتعمد ذلك .. وهذا يحدث للبشر جميعاً .

فرانسيسكا :

هذا حالك دائما عندما أواجهك بكذبك ... كثيرًا ما تدَّعى أن هذا يحدث نتيجة لتوترك الزائد على الحد ، ونتيجة للأرق الذى يحدث لك من جراء مهنة التدريس الشاقة . على أية حال ، سوف أبدأ فى العد حتى ثمانمائة وأربعين... وبعدها ... ستُطفَأ الأنوار ... يمكنك التأكد من أننى سوف أفعل ذلك . والآن سأبدأ فى العد : ... واحد ... اثنان ... ثلاثة ... أربعة ... خمسة ... ستة .

فريبوزى :

أرجوك ياسيسكا اخفضى من صوتك .

(ترقد فرانسيسكا فوق السرير بلا حراك .. أما فريبوزى فيستمر فى تصحيح الكراسات . بعد أن ينتهى من تصحيح الكراسة يمعن فى النظر فيها مرة أخرى ، ثم يغلقها ويقول لنفسه) :

فريبوزى :

يافريبوزى !

(فى هذه اللحظة يتحرك الغطاء فى نهاية السرير عند القدمين ويظهر من تحته القرين ، الذى يجلس الجلسة نفسها التى يجلسها فريبوزى)

القرين :

والآن يافريبوزى ، ماذا بعد ؟

فريبوزى :

هل مازالت تعد إلى الآن ؟

القرين :

وماذا يمكنها أن تفعل غير ذلك ؟

فريبوزى :

ربما تكون قد استغرقت فى النوم فى أثناء العد ؟

القرين :

ليس هذا من طباع فرانسيسكا . فلتسألها إذًا لكى تتأكد !

فريبوزى :

ما أجمل أفكارك الرائعة .

القرين :

من المؤكد تمامًا أنها لم تتم .

فريبوزى :

يبدو أنك لا تعرفها جيدًا .

القرين :

فلتسألها إذًا !

فريبوزى :

أخشى على نفسى من سؤالها .

القرين :

دائما ما تخشى ثورتها ؛ لأنها ربما تفصل رأسك عن جسدك ، أو تفعل بك شيئًا من هذا القبيل . ولكن - على أية حال - عليك أن تسألها... لكى تصبح على يقين .

فريبوزى :

سأناديها على مسئوليتك (**بصوت خفيض**) فرانسيسكا ؟

القرين :

بصوت أعلى قليلا !

فريبوزى :

سيسكا ! هل تنامين الآن ؟ أحمد الله .. إنها الآن تستغرق فى النوم.

القرين :

ولكن لا يمكنك أن تكون على يقين تجاهها أبدًا .

فريبوزى :

دعنى وشأنى . إنك متشائم دائما ... وتضيق الدنيا فى عينيك من

أقل شىء. وترغب دائمًا فى أن تلعب دور الأرجح عقلاً ، لكنك فى الحقيقة أصغر وأتفه مما تتصور .

القرين :

الأمر يعود عليك ، ومع ذلك من نادى على من هنا ؟

فريبوزى :

كنت أرغب فى معرفة ما إذا كان قد غلبها النعاس أم لا .

القرين :

أظن أنك متأكد من ذلك ؟

فريبوزى :

نعم ، لقد تأكدتُ الآن ... لم أكن متأكدًا قبل ذلك .

(فرانسيسكا تتحرك)

القرين :

أمازلت متأكدًا ؟

فريبوزى :

لقد كانت تتقلب فقط فى سريرها ليس إلا ! وهى تفعل ذلك دائما فى أثناء نومها . وهذا لا يدل على شىء بعينه ، وهاهى تتوقف عن الحركة ، وتعود إلى السكون .

فرانسيسكا :

أرنست ، إنك لم تطفئ النور بعد **(تقول بصوت يغالبه النعاس)** . أشعر أن الطقس شديد الحرارة هنا ... أرجو أن تطفئ الأنوار ...

فريبوزى :

حالاً ... حبيبتى ... حالاً **(يقول للقرين)** : والآن اذهب على الفور.. **(ينظر إلى فرانسيسكا ويوجه كلامه إليها)** : والآن عودى إلى النوم يا طفلتى.

فرانسيسكا :

افتح النافذة أولا ... الطقس حار جدًا هنا .

فريبوزى :

أخشى أن تصيبك نوبة برد من الهواء البارد القادم من الخارج .

فرانسيسكا :

افتح النافذة ، أرجوك !

فريبوزى :

لا .. لن أفعل .

فرانسيسكا :

إذًا سوف أنهض .

القرين :

اتلقّى وعدك ، هيّا .

فريبوزى :

حسن .. إنك على حق . إن الطقس هنا بالداخل خانق وشديد الحرارة (**يفتح النافذة**) .

فرانسيسكا :

لا تفتح النافذة على مصراعيها .. يكفى جزء بسيط منها ... كفى ... كفى .. هذا يكفى .

فريبوزى :

والآن عودى إلى النوم ي حبيبتى .

القرين :

اتلقى وعدك ، هيّا .

فرانسيسكا :

سأحاول ... والآن أطفئ الأنوار . (**تستدير تجاه الحائط**) .

فريبوزى :

حالاً ياطفلتى .. وتصبحين على خير .

فرانسيسكا :

وأنت أيضًا .

(**فترة صمت . فريبوزى والقرين ينصتان**) .

فريبوزى :

اذهب الآن !

القرين :

حالاً ...

فريبوزى :

أخيرًا ... الحمد الله .

القرين :

أشعر بسعادة غامرة لأنها نامت أخيرًا . إنها كثيرًا ما تشعرنى بالتعاسة والإحباط .

فريبوزى :

إنها لا تقصد ذلك أبدًا ... أنها نقية السريرة .

القرين :

إنها تتعمد ذلك كثيرًا .. أنا أعرفها جيدًا . إنها تظل تنخر حتى تصل إلى المواضع الضعيفة وتثبت أقدامها ، ولا تدع الفرصة تفلت من بين يديها . ولديها مهارة أخرى : ففى البداية تُصِرُّ على إطفاء المصباح ، ثم تُصِرُّ على فتح النافذة ... ولو علىّ أنا فإننى سأعيد غلقها أم أن لك رأى آخر ؟

فريبوزى :

إنك تهذى الآن بأية أفكار تخطر على بالك .

القرين :

أنا لا أتمسك بمبـدأ بعـينه ... لأن لكل مـوقف عندى مـعـاييـر مـختلفـة... أنا لا أتعـامل مع الخطط السابقـة التـجهيـز ، ولكننى أتصرف بمبدأ الموقف نفسه ... لذلك أستخدم المبدأ الذى يتطابق والموقف نفسـه ... وفى هذه الحـالة تنبع قـراراتك من الحـالة النفسية التى تمر بها فى تلك اللحظة ... ويكون رأيك وقرارك وليد اللحظة نفسها . ولنأخذ - على سبيل المثال - صديقك الغريب عديم الحياء بوروكر...

فريبوزى :

أرجو ألاّ تذكرنى به ..

القرين :

أعتقد أن مجرد الكلام عنه يسبب لك الإحراج، لذلك فإنك تتمنى فى هذه اللحظة أن يبتعد عن طريقك السيد فريبوزى يعتقد - بالتأكيد - أن بوروكر قد ذهب إلى " فون زيدل " لقضاء الأجازة هناك ... فلابد أن يكون قد ذهب إلى هناك . ويقوم فى هذه الأثناء بعمل الأبحاث عن " Jean Paul " چين باول، ولكننى سأسافر إلى سويسرا ... هاهاها ... سويسرا ... سويسرا ...

فريبوزى :

اهدأ الآن ، أرجوك ! يا فريبوزى .

القرين :

والآن فلتنصت إلىَّ جيداً يافريبوزى . إنك تعتقد أنك تتوجه إلى

سويسرا لقضاء أجازة سعيدة ورائعة ... ولكن لكى تستمتع حقًا بالأجازة السعيدة ، كان من الواجب عليك أن تتوجه قبل ذلك إلى قسم الشرطة ... أولا إلى قسم الشرطة يا عزيزى ... ثم بعد ذلك إلى سويسرا ... هذا البلد الرائع الجميل ... بلد " بستالوزى " . وهناك تستطيع أن تفعل ما يحلو لك ، حتى أن تنفخ فى بوق جبال سويسرا الشهير .

فريبوزى :

إنك تسرق سعادتى منى ... أنت يا هادم اللذات ... يا أنت .

القرين :

وماذا عنك ... ما أنت إلا غارق فى الأحلام . إنك تعتقد أنك تستطيع أن تلعب دور المعلم الحكيم المستنير ... هل تصدق أن الزميل بوروكر لا يعرف أين تقع سويسرا ؟

فريبوزى :

تجتاحنى الرغبة فى أن أترك كل ما أفعله الآن ، وأغادر هذا المكان، وأتوجه إلى أول محطة يقف فيها القطار الآن . لا أرغب فى البقاء هنا أكثر من ذلك .

القرين :

فكرة جيدة ... فريبوزى ... فلتتماسك يا أيها الإنسان .

فريبوزى :

أتعتقد ذلك ؟

القرين :

هذا أفضل ما يمكن أن تفعله الآن .

فريبوزى :

وماذا عن فرانسيسكا ؟

القرين :

اترك لها ورقة ، وعليها الرد على عنوان مكتب البريد.

فريبوزى :

إنه يراقبنى دائما ، ويتبعنى أينما أذهب .. ولكن لابد من المحاولة .

ما اسم المحطة القادمة التى سوف يتوقف عندها القطار ؟

(تُسحب النافذة من الخارج وتُفتح ، ويقف وراء زجاجها بوروكر، ويتطاير شعره من تأثير حركة القطار) .

القرين :

لا أعرف بالضبط .

بوروكر :

سنصل فى خلال نصف ساعة إلى مدينة " *Karlsuhe* " كارلس روهى .

فريبوزى :

(يقول للقرين) : ألا ترى ... إنها أفكارك ... ونصائحك .. يا إلهى... ما هذا ... السيد بوروكر ؟

بوروكر :

فى حقيقة الأمر ، كل شىء عندك ينطق بالسكينة والهدوء .. والآن، فقط نصف ساعة وتصل إلى حيث تريد .. هذا هو بالضبط ما أقوله لتلاميذى .. لابد من الصمود .. المقاومة .. التماسك ، وسوف تحظون بالنتيجة المرضية .

فريبوزى :

(**يقول للقرين**) : عليك أن تختفى الآن ... انصرف على الفور ! إنك تقلب حياتى رأسًا على عقب . (**يغوص القرين تحت الغطاء ويختفى**).. لماذا ينبغى لى أن أشعر بكل هذه المعاناة ؟ ألا يوجد مكان آخر فى هذا العالم أرحب من ذلك القفص الضيق الذى نسميه " الحياة" ؟

بوروكر :

من ذا الذى يتكلم بهذه النظرة التشاؤمية ويتكلم عن العدم ؟ دعك من هذا ... ولنرفع شعار : إلى الأجازة .. إلى الانطلاق ... إلى الحرية ... دائما ما أقول لتلاميذى ...

فريبوزى :

اخفض صوتك من فضلك ... اللعنة ... إنك سوف تجبرنى على أن أتحول إلى قاتل ... حماقتك الملعونة سوف تؤدى بى إلى الهلاك .

بوروكر :

ما كل هذا يا صديقى العزيز ؟ إنك لم تُخلق يا عزيزى لكى تكون من مرتكبى الجرائم البشعة ... ليس فى شخصيتك ما يدل على غريزة حب سفك الدماء . لا ... لا ... أبدًا يا عزيزى .

إذا فكرت فى هذه الأمور ، فإن ذلك سوف يدفعك إلى مزيد من العصبية والقلق والتوتر ... إن الحيرة وعذاب الضمير سوف يؤرقان مضجعك ...

فريبوزى :

إنك تعرفنى جيدًا ... أيها الوقح .

بوروكر :

أرجوك .. لا .. لا .. لا .. لماذا تتلفظ بهذه الكلمات الجارحة ؟ هل من الواجب علىَّ أن أسمع تلك الكلمات البذئية ؟

فريبوزى :

اذهب الآن وإلا ... سوف تقلق فرانسيسكا وتستيقظ من نومها .

بوروكر :

الحق كله معك ... إن هذا المكان ليس لائقًا بلقاءاتنا ... ربما من الأفضل أن أقترح عليك أن نذهب إلى مكان أبعد قليلا من هنا ... هل تفهم ما أقصد ؟ ... وليكن فى مقدمة القطار مثلاً .

فريبوزى :

لا أفهم شيئًا أبدًا ... ولا أريد أن أفهم شيئًا بالمرة . والآن سوف أغلق النافذة ، ولن أهتم بما سوف يحدث لك . **(فريبوزى يحاول إغلاق النافذة ، ولكن بوروكر يظل متشبثا بها)** .

بوروكر :

أرجوك لا تفعل ذلك أيها الرجل الفاضل ... لقد طلبت منك عروسك الجميلة الصغيرة أن تترك النافذة مفتوحة ، لأنها تشعر بحرارة الجو الخانق ، ولا تستطيع النوم فى هدوء .. على أية حال سوف نتقابل حالاً .. أليس كذلك ؟! ولكن قبل أن تغلق النافذة أخبرنى أين سنتقابل بالضبط . إنك تعرف تمامًا مثلى المكان المحبب بالنسبة إلينا ... كنت أتمنى أن أقول الكلمة الدالة على ذلك بصوت عال ... ولكن فكر فيما كان يقوله كل من ونستون وتشرشل... سنتقابل حالا ... فى التو واللحظة **(يختفى ... فى اللحظة نفسها ينطلق القرين كالسهم من تحت الغطاء)** .

القرين :

هذا الحيوان ... هذا الخنزير ... هذا التافه ... الملعون ... القذر... الحقير ... كان من الواجب عليك أن تقذف به خارج النافذة ... إنه لا يستحق الحياة.

فريبوزى :

دعنى وشأنى ... أرجوك ... فلتتصرف الآن !

القرين :

ولتذهب أنت أيضًا ... ولكن إياك وارتكاب الحماقات ... هل تسمعنى يافريبوزى ؟

فريبوزى :

نعم ... يافريبوزى أسمعك جيدًا **(يختفى القرين ببطء تحت الغطاء ... ينهض فريبوزى من السرير متباطئًا وبحذر شديد ... وعندما يأخذ الأدوات الخاصة به من الحقيبة المفتوحة ويهم بالانصراف ، تستيقظ فرانسيسكا) .**

فرانسيسكا :

ماذا يحدث هنا ؟ هل نحن الآن فى سويسرا ؟

فريبوزى :

لا ياحبيبتى ... نحن نقترب من مدينة *Karlsruhe* كارلس روهى . فلتهدئى وتنامى ياحبيبتى ... أرجوك !

فرانسيسكا :

وأين أجد الراحة إذًا ؟ يُطلق على هذا المكان " عربة النوم " ، ولكنك تقلقنى وتوقظنى باستمرار كلما استغرقت فى النوم .

فريبوزى :

سيعم الهدوء حالاً ... لحظة واحدة فقط ... سأذهب إلى ... ثم أحضر على الفور ...

فرانسيسكا :

(**تقفز من سريرها وتقول**) ... ولابد أن أذهب إلى المكان نفسه أيضا ... دعنى أولاً ...

فريبوزى :

ولكننى أحتاج فقط إلى دقيقة واحدة ...

فرانسيسكا :

وأنا أحتاج إلى وقت أقل من ذلك .. والآن دعنى أولاً ..

فريبوزى :

لا ... كنتُ فى طريقى قبلك إلى هناك .

فرانسيسكا :

أنا امرأة ... ولابد من تحقيق رغبات النساء أولاً ...

فريبوزى :

ولماذا لم يخطر ذلك على بالك قبل أن أخبرك به ؟

فرانسيسكا :

كنت نائمة .. وأنت الذى أيقظتنى . والآن .. دعنى أولاً ..

فريبوزى :

(**يتصارعان**) ولكننى قلت لك .. سأذهب أنا أولاً ..

فرانسيسكا :

إنك فظ وغير مهذب (**تجذبه بعنف ، وترتدى الروب ، وتغادر عربة النوم ، وتسير ببطء فى ممر عربات النوم ، إلى أن تصل إلى دورة**

المياه... تدق على الباب ولكنها لا تسمع ردًا ... فتعود مسرعة إلى عربة نومها ... وفى اللحظة التى تغادر فيها عربة النوم، يطل القرين برأسه من تحت الغطاء) .

القرين :

دائما ما يحدث معك ذلك .. تدعها تفعل ما تشاء ، وتصبح صاحبة الكلمة العليا ... ودائما تخضع لأوامرها ...

فريبوزى :

لقد سمعت ما قالته .

القرين :

ولكنها ليست دائما على حق .

فريبوزى :

كثيرًا ما تتظاهر بأنك تعرف الكثير والكثير، ولكنك فى حقيقة الأمر لا تعرف شيئًا أبدًا .

القرين :

لقد أصرَّت على ذلك ؛ لأنها شاهدتك وأنت تهم بالخروج ... كان ينبغى لك أن تقول لها ، إنك ترغب فى التدخين مثلا ، أو أى شىء آخر من هذا القبيل .

فريبوزى :

أو أى شىء آخر من هذا القبيل ... فلتفكر إذًا فى حيلة أيها المفكر العبقرى .

القرين :

وأعتقد أن سلوكك تجاه بوروكر كان خطأً .

فريبوزى :

والآن . أرجو الاّ تنطق بكلمة أكثر من ذلك .

القرين :

وحيث إنك لن تتقدم بشكوى إلى قسم الشرطة ، كان من الواجب عليك أن ترسم خطة لكى تتخلص منه ... أنت تعرف تمامًا ماذا أقصد . ما كان أحد سوف يوجه أية تهمة إليك . كان من الممكن أيضا أن تسحب الفرامل التى تستخدم عند الطوارئ مثلاً ... وأعتقد أن هذا كان أفضل حل فى نظرى ... كان من الممكن أن تسدد له ضربة قوية فى الصدر ... وأفضل من هذا كله ، كان عليك الذهاب إلى قسم الشرطة وقتها عندما فوجئت بوجوده عندك فى الفندق . كما أنه كان من الواجب عليك أيضًا ألا تخضع دائمًا لأوامر فرانسيسكا ... أبدًا ... لابد أن تفكر أولاً ... وتتصرف حسب الموقف نفسه .. لاينبغى قط أن تنفذ دائما ما تؤمر به .. أما عن بوروكر ، فكان لزامًا عليك أن تتصرف حياله بشىء من الجدية .. فمنذ أول يوم اقتحم فيه عليك نافذة حجرتك، كان عليك أن تقذف به خارج النافذة ، أو أن تتصل على الفور بقسم الشرطة ... المسئول عن الجرائم أو حتى شرطة الآداب ... والآن كان ينبغى لك أن تسدد له ضربة قوية فى الصدر ... وبهذا كنت سوف تستريح من كل هذا العناء ... ويبعد عنك هذا الشخص الفظ إلى الأبد ... بعيدًا ... بعيدًا ... بعيدًا .

فريبوزى :

(يصم الآذان ، ثم يسدد ضربات ولطمات قوية فوق رأسه ، ويقول): والآن كفى ... كفى ... كفى ... كان ... ياما كان ... كان

ياما كان... كان هناك رجل ... كان ياما كان ، كان هناك رجل ...
كان ياما كان هناك رجل ...

(يغوص القرين من تحت الغطاء ببطء ، ويقول) :

كان ياما كان ، كان هناك رجل ... كان ياما كان ، كان هناك رجل...
الآن ... الآن فقط تسير الأمور بشكل أفضل ... نعم ... كان ياما
كان ، كان هناك رجل ..

فريبوزى :

(يستند إلى الحائط ، ويشعر بالارهاق الشديد والفتور . فى هذه الأثناء تعود فرانسيسكا إلى عربة النوم) .

فرانسيسكا :

ماذا بك ؟ لماذا تتصبب عرقًا وتقف هكذا باهت اللون ؟ ماذا بك ؟

فريبوزى :

والآن .. هل تعرفين كل شىء عنى ؟

فرانسيسكا :

ماذا ؟!

فريبوزى :

ألم تذهبى إلى هناك ؟

فرانسيسكا :

كانت دورة المياه مشغولة .. اذهب أنت أولاً ، ثم أخبرنى عندما يخرج من بالداخل !

فريبوزى :

هذا يعنى أنك لم تكونى هناك ؟

فرانسيسكا :

أعتقد أن السفر بالقطار يؤثر فى صحتك ، وكذلك فى عقلك كثيرًا ... لقد قلت لك إن دورة المياه كانت مشغولة ... والآن أعتقد أنه من الأفضل أن أفتح نافذة الممر أيضًا ... ولن ترى شيئاً بالخارج لأن الظلمة تسود المكان ... فكل شىء أسود ... إن الليل تكسوه حلة من السواد ... مع أن النجوم تسطع وتتلألأ . والآن اذهب واستطلع الموقف !

فرانسيسكا :

(ترقد فوق السرير السفلى ... ويذهب فريبوزى .. وفى أثناء سيره فى الممر يُفتح إزاءه باب عربة نوم أخرى ، وتخرج منها سيدة متقدمة فى السن ترتدى معطف الصباح مزينا بالزهور وعلى رأسها لفافات تصفيف الشعر ، وتتقدم إلى باب دورة المياه كى تفتحه ، ولكنها تتوقف فتلاحظ أن فريبوزى ينتظر هو الآخر ، ويبدو متهالكا ومترددًا أيضا بعض الشىء) .

الليدى :

(تقول بالإنجليزية) : إن دورة المياه مشغولة .

فريبوزى :

مشغولة **(يضحك)** بالطبع .. أكيد .. نعم .. نعم . إننى أرى أنه مكتوب عليها من الخارج " مشغولة " .

الليدى :

هل أنت مسافر إلى سويسرا ؟

فريبوزى :

نعم ... بكل تأكيد ... إلى سويسرا .

الليدى :

إلى منطقة سانت موريتس ؟

فريبوزى :

ولكن قبلها نرغب فى التوقف أولاً عند لوزان .

الليدى :

إن لوزان باهظة التكاليف ، وكل شىء فيها مرتفع ثمنه . ولكنها مدينة رائعة.

فريبوزى :

أعتقد أنه إذا وقفت هنا فى الممر كثيراً ، فسوف تصابين بنوبة برد... فتيارات الهواء تأتيك من كل جانب .

الليدى :

(**بالإنجليزية**) : ولكن القطارات فى ألمانيا عظيمة وفخمة جدًا ... إننى أحب مدينة " هايدل برج " كثيرًا جدًا .

فريبوزى :

بالتأكيد ، إنها مدينة رائعة وجميلة ... ولكن إذا وقفت فى هذه التيارات كثيرًا ، فإنك سوف تصابين بنوبة برد. إن الجو بارد جدًا وشديد الرياح هنا .

الليدى :

هذا صحيح ، إن الرياح شديدة هنا .

فريبوزى :

ربما تظل دورة المياه مشغولة لفترة طويلة .. نعم .. طويلة جدًا .

الليدى :

مفهوم ... مفهوم .

فريبوزى :

أليس من الأفضل لك الرجوع إلى عربة نومك ... وعليك إعادة المحاولة مرة أخرى بعد فترة من الوقت .

الليدى :

(**بالإنجليزية**) : لا ... لا ... لن أفعل ذلك .. سوف أنتظر هنا . إن المكان رائع وخلاب ... إن المكان هنا جميل حقًا.

فريبوزى :

لا بأس إذا كان الانتظار لا يزعجك .

الليدى :

هل تعجبك سويسرا ؟ أليست سويسرا بلدًا جميلاً ؟

فريبوزى :

بالتأكيد ، سيدتى الفضلى .

الليدى :

جميل ، ولكن تكاليف المعيشة هنا باهظة ومرتفعة جدًا ... سويسرا ... باهظة التكاليف .

فريبوزى :

أى بلد غير الوطن الأصلى يكون دائما باهظ التكاليف ... والآن اسمحى لى (**يتقدمها ليقف إزاء باب دورة المياه ، وينادى**) : زميلى بوروكر ... هنا فريبوزى .

(ينفتح الباب ، ويدخل فريبوزى ... ترتعد السيدة العجوز من هذا الذى يحدث ، وتنظر فى ذهول فيما يفعله فريبوزى) .

الليدى :

آوه ... يالك من رجل مهذب **(يبدو أنها لا تستطيع الانتظار أكثر من ذلك ، وتشعر بضرورة إخلاء دورة المياه حتى تتمكن من قضاء حاجتها . ولكنها تقترب من الباب لتتصت إلى ما يحدث بالداخل، وتقول)** : هؤلاء الألمان غاية فى العجب **(فجأة تقفز إلى الوراء؛ لأن الباب ينفتح ، ويخرج فريبوزى من الداخل) .**

فريبوزى :

معذرة يا سيدتى الفضلى **(يسرع فى خطواته، ولكن الليدى تناديه)**

الليدى :

أرجوك ... أرغب فى الاستفسار عن شىء، تُرى من يكون بالداخل، هل هو رجل أو امرأة ؟

فريبوزى :

(ينحنى إزاءها فى أدب ويقول) : لا أحد، سيدتى الفضلى ... لا أحد .

(يفتح باب دورة المياه على مصراعيه ؛ لتتأكد أنه لا يوجد أحد بالداخل، ويدخل مرة ثانية، ويغلق النافذة ... ثم ينحنى إزاءها فى أدب جم ، ويقول لها) : تفضلى ، سيدتى الفضلى ..

(تنظر الليدى إليه فى حيرة شديدة واستنكار ، وتهدده باصبعها الممتد) .

الليدى :

ماذا يحدث هنا ؟ هل ألقى به من النافذة ؟ ... من النافذة ؟

يبدو أنه مجرم ألمانى صغير **(تضحك وتغلق الباب . فى هذه**

الأثناء يدخل فريبوزى عربة النوم التى ترقد فيها فرانسيسكا ويضع أدواته الخاصة داخل الحقيبة المفتوحة . مازالت فرانسيسكا تستغرق فى نوم عميق . فيتوجه ناحية السرير كى يصعد إلى سريره العلوى . فجأة يرى القرين وهو يمد رأسه من أسفل الغطاء).

القرين :

شىء مخجل يافريبوزى ... ماذا حدث لك ؟ ألم تشعر بالخجل الشديد ؟

فريبوزى :

آه لو كنت تستطيع أن تتخيل مدى الخجل الذى شعرت به فى تلك اللحظات ... وكيف أننى شعرت بأننى أتعرى حتى أعمق أعماقى إزاء نفسى .

القرين :

لن أتخيل ذلك ؛ لأننى أرى هذه الأشياء بدقة ووضوح ، وهذا يحزننى من أجلك كثيرًا يافريبوزى .

فريبوزى :

ويحزننى أنا أيضًا ... كنت لحظتها سوف أنفجر بالبكاء .

القرين :

ولكننى أشعر وكأن النحيب يقف غصة فى حلقى تخنقنى ، ولكن الدمع - مهما تفعل - غير قادر على الوصول إلى عينى ، ولذلك تظل عينى جافة وجوفاء .

فريبوزى :

آه ، لو كنت تستطيع البكاء ... أرجو ألا تتصور أننى المسئول عن عدم قدرتك على البكاء .

القرين :

لا يستطيع المرء أن يقفز أعلى من ظله ...

فريبوزى :

إذًا سوف تتحسن حالتنا... ألا تعتقد ذلك يا فريبوزى؟ لا بد أن نحنى الرأس قليلا للآلام والهموم ، وكذلك للذل والمهانة ، كى نصبح قادرين على استجماع شجاعتنا .. وأن نوحد كل هذا اليأس والبؤس المنقسم بداخلنا . ولنعطى هذا الشعور اسمًا ما، وليكن "الدموع " يا فريبوزى . فلتجد علىَّ بها .. نعم ، الدموع !

القرين :

دائما ما ترغب عمل ما لا تستطيع تحقيقه ... أنت تطلب ما لا يطاق ، وما هو فوق القدرة والاحتمال .

فريبوزى :

ما كل هذه القسوة التى تتعامل معى بها ..

القرين :

إنها سمة من سماتى ، ولك أن تفعل شيئًا ضدها والآن سأقول لك شيئًا : إن البصل فقط هو الذى يسحب الدموع من عيونى .

فريبوزى :

وأنا فيمكننى البكاء والنحيب على الدوام غروب الشمس ، أو ربما عند مشاهدة فيلم حزين ... أو عندما استمع إلى موسيقى

شجية... وكذلك عندما أسمع غناء الأطفال ... مثل كورال أطفال فيينا . وبالمناسبة ! هل يمكنك أن تغنى لى شيئًا ؟

القرين :

ماذا تريد إذًا ؟

فريبوزى :

ربما أغنية الأطفال المشهورة : نم يا أميرى ... نم ... .

القرين :

لقد اضحكتنى ، وهذا الافتعال المتأصل ، فهذه نكتة .

فريبوزى :

لقد وضع موتسارت ألحان هذه الأغنية .

القرين :

لم يكن موتسارت .

فريبوزى :

بلى ... إنه موتسارت .

القرين :

احتيال.

فريبوزى :

حسن .. لا يهم إذًا من قام بتلحينها .. والآن حاول أن تغنيها لى ، أو حتى تدندن بألحانها .

القرين :

موافق وليكن ... سأفعل ذلك فقط من أجلك أنت ، وسأبدأ الآن .

فريبوزى :

ولكن أرجوك بصوت خفيض ؛ حتى لا تقلق فرانسيسكا .

(يبدأ فى الغناء بصوت خفيض ، ولكن فرانسيسكا تتحرك فى سريرها وتستيقظ) .

فرانسيسكا :

(وهى يغالبها النعاس) : هل وصلنا ؟

فريبوزى :

لا ... يا حبيبتى ، ليس بعد .

فرانسيسكا :

ولماذا تشرع الآن فى الغناء ... كنت أود معرفة لماذا حجزنا فى عربة النوم بالقطار ... هل تستطيع الإجابة ؟

فريبوزى :

معذرة يا طفلتى ... شعرت فجأة بالحزن يعترينى ... وشعرت أيضا بالوحدة ... فلم أتمالك نفسى وشرعت فى الغناء ... سامحينى يا طفلتى ..

فرانسيسكا :

وأية أغنية هذه ؟

فريبوزى :

(ينحنى فوق سريرها وينظر إليها) : فرانسيسكا .. أرجوك، حاولى أن تتفهمى موقفى ! إننى أشعر بالحزن والكآبة فى الأيام الأخيرة ، وكثيرًا ما أكون معتل المزاج .

القرين :

والآن هذه فرصتك ... تشجع وأخبرها ... هيا ... هيا !

فريبوزى :

أشعر وكأن كل شىء فى حياتى انقلب رأسًا على عقب ... فرانسيسكا .. كل شىء.

فرانسيسكا :

لاحظتُ أيضا الشىء نفسه. ورأيتك تبكى بكاءً مرًا . لقد بدأت الأجازة بداية سعيدة !

القرين :

الآن يافريبوزى .. تشجع وأخبرها ..

فريبوزى :

فرانسيسكا .. لقد حدث شىء .. ولابد أن أوضح لك أمرًا .. إنها قصة طويلة .

فرانسيسكا :

وليكن ، ولكن ليس الآن ... هنا ؟! تحكى لى فى القطار فى أثناء سيره فى أمكنة لا نعرفها ... وفى هذا الوقت بعد منتصف الليل!!..

فريبوزى :

لكن هذه القصة تثقل كاهلى وتعذبنى .

فرانسيسكا :

فى الغد ياأرنست وليس الآن ... دعنى أنعم بالنوم حتى لا يتعكر مزاجى .. إنك تعرف جيدًا ما يمكن أن يحدث نتيجة لذلك ... فلتتوقف الآن عن البكاء والعويل ، دعك من ذلك يا فتى ! سيكون كل شىء على ما يرام (**تربت على كتفه بحنان ، وتستدير تجاه الحائط**) والآن أقول لك فى حزم وإصرار ولآخر مرة : " تصبح على خير " . لا أرغب الآن فى سماع أية ضوضاء بعد الآن ... أفهمت ؟!

القرين :

أخبرها !... إنها تسمعك ... ابدأ الآن ! ...

فريبوزى :

لا جدوى من ذلك .

القرين :

قل لها أى شىء ! ... تكلم فقط !

فريبوزى :

حسن ... سيسكا ... لقد كنت ترغبين فى الذهاب إلى دورة المياه... أليس كذلك ؟! الآن لا يوجد أحد بالداخل .

فرانسيسكا :

ولكننى غيرت رأيى ، ولا أرغب الآن ... سأنتظر حتى نصل إلى سويسرا . أخبرنى عندما نصل (**تتقلب فى سريرها**) أرجو أن تغلق النافذة الآن ! ... إننى أشعر بالبرودة (**تستدير مرة أخرى تجاه الحائط**) .

فريبوزى :

كما تشائين يا طفلتى ... كل ما تتمنين سأفعله من أجلك يا حبيبتى (**يغلق النافذة**) .

القرين :

(**يقلده ويتهكم عليه**) : نعم يا طفلتى ... حالاً يا حبيبتى ... ماذا يتبقى إذاً من كلمات الحب والغزل ؟ إن ما تفعله يدعو إلى الرثاء.. لا بل إلى الغثيان والتقيؤ .

(**يصعد فريبوزى فى هذه الأثناء إلى سريره**) .

فريبوزى :

دعنى وشأنى .. أرجوك .. إنك على حق فى كل ما تقوله عنى ... أعرف تمامًا أننى " شرابة خرج " . اقذفنى بالألفاظ البذئية والنابية كلها .. معك الحق كله .. ولكن أرجوك .. دعنى وشأنى ! .. اتركنى قليلا استرح، دعنى أنم ! ... سأنام الليلة من دون أحلام .. أو ربما نحلم – أنا وأنت – الحلم نفسه ؟

القرين :

انظر ! من يقف إزاء النافذة (**يُرى بورركر إزاء النافذة**) .

فريبوزى :

لا أرغب فى معرفة أى شىء عنه ...

القرين :

إنك تسمعه جيدًا ، وهو يدق الآن على زجاج النافذة .

فريبوزى :

إنه صوت قطرات المطر .

القرين :

إنك تخادع نفسك .. أنت تعرف جيدًا أن السماء صافية والنجوم تتلألأ .. ولا توجد أية علامة على الغيوم فى السماء .

فريبوزى :

ولكننى أشعر وكأن غيوم الكون كلها تتجسد أمامى .

القرين :

ربما يرغب فى أن يودعك قبل أن يغادر ، أو ربما يرغب فى التخلى عن مضايقتك وإزعاجك ... ربما يكون قد قرر بينه وبين نفسه أن

يدعك وشأنك . إذًا فالحرية تلوح لك بكلتا يديها ... والنشوة والسعادة ترفرفان بأجنحتيهما قادمتين إليك مع الأجازة التى سوف تقضيها فى رغد وانشراح وتجلس فى (الفراندة) التى تسطع فوقها الشمس وتتناول طعام الغداء . فى هذه اللحظات سوف تشعر بأنك أصبحت إنسانًا جديدًا يا فريبوزى ... فقط عليك أن تتشبث بالأمل .

فريبوزى :

هل صحيح ما أسمع ؟

القرين :

والآن ؟ عندما نعبر الحدود إلى سويسرا ، سوف ترى أن سبل الراحة والأمان كلها ملك يمينك وطوع بنانك . إن أفكار "بستالوزى" ترفرف بأجنحتها فوق رأسك ، وسوف تملؤك بالنشوة . و أيضا سوف تحظى فى سويسرا بجميع أنواع الشيكولاته المصنّعة من مواد وخامات طبيعية .. لم تعبث بها يد الغش التجارى .. هذه الأشياء كلها سوف تجعلك تستعيد نشاطك وحيويتك .

فريبوزى :

هذا معناه أنك تطلب إلىَّ أن أفتح النافذة لبوروكر ؟

القرين :

أرجوك ، على الفور ... كى لا يشعر بالضجر والضيق منك .

فريبوزى :

هل تتحمل نتيجة ذلك يا فريبوزى ؟

القرين :

فلنتحملها معًا يا صديقى العزيز فريبوزى .

فريبوزى :

(يفتح النافذة ، ويطل بوروكر برأسه داخل عربة نوم فريبوزى) .

بوروكر :

يا أغلى صديق ... جئت أطلب إليك العفو والصفح ... لقد أخذت معجون أسنانك معى على سبيل الخطأ ... والآن جئت كى أرده إليك .. **(يعطيه معجون الأسنان)** .. أرجو المعذرة مرة أخرى على إزعاجى لك .

فريبوزى :

شكرًا ... وأتمنى لك التوفيق .

بوروكر :

وأنا أيضا ... أدعو لك بكل الأمنيات الصادقة والأمانى الطيبة .. وليكن الحظ حليفك .. كما أتمنى لك أيضا رحلة موفقة وأجازة سعيدة **(يلوح له بلكتا يديه)** إلى اللقاء غدًا يا صديقى العزيز فريبوزى . سنلتقى غدًا فى سويسرا . وهذا يجعلنى أشعر بسعادة غامرة . وأتمنى من الله أن يمنحنا الطقس الجميل فى أثناء الأجازة .

فريبوزى :

(يغلق النافذة ، ويظهر القرين من تحت الغطاء. وعندما يراه فريبوزى يشير إليه بيده وهو يتظاهر بالتعب والإحباط ، كى لا يسترسل القرين فى الكلام، ويقول) :

أرجوك .. لا أرغب فى سماع أية كلمة .. أرجوك ... لست فى

حاجة إلى الاعتذار .. لا طائل من هذا كله .. لا جدوى من أن نتبادل الاتهامات . بدلاً من ذلك علينا أن نتوحد ويساند كل منا الآخر .. إن الموقف الآن أصبح جليًا وواضحًا . إن الفندق الذى سوف ننزل به يحمل اسم " *Rigiblick* " " ريجى بليك " .

القرين :

وكم من الوقت سوف نمكث هناك ؟

فريبوزى :

ثلاثة أسابيع . سوف تكون لفرانسيسكا حجرتها الخاصة .. كنت أتمنى لو أن حجرتها فى طابق أسفل الطابق الموجودة فيه حجرتى..

القرين :

وما الذى منعك من ذلك ؟ هل هى التى عارضت تلك الفكرة ؟

فريبوزى :

مثلما يحدث دائما . ولكن على أية حال فلقد أخبرونا أن الحجرات كلها تطل على جبل الريجى ، والمنظر ساحر خلاب . فالريجى من الجبال المتوسطة الارتفاع .. وهو جبل مشهور بجماله وروعته .

القرين :

وهل أحضرت معك عددًا كافيًا من فرش الأسنان ؟

فريبوزى :

مع الأسف الشديد ... لا ... كيف كان من الممكن أن أتوقع هذا الذى سوف يحدث ؟ لم أشك لحظة فى أن السيد بوروكر سوف يتبعنى حتى فى الأجازة . معى فقط فرشاة أسنان واحدة .

القرين :

وحتى هذه الفرشاة ضاعت بالفعل، ولا يمكن أن نستعملها مرة ثانية .

فريبوزى :

لذلك ، فإننى مضطر ، عندما نصل ، أن أبحث عن أول محل كوافير وأشترى منه مخزون هائل من أدوات التجميل أن الأجازة بدأت بمصاريف لم نكن نتوقعها تصبح على خير ، يا إرنست .

القرين :

تصبح على خير ياأرنست ! ماذا لو أن السماء أمطرت طوال الوقت؟!

فريبوزى :

لم أنس أن أتعاقد مع شركة تأمين (**يطفئ الأنوار، وتسمع صفارات القطار**) .

الفصل الثالث

المنظر :

حجرة فريبوزى فى فندق " الريجى بليك " . يجلس فريبوزى فوق السرير ، ويرقد القرين أسفل سريره ، ويمد رأسه إلى أعلى من جهة نهاية السرير .. يفتح كل منهما كتابًا ويقرأ فيه . ونافذة الحجرة الكبيرة مفتوحة على مصراعيها ... وفى الخارج تمطر السماء . فريبوزى يقول وهو يغلق الكتاب :

فريبوزى :

لا طائل ولا فائدة مرجوة من فتح الكتاب ... لا أستطيع التركيز فيما أقرؤه ويرجع السبب فى ذلك إلى أنك تقرأ كتابًا آخر (**يخاطب القرين : المترجمة**) . ما هذه التصرفات الغريبة ؟ إنك لم تفعل ذلك قط من قبل . قل لى ماذا تقرأ الآن ؟ إنك تقرأ بالتأكيد رواية بوليسية .

القرين :

وماذا عنك أنت ؟ ماذا تقرأ ، إذا سمحت لى بالسؤال ؟

فريبوزى :

إننى أقرأ كتاب " *Wilhelm Rassmus* " ڤيلهلم راسموس . وهذا الكتاب يناقش إحدى نظريات بستالوزى ، وكيفية استخدام هذه النظرية فى قيادية البشر .

القرين :

أعتقد أنك لا تصدق مثل هذه النظريات ... لا توهم نفسك ولا تخادعها يا فتى ! إن هاينريش الطيب هو فقط الذى كانت لديه النزعة الإنسانية الراقية والنظرية المثالية – ربما كان ذلك يحدث فى الماضى ، وربما كان من الممكن تحقيقه . أما اليوم ... انظر

حولك يا صديقى ... عندما تتذكر على سبيل المثال فصل (٤أ)، فإنك سوف تصطدم بالحقيقة ؛ وهى أنك فى هذا الفصل تجنى ثمار نظرية بيستالوزى . ولنتوقف الآن عن القراءة .. ولنستعد للزيارات المسائية ... ترى فى أى يوم من الأيام نحن الآن ؟

فريبوزى :

اليوم هو السابع من شهر أغسطس .

القرين :

لقد وصلنا إلى هنا فى الثانى من شهر أغسطس . شىء لا يصدق.. لقد مرت ستة أيام كاملة .. ستة أيام فى هذا الفندق النظيف الفخم ... وأؤكد لك على كلمة " هذا الفندق النظيف " تحديدًا . فمنذ أن وصلنا إلى هنا لم نغادر هذا الفندق. إن الأمطار تهطل بشكل مستمر ، ولا تتوقف أبدًا ... فمنذ الثانى من شهر أغسطس ، وحتى اليوم ، نجد أنها أمطرت ستة أيام متواصلة . لابد أن شركة التأمين سوف تدفع لك الكثير مقابل أنك لم تستمتع بالأجازة .

فريبوزى :

كان الأفضل بالنسبة إلىَّ أن نتنزه فى الجبال ، وأن يكون الطقس أفضل من الآن .. لو كان الطقس لطيفًا ، كنا بالتأكيد سوف نبتعد عن مضايقاته المستمرة لنا . لقد أجبرنى هذا الطقس على أن أجلس هنا ، وأرسل فرانسيسكا كل مساء إلى السينما . ومازالت دهشتى لأنها لا تشعر بالملل أبدًا من ذهابها يوميًا إلى السينما بمفردها .

القرين :

وهل أنت متأكد من أنها حقا تذهب يوميًا إلى السينما ؟

فريبوزى :

يا صديقى العزيز فريبوزى ... إذا كنت تقصد بهذا السؤال أن تحرك دوافع الغيرة بداخلى ، فلن يحدث ذلك أبدًا . لم تعد هناك أية دوافع تتحرك بداخلى ... مات كل شىء بداخلى ، وأصبحت غير قادر على التفاعل مع تلك الدوافع ... ولتفعل فرانسيسكا ما تشاء ، ولتفعل أنت أيضا ما تشاء . وسأتصرف كما يحلو لى، وبمطلق الحرية ، وسيكون كل شىء على ما يرام . والآن سوف أستعد لاستقباله ... أعتقد أنه كان لابد عليه أن يكون قد وصل منذ فترة. ترى هل حدث له شىء؟

القرين :

(يختفى تحت السرير ويقول) :

إنك تشعرنى بالملل ... سأذهب إلى البار ... هذا بالنسبة إلىَّ أفضل من وجودى معك .

فريبوزى :

الأفضل أن تكون معى هنا ... وعليك ألا تحدث أية ضوضاء ... فلتقبع إذًا هنا فى سكون تام .

القرين :

ولكننى أشعر بالعطش .

فريبوزى :

يمكنك هنا الحصول على الماء ، فيقال أنه ممتاز هنا .

القرين :

ولكننى أعتقد أن وجودى معك لا طائل منه ؛ لأنك لا تستمع إلى نصائحى ..وتفعل ما يحلو لك .

فريبوزى :

من يدرى ؟ .. من يدرى ؟ فربما تتغلب الطبيعة الصادقة النقية القابعة بداخلى .. وأجدنى أقف منتصبًا مشبعًا بفكر هذا البلد الحر . حينئذ سوف أشعر بالقوة والانتصار . وعلى الفور سوف أستمع إلى نصائحك بالتأكيد .

القرين :

عليك قبل ذلك أن تصفى حساباتك ، ثم بعدها عليك أن تذهب بعيدًا عن هنا ... ثم بعدها ...

فريبوزى :

ثم بعدها ... عليك أن تكون موجودًا . ربما نتوجه إلى البار معًا، ونحتسى الخمر على طريقة همنجواى . هذا من حق كل إنسان .. لكن الآن عليك أن تبقى معى ، وعليك أن تصمد ... وتتغلب وتقاوم.. وتنتصر ... وإلا فسوف تفنى وتتلاشى .

القرين :

حسن ... سوف أظل معك (**يتمدد أسفل السرير ، ويشير إلى النافذة التى يُرى من خلالها سلم نقال ، فيقول**) : هاهو قادم .

فريبوزى :

أشعر بالاشمئزاز كلما رأيت هذا السلم الذى يصعد عليه عندما يأتى إلينا .

القرين :

إنه يستخدم منهجًا رخيصًا فى الإجرام .

فريبوزى :

ولكننا لسنا هنا فى إقليم بافاريا . لقد توقعت منه أن يكون أذكى من ذلك (**يظهر بوروكر من خلال النافذة ، ويرتدى معطفًا ضد المطر ، ويحمل فى يده شمسية سوداء اللون ... يمد إليه فريبوزى يده ويسحبه داخل الحجرة**) .

بوروكر :

صديقى العزيز .. لابد أن أعتذر لك أولاً عن أننى أحمل معى دائما هذا السلم كلما قمت بزيارتك ، ربما يعتقد الناس أننى عربيد وماجن ... على أية حال ، فليظن الناس ما يظنون ... فى النهاية يجب أن ننظر إلى آراء الناس على أنها مشكلات طارئة ، والمسألة كلها تتعلق بوقت الأجازة . ولكننى لا أجد حلاً آخر. اعذرنى يا صديقى ! المهم كيف حالك ؟ وكيف حال عروسك الصغيرة الفاتنة؟

فريبوزى :

لقد ذهبت لتوها إلى السينما .

بوروكر :

وآسفاه ... وآسفاه .. كم كنت أتمنى رؤيتها ، وأتمنى أن أتعرف إليها. إننى شديد الاهتمام بك ، وبكل ما يتعلق بك .

فريبوزى :

ربما .. ربما فى وقت لاحق .

بوروكر :

لا ... لا ... لا ... لا أصدقك ؛ لأنك ترغب فى حجب كثير من حياتك عنى ... ولاسيما هذه المخلوقة الفاتنة ... ولكن أخبرنى، كيف أفسر ذلك ؟ أهى الغيرة أم الخجل أم عدم الثقة فىّ ؟

فريبوزى :

أرجو المعذرة . إن العلاقة التى تربطنى بك ، تُعد علاقة غير عادية. ومن السهل تفسيرها خطأ . ومع أننى أعرفك منذ زمن بعيد - يعلم الله - لكن كم أشعر بالحرج والتوتر عندما ترتكب هذه المغامرات كلها من أجل الوصول إلىَّ . وربما تسمح الظروف فى وقت لاحق أن أمهد الطريق للحديث مع فرانسيسكا عنك . وسوف أبذل قصارى جهدى كى أجعلها تتفهم طبيعة العلاقة بيننا .

بوروكر :

ولكن هل تسمح لى أن أقدم لك اقتراحًا فى هذا الصدد ؟

(**يسحب كتابًا من جيبه ويعطيه لفريبوزى**) والآن ، هل تفهم ما أرمى إليه ؟ إن جوته يساعدنا على التغلب على المواقف الشائكة والمعقدة كلها ، وأنه لن يتخلى عنا أبدًا فى موقفنا هذا .

فريبوزى :

هل تقصد مسرحية " التبادلات المزدوجة " ؟

هل هذا ما تعنيه ؟

" *Die Wahlverwandschaften* "

بوروكر :

بالتأكيد ! أليست هذه المسرحية قريبة الشبه جدًا بالعلاقة التى تربط بيننا !؟

فريبوزى :

دعنى أفكر لحظة من فضلك ، ربما أستطيع أن أقارن نفسى بشخصية "*Eduard*" إدوارد، التى يأتى ذكرها فى هذه المسرحية .

بوروكر :

بكل تأكيد ... تمامًا ... وماذا عن فرانسيسكا ؟

فريبوزى :

أعتقد أنه ليس لها الدور نفسه الذى تقوم به " *Ottilie* " " أوتولى".

بوروكر :

هل تفضل أن تقارنها مثلا بشارلوته ، على سبيل المثال ؟!

فريبوزى :

وماذا عنك ؟ ألست قريب الشبه جدًا بالضابط ؟ أليس كذلك ؟!

بوروكر :

وماذا يتبقى لى غير ذلك ؟ هذا عظيم ، ولكن الأفضل ألا نأخذ مضمون هذه المسرحية بحرفية شديدة تلك التى لم يقرأها إلا قليلون. كل ما يهمنا فى هذا السياق هو ربما عنوان المسرحية نفسها ، وكذلك الإطار الذى يتحرك فيه هؤلاء الأشخاص . وإذا دخلنا فى عالمهم واقتربنا منهم، لابد أن نعيش مع كل واحد منهم على حدة ، وعلينا أيضا أن نتعرف على ما يدور بداخلهم .

فريبوزى :

ولكن ينقصنا شخص .

بوروكر:

لا تقلق ، فمع الوقت سوف يكون كل شىء على ما يرام .

فريبوزى :

إنك تتمادى فى أخذ حقوق الآخرين ... على أية حال ، لقد أرسلت فرانسيسكا فى طلب صديقتها ، وسوف تأتى إليها غدًا .

بوروكر :

إذًا فكل شىء يسير وفق خطة محكمة ، وينبغى لنا ألا نفعل شيئًا سوى أن تتفرج أساريرنا ونحن نلعب هذه اللعبة الشريرة ، ونحاول أن نقتفى أثر تلك الحياة التى رسمها لنا الشعراء الكلاسيكيون - من أمثال جوته - فى أعمالهم . أعتقد أنه من الواجب علينا أن نتكيف مع طبيعة العلاقة المرسومة لنا فى هذه المسرحية .

ربما يكون من الأفضل ألا نتقيد بحرفية العنوان وهو " التبادلات المزدوجة " ، علينا فقط أن نحاول تفهم المغزى المقصود من ورائها . ترى ماذا يحمل لنا هذا المضمون ، " التبادلات المزدوجة " ، من معان؟ أعتقد أنها تمثل لنا عالمًا فسيحًا ... لا ... بل تشمل الكون بأسره ... كما أنه يتولد من بين حروفها معان جديدة لحرية الفكر ... وربما يخضع ذلك لمعايير وقيم معينة مثل : القانون والفتنة ... ودائما ما أقول لتلاميذى ...

فريبوزى :

ولكن إذا أمعنا فى النظر فى المعايير التى يتحدث عنها جوته فى هذه المسرحية ، فإننا سوف نستشف من خلال ذلك أن الأشخاص جميعهم تبوء تجاربهم بالفشل الذريع .

بوروكر :

لذلك يجب علينا ألا نأخذ ونسلم بحرفية هذه الأحداث ، ليس هذا هو مقصدى . كل ما أرمى إليه هو أن نتعرف فى هذه المسرحية

إمكانية واحدة من آلاف الإمكانات ، التى يمكن المؤلف أن يعرضها علينا ، ولكنه لم يتمكن من طبعها فى كتاب واحد. وهذا يجعلنا نفكر فى أنه ربما يكون هناك كثير من الكتب التى تحمل أفكارًا رائعة وفلسفية ، ولكنها - مع الأسف - لم تطبع لسبب أو لآخر . لذلك أود أن أقترح أن نعيش الحياة وكأنها لم تسجل فى أى كتاب... ومن خلال ذلك نستطيع أن نصنع حياتنا عن طريق تسجيلها، وهذا يجعلنا نرتفع بمستواها . أعتقد أن هذا هو الشىء الذى كان يفكر جوته فيه فى أثناء كتابة هذه المسرحية ، هذا ما يود جوته أن يقوله لنا فى رسالة مفتوحة وعامة للبشر جميعًا . إنه يقدم إلينا النصيحة التالية ؛ وهى أن نعود **إلى أحضان أمهاتنا** .
هل تسمع ما أقول ؟ هل تفهم ما أقول ؟
إلى أحضان أمهاتنا !

فريبوزى :

إنك تحيرنى .

بوروكر :

وبهذه الطريقة سنلاحظ أن الأمل يتولد فيك لكى تصبح قادرًا على الرؤية الواضحة وسط كل هذه الغيوم الكثيفة، أنت ترى مثلا كيف يهطل المطر منذ وصولك حتى هذه اللحظة. هذا فى ذاته لا يجعلنا نستطيع رؤية أى شىء بوضوح . وهذه الغيوم تحجب عنا الرؤية الواضحة .. ولكن يا صديقى ، عمَّا قريب سيأتى اليوم الذى نستطيع فيه رؤية الجبل من هنا بوضوح ، وسوف نعى لحظتها وندرك كل ما يدور هناك، ونتأكد وقتها أن كل شىء جميل من

حولنا. كما أننا سوف نتمكن وقتها أن ندرك ونرى الجبل الذى أمامنا .

فريبوزى :

أتقصد " جبل الريجى " ؟

بوروكر :

أيها الأحمق التعس ... يالك من أحمق يافريبوزى ، لكن على أية حال .. إذا تكلمنا عن الجبل ... فنحن لا نتكلم عن جبل بعينه ... وإذا أردت ذلك فلنتحدث عن أقرب جبل من هنا ... وأعتقد أن الفندق هنا يسمى باسم الجبل ، أليس كذلك ؟ ... أليس كذلك ؟... ولكن قبل أن أنصرف أود أن ... سأفعل ذلك على وجه السرعة ... **(يقف قبالة حوض غسل اليدين)** .

فريبوزى :

(يقفز من مكانه .. كذلك يتوتر القرين بشكل ملحوظ) : قبل أن تبدأ ، لدىّ سؤال ورجاء فى نفس الوقت .

بوروكر :

(يعود ومعه فرشاة ومعجون الأسنان)

هيّا ، تكلم بصراحة !

فريبوزى :

(والقرين يشده من سرواله) : أقصد ، وأنت قد ذكرت تلك الحكاية المشابة بل شارتك إلى هذا الكتاب ،والآن وبعد أن فهمت الغرض الحقيقى من مجئيك - هل كان من الضرورى أن تسلك مثل هذا السلوك الآن ؟ هل كان عليك أن تبرهن لى بهذا السلوك الفظ ما هو مؤكد على المستوى الفكرى المختلف ؟

بوروكر :

(يضحك وهو يضغط المعجون على فرشاة الأسنان) : تلك الطقوس البسيطة ، ما هى ؟ هل هى دليل ؟ معك كل الحق ، باعتبارها أى شئ آخر غير الدليل على شئ ما ... الأفضل أن نسمى هذا الذى يحدث " زيادة فى التأكيد " - ليس إلا - أو ربما نقول أيضا إننا نبرهن بهذا المسلك فكرة معينة ، ربما تستمد قوتها من الأشياء الملموسة والمحسوسة .. ونحاول أن نجدها ونظهرها، ونبرهن على أنها قائمة ، ولها علاقة ودلائل . كما أنه يمكن أن نراها ، ونستطيع أن نصفها ... وعليك ألا تنسى أبدًا أن هذا يعد علاقة مادية على ما نود الاعتراف به ... وهذا يحدد لنا طبيعة الأشياء ، فما هو خيال يظل خيالاً ، ولا يتسع مداه بالنسبة إلينا ، ولا يصبح ملموسًا أو محسوسًا ؛ ذلك لأننا لا نستطيع أن نتخيل قدره أو حجمه ... أليس كذلك يا صديقى العزيز ؟ ومع ذلك فإن الخيال قد تمتد جذوره -فى بعض الأحيان - إلى أرض الواقع ، فماذا يعنى العمل فى الحديقة بالنسبة إليك إذا قمنا به معًا ؟ ... وما أثر العزف الليلى ؟ ... وماذا يعنى بالنسبة إليك كوب منقوشة عليه زخارف ؟ وماذا تعنى بالنسبة إليك خصلة شعر مقصوصة ؟ إن هذه الأشياء كلها ما هى إلا أشياء بسيطة ، ولكن معناها واضح... وجلى .. إنها تمامًا ما نستطيع أن نعبر عنه بقولنا " الرعاية الصحية " ... نعم " الرعاية الصحية " ، أو - إن صح التعبير - " ربة الصحة " .

لقد تغنى أرسطو فانس بجمالها حين قال :

" إن النَفَسَ مـا هـو إلا نَفَـسُك النقـى
قـد يكون فى بيـاض أنصع من الأسنان
هـل يمـر علينـا كـالنسـيم العليـل ؟
وينصهـر ويصبـح ناصـعًـا فى بيـاض
الجليـد ولـه بـريق ولمعـان ؟
هـكذا ضـحـك ذات يوم الأوليـمب ...
نـعم يا صـديقى العـزيز ... إنهـا
" **الرعاية الصحية** " .

الرعاية الصحية هى التى تربط بيننا . لقد هربت من بين أيدينا ، لكنها مازالت تجعلنا فى علاقة وثيقة دومًا .

(ينظف أسنانه بفرشاة فريبوزى) .

القرين:

هذا الحيوان ... هذا الخنزير !

فريبوزى :

وما الذى يجب علىَّ عمله ؟

القرين :

لابد من التحرك ... والعمل !

فريبوزى :

ولكن ليس أمامى سوى أن أقتله .

القرين :

افعل ذلك إذًا ... إذا لم يكن هناك بد ، افعلها يا فريبوزى .

فريبوزى :

هل أنت جاد فيما تقول ؟

القرين :

إنها فرصتك الأخيرة ... فحذاء التنزه فى الجبال موجود أمامك... ها هنا ... ها هنا ..

فريبوزى :

نعم ... إنه مملوء بالمسامير من أسفل ... سوف يصيبه بجروح خطيرة .

القرين :

تمامًا .. عليك إذًا أن تسدد له كثيرًا من الضربات بهذا الحذاء... على رأسه ... نعم على رأسه .. الآن افعل ما آمرك به .

فريبوزى :

(يمسك بالحذاء ... ويقترب من بوروكر ببطء .. ثم يقول) :

أليس من الأفضل أن أسدد له الضربات بيدى ؟ أو بقبضة اليد ؟

القرين :

هراء ! بكعب الحذاء – على المنطقة الخلفية من رأسه ... خذ وقتك ... ولكن اهدأ وتحكم فى أعصابك ... الهدوء ... ثم الهدوء... ثم الهدوء !

فريبوزى :

(**يرفع الحذاء ويقول**) : ثم فى سرعة وخفة وضربات خاطفة ...

(فريبوزى ينظر فى المرآة، التى يرى فيها بوروكر وهو ينظف أسنانه... فتتقابل نظراتهما ... فيبتسم له بوروكر) .

فريبوزى :

لا أستطيع ... كل واحد منا يرى الآخر فى المرآة ... أنه يبتسم فى وقاحة لا حد لها .

القرين :

دعه يبتسم ولا تعبأ بما يفعل ... بل سدد إليه الضربات ، أيها الأحمق... إنك لست هاملت ... إن لم تفعلها الآن ... لن تفعلها أبدًا .

فريبوزى :

(**يترك الحذاء يسقط من يده ، ويقول**) : لا ... لا ... لن أفعل !

القرين :

ياله من أمر يدعو للبكاء، يا لك من فاشل لا نفع فيه !

(**يزحف أسفل السرير . فى هذه الأثناء يستدير بوروكر لفريبوزى**).

بوروكر :

ماذا بعد يا صديقى العزيز ؟

فريبوزى :

كيف أستطيع أن أفعل ذلك ؟

بوروكر :

بمنتهى البساطة يا عزيزى (**يمضمض فمه**) ، بمنتهى البساطة . هذه المحاولة التى قمت بها سوف تغير مسار الأحداث التى تربط بيننا ... فبدلاً من العمل معًا فى الحديقة ، وبدلاً من أن نقوم معًا بصنع الأكواب ونقشها ، وبدلاً من أن نجمع معًا خصلات الشعر المقصوصة ، لابد علىَّ أن آخذ حذرى منك ، وأن أتسلل من الطرق الخلفية ... وأن أسير فى طرقات الحديقة فى سرية تامة . فيمكن الآن أن تحدث القبلات المسروقة نوعًا من غليان الدم الذى يؤدى إلى الثورة.... هل يوجد ماهو أبشع من ذلك ؟ ماذا بعد ؟ هل هذا يهز الإنسانية من جذورها ... هل هذا يجعل البشر يقتربون من

بعضهم بعضًا ... الحقيقة الثابتة الآن بعد كل هذا الذى فعلت ، هى أن كلانا فى مواجهة مع الآخر يا صديقى العزيز . والحقيقة الثابتة الأخرى التى ينبغى أن أخبرك بها ؛ هى أن فرشاة أسنانك -يا صديقى - مازالت فى قبضة يدى ... فى اللحظة نفسها التى تقفز فيها من شدة الثورة والغيظ والغليان. أنظف أسنانى بالفرشاة الخاصة بك ... والتى أُعنى بها بشكل خاص ، وأنظفها بعد أن ينتعش بسببها فمى ... وماذا تفعل أنت؟ أنت تقف وتنظر إلى ما أفعله فى صمت وذهول . فى هذه الأثناء أنظف أسنانى بفرشاة أسنانك .. وأبدأ أولاً من جهة اليسار كما هو متبع دائما، ثم من جهة اليمين . ترى ما الشعور الذى ينتابك وأنت تشاهد هذا الحدث ؟! هل تشعر وكأنك جُردت من إنسانيتك ... وتشعر أيضا بدونيتك ؟

بالتأكيد هناك من سيحاول استغلالك ، وسوف يلطخ شرفك فى الوحل . عندها لن تجد أية حيلة أخرى ، سوى أن تقبض على أول شىء صلب تجده بالقرب منك - ليكن الحذاء مثلا الذى تتنزه به فى المناطق الجبلية - وترفعه ، وتكون لديك الرغبة الجامحة في القتل ... تود أن ترتكب جريمة قتل ... هكذا يطلق القانون على ما كنت تخطط له سابقًا . وأحمد الله كثيرًا أن التواصل فى النظرات بينى وبينك كان أشبه بالمعجزة - صحيح أن النظرة بيننا دامت لمدة ثوان معدودات ، ولكن كان لها تأثير المعجزة . وكأن هذه الثوانى القليلة أشبه بالخلود ... إنها النظرة الأبدية التى جمعتنا فى المرآة. هذا يجعلنا نتأكد من أن الدوافع الحقيقية فى ارتكاب جريمة قتل ربما تكمن فى نظرة إعجاب ، تحول الشعور بالكراهية ، فى ثانية

واحـدة ، إلى رباط وثيق يـرمـز إلى الـصـداقـة الـحـقـة . دعنى الآن استـمـتع بتلك اللحظة التى تلامس فـيـهـا يدك يدى .. هل تسمح ؟ **(يمسك بيـدى فـريبـوزى ، ويجـذبه تجـاه النافـذة)** ، والآن ! انظر ، لنتجاهل فى هـذه اللحظة أن السمـاء ملبـدة بالغـيوم ... لننس أنها تمطر منذ فتـرة طويلة . ودعنا نعتقد أيضـا أن النظرة سوف تتسع لتـرى السـمـاء الواسعـة الصـافية ... وقتها فقط سـوف ترى نفسك يافـريبـوزى ... سـوف ترى الجـبل ... لا ... لا ... ليس " جـبل الريجى " كمـا تظن ؛ ولكن جـبل فـريبـوزى ... جبلك أنت . الآن اسمح لى أن نطلق على هذا الفندق اسمه الحقـيقى ، وهو " النظر إلى جبل الريجى " . الآن ستبدأ الأجازة الحقيقـة يا صديقى ... ارتدِ الحـذاء الآن ... ذلك الحـذاء الذى كنت تود أن تبـارك به المنطقة الخلفية من رأسى ... اذهب إلى أعلى موضع فى الجبل ... خذ معك النساء كلهن اللاتى سوف تستمتع بصحبتهن **(يصعد إلى حافة النافذة ، ويمسك بالسلم)** .

فريبوزى :

لكنك نسيت كتابك !

بوروكر :

خذه هدية منى لك .

فريبوزى :

لكننى لا أقبل هدايا من أحد .

بوروكر :

عندى نسـخـة أخـرى منه فى مكتبـتى . خـذ هذه النسـخـة لك يا صـديقى العـزيز ... إن شـئـت . ولك أن تلقى نظرة سـريعـة ، لن

تخسر كثيرًا ... إن ما يحاول جوته أن يعلمنا إياه فى هذه المسرحية لا يعد بالشىء التافه . إنه يعرف تمامًا كيف يخبرنا بتجربة رائعة عن هذه العلاقة التى أسماها " بالتبادلات المزدوجة " (**يختفى . يلوح له فريبوزى بيده ... ويبتسم له ... مع أنه يقف فى حيرة من أمره وهو يودعه)** .

القرين :

(**يظهر من تحت السرير ، وينهض بنصفه الأعلى ، ويقلد فريبوزى وهو يلوح بيده .. ثم يقول)** : مع السلامة ... مع السلامة، وعليك أن تلقى نظرة سريعة ... فلن تخسر كثيرًا ... تبًا لهذا المعلم ... لقد لاحظت أنه يتكلم الألمانية بطريقة غريبة وعجيبة ... وتبعث على الاشمئزاز .

فريبوزى :

إنه يجيد التعبير عن نفسه بشكل منقطع النظير .

القرين :

والآن أرى أنك بدأت فى الهذيان مثله تمامًا .

فريبوزى :

دعنى وشأنى ... أرجوك ... إننى أرغب فى إلقاء نظرة متعمقة على هذه المسرحية .

القرين :

مسرحية " التبادلات المزدوجة " ؟ هل أنت جاد فيما تقول ؟ هل ترغب فى إجراء هذه التجربة التى تجمع أربعة من الأزواج ؟ آه لو تناول أحد فى وقتنا الحالى هذا الموضوع بشىء من الجرأة فسوف يُكتب اسمه على الفور فى القائمة السوداء . إن هذا النوع

من الأدب يفسد المبادئ والقيم عند الشباب (**يقفز من تحت السرير ويأخذ حقيبة : يمثل أن هذه الحقيبة امرأة : المترجمة**) ثم يقول : فى البداية يرقص إدوارد مع شارلوته (**يرقص مع الحقيبة**)، ولكن سرعان ما يغير إدوارد رأيه ، ويستدعى صديقه الضابط ، لأنه لم يعد يحتمل شارلوته أكثر من ذلك . كذلك يحدث الشيء نفسه بالنسبة إلى شارلوته، التى تطلب صديقتها " أوتولى " - هذه الفتاة الرقيقة الناعمة - وفى لمح البصر تجد شارلوته ميلاً شديدًا إلى الضابط ، وكذلك يشعر بالراحة النفسية تجاه أوتولى، ثم يرقص الأربعة فى سعادة جمة .

فريبوزى :

لكن النهاية كانت مأساوية .

القرين :

إنها النهاية التى تتناسب وسمات ذلك العصر . أما اليوم ؛ فنجد أن البطل يموت لأسباب أخرى .

فريبوزى :

ترى ما تلك الأسباب ؟

القرين :

هذا مثلاً (**يشير إلى فرشاة الأسنان، ويقول**) : إذا استمرت الحال معك هكذا ، لن يكون ضروريًا أن تنظف أسنانك .. آه يا صديقى. عليك أن تعترف بذلك بينك وبين نفسك بهدوء وفى سرية تامة... فى الوقت الذى أنام فيه ، ويحكم النعاس قبضته علىَّ ؛ تستيقظ أنت وتسلى نفسك بأفكار تافهة عن كيفية الانتحار بطريقة رقيقة وناعمة . أليس كذلك ؟

فريبوزى :

(يشعر بالهزيمة والضعف) :

لن يستطيع أحد مساعدتى وإنقاذى مما أشعر به وأعانيه ، حتى فرانسيسكا خطيبتى تستمتع بيومها، وتعيش حياتها كما يحلو لها، ولا تعبأ بما يحدث لى . إنها تذهب إلى صالات الرياضة ، وكذلك إلى السينما ... لا أحد يهتم بى ... ولا أحد يسأل عنى أحد .

القرين :

وماذا عنى أنا ؟

فريبوزى :

يمكننى الاستغناء عنك وعن نصائحك أيضا ، التى تحاول من خلالها إقناعى بالذهاب إلى قسم الشرطة ، وإخطار الشئون القانونية بالمدرسة . وتحرضنى أيضا على ارتكاب جريمة قتل . ليتك تفكر – ولو مرة واحدة – فى فكرة جيدة ، وبطريقة منطقية . لكن كل ما تقوله لهو الهراء بعينه . لا أعده أكثر من إحدى الروايات البوليسية السخيفة .

القرين :

إذًا، اسمح لى بالانصراف ولن ترانى أبدًا .

فريبوزى :

لك مطلق الحرية ... على الرحب والسعة .

القرين :

أعطنى أولاً حافظة النقود .

فريبوزى :

لن تصل التساهلات معك إلى هذا الحد .

القرين :

ولكننى أحتاج إلى نقود ... سأتوجه إلى البار الآن . أشعر بالعطش الشديد ، وأشعر بالاختناق هنا .

فريبوزى :

وهل تعتقد أن هذه الحفرة (**يقصد الغرفة التى يجلس فيها فى الفندق : المترجمة**) تعجبنى ؟

القرين :

فلنأت معى إذًا !

فريبوزى :

كم أتمنى ! آه يا إلهى ... أتمنى – ولو مرة واحدة فى العمر – أن أتوحد مع النفس مرة أخرى ، وأن تلتئم روحى المنقسمة على نفسها . وقتها سوف نشرب نخب " التوحد مع النفس " .

القرين :

كأسين !

فريبوزى :

ربما الأفضل ثلاثة كئوس ، حتى يعتدل المزاج ونحن ندفع فاتورة الحساب .

القرين :

ثم نتوجه بعد ذلك إلى السرير ... بعد ذلك !

فريبوزى :

وينعم فريبوزى بالهدوء والراحة والنوم العميق .. يا إلهى متى أحظى بهذه السعادة من جديد ؟

القرين :

فلتأت إذًا معى الآن !

فريبوزى :

هل حقًا أنت جاد ؟ هل نذهب لمدة نصف ساعة فقط ؟

القرين :

ستكون ضيفى إذًا !

فريبوزى :

إنك تدعى ما لا تستطيع تحقيقه !

(يربت كل منهما على كتف الآخر بلطف بالغ) .

القرين :

والآن ... تضحك مرة أخرى **(يُسمع دق على باب الحجرة) .**

فريبوزى :

ترى من يكون الطارق ؟... من ذا الذى يقف الآن بالباب ؟

القرين :

لا أعتقد أنه هو **(يقصد بورروكر : المترجمة) .**

فريبوزى :

سوف تكون هذه هى المرة الأولى التى أستقبل فيها بورروكر من الباب وليس من النافذة **(يُسمع طرق على الباب مرة أخرى)** تفضل بالدخول ... تفضل بالدخول **(يفتح الباب ببطء ، وتدخل فتاة صغيرة فى ثياب رائعة . يقفز القرين أسفل السرير ، تدخل سوزى، الفتاة الصغيرة ، وتحمل فى يدها حقيبة سفر) .**

القرين :

هذه هى " أوتولى " التى تتمناها .

سوزى :

هل العنوان صحيح ؟

فريبوزى :

إذاً أنت سوزى صديقة فرانسيسكا .

سوزى :

نعم !

فريبوزى :

هل وصلك التلغراف ؟

سوزى :

نعم !

فريبوزى :

واتجهت على الفور إلى محطة السكك الحديدية ؟

سوزى :

نعم !

فريبوزى :

ووصلت إلى هنا فى التو واللحظة ؟

سوزى :

نعم . لقد وصلت الآن .

القرين :

والآن إنها هنا .

فريبوزى :

والآن أنت هنا . إننى سعيد جدًا بحضورك إلينا .

سوزى :

حقًا ؟

القرين :

هل يستطيع أحد أن يقول غير ذلك ؟

فريبوزى :

لا أستطيع أن أعبر لك عن سعادتى ، فمنذ وصولك ، تغيرت الحال تمامًا ... انظرى إلى السحب الكثيفة ، وإلى الغيوم ... لحظة وصولك انقشعت ، وأصبحت السماء صافية ... انظرى ... انظرى إلى هذا الجبل الذى يقف صامتًا شامخًا أمامنا . إن الفندق يسمى باسم هذا الجبل . وفى اللحظة نفسها التى دخلت فيها هذه الحجرة ، تغيرت الحال وتبدلت ، وتحسن الطقس فى الحال وبلا مقدمات.

القرين :

فتاة رائعة .. أنت .. فتاة تحضر معها الطقس الرائع ..

سوزى :

أعتقد أنه لا دخل لى فى تحسن الطقس فجأة .

القرين :

آه ، ما كل هذا التواضع ...

فريبوزى :

من يعرف ؟ ... من يعرف ؟ أعتقد أنك أثرت فى الطقس ، فتحول فى لحظات إلى النقيض ... أنت فتاة الطقس الجميل .

القرين :

ترى ماذا قلتُ لها ؟

فريبوزى :

كل هذا بفضل العينين الزرقاوين .

القرين :

ألا ترى أن لون عينيها رمادى ... وليس أزرق ؟

سوزى :

أعتقد أنك لم تمعن فى النظر جيدًا فى لون عينّى . هذا اللون الرمادى ورثته عن أمى .

فريبوزى :

لستُ راغبًا فى إثارة الجدل والنقاش حول لون عينيك .. فى نظرى عيناك زرقاوان .. وكفى .

القرين :

إذًا هذا شيء آخر . (صمت) والآن لنصمت بعض الوقت .
وينبغى أن نخجل من هذا الإفراط فى تفسير ما إذا كانت العيون زرقاء أم رمادية ... ولنصمت أيضا بعض الوقت ، ربما نستطيع أن نغير مجرى الحديث ، ونتمكن من مناقشة موضوعات أخرى .

فريبوزى :

ألا ترغبين فى الجلوس ؟

القرين :

آه ، تفضلى بالجلوس ... تفضلى !

سوزى :

لا أدرى بالضبط ماذا أفعل ؟

فريبوزى :

لماذا ؟

القرين :

لن تدفعى ثمن جلوسك ... تفضلى !

سوزى :

فلتسمح لى . (**تجلس**) حقًا إن المكان هنا جميل .

فريبوزى :

هل هذا رأيك ؟

سوزى :

بكل تأكيد !

فريبوزى :

هل المكان هنا يعجبك ؟

سوزى :

جدًا ! ألا يحوز إعجابك ؟

فريبوزى :

بلى ... بلى ... بلى ... لاسيما منذ أن أتيت إلى هنا .

القرين :

لا أستطيع الاستمرار فى الحديث . أين الرواية البوليسية التى أقرؤها الآن ؟ (**يقرأ**) .

فريبوزى :

هل كان السفر بالقطار مريحًا ؟

سوزى :

نعم .

فرييوزى :

أعتقد أن فرانسيسكا على وشك الحضور .

سوزى :

هل يمكننى الانتظار فى بهو الفندق ؟ لا أرغب فى إزعاجك أكثر من ذلك .

فرييوزى :

على العكس تمامًا . يمكن لفرانسيسكا أن ... أقصد ربما تتأخر كثيرًا ... حتى إن حدث ذلك ، سوف أسعد بقضاء هذا الوقت بصحبتك .

سوزى :

شكرًا على المجاملة . أعتقد أنك لا تعرفنى أبدًا .

فرييوزى :

ربما لو طبقنا ما تقولين بالحرف الواحد ، وأدخلنا المسألة فى حسابات الزمن الذى نعيش فيه؛ سوف أقول لك نعم ، وبكل تأكيد. صحيح أننى لم أكن أعرفك من قبل ، ولكننى منذ أن رأيتك وأنا أشعر وكأننى أعرفك منذ زمن بعيد .

سوزى :

ربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن فرانسيسكا كانت تكلمك بين الحين والآخر عنى .

فرييوزى :

أبدًا ... لم أقصد ذلك أبدًا . ولكننى أقصد شخصيتك ووجودك هنا ... هل تفهمين ما أرمى إليه ؟

سوزى :

لا أعرف بالضبط ماذا تقصد ؟

فريبوزى :

بلى ... إنك تعرفين تمامًا . عليك أن تعترفى بذلك يا آنسة سوزى . أعتقد أنك تكنين لى ما أكنه أنا أيضا لك .

سوزى :

اصمت ! أرجوك ... توقف عن هذا الكلام !

فريبوزى :

دعينى أقول كلمة أخيرة فقط ، وسوف أصمت بعدها .

سوزى :

إذا كنت ترغب فى سماع الحقيقة ، ينبغى أن أقول لك إننى شعرت براحة عميقة منذ أن وصلت إلى هنا ورأيتك .

فريبوزى :

فقط حينما وصلت إلى هنا ؟ والآن ؟

سوزى :

هل كان من الممكن البقاء هنا ، بدون الاستمرار فى هذا الشعور؟

(فى هذه اللحظة يمسك فريبوزى يدها ، ويقبلها) .

فريبوزى :

أشكرك ياسوزى ... أشكرك كثيرًا ... والآن أشعر وكأننى أعرفك أكثر من ذى قبل ... ليتكِ تبقين هنا معى ...

سوزى :

فقط إذا التزمت بحدود اللياقة والأدب .

فريبوزى :

أعدك بأننى سأكون مثل الحمل الوديع . ولكن هات يدك فقط .

سوزى :

لا بأس إذا كنت تجد فى يدى ما تبحث عنه .

فريبوزى :

نعم ! أجد فيها كل شىء ياسوزى ... لم أشعر فى حياتى قط بمثل ما أشعر به الآن وأنا معك . (**يجلس فى المقعد المقابل لها، ويسود الهدوء المكان ... يغلق القرين الكتاب**) .

القرين :

وتتشابك الأيدى ... وتتجاذب العبارات فى صمت ، ويخيم على المكان صمت كأنه موجود منذ آلاف السنين . والعرق يتصبب من الأيدى ، وتلتصق الجوارب بالجلد . ماذا دهاك يافريبوزى ؟ لماذا يتصبب عرقك بهذا الشكل ؟

فريبوزى :

لا ألاحظ شيئًا من ذلك .

القرين :

العرق يتصبب منك بغزارة . إنها (**يقصد سوزى : المترجمة**) تبدو وكأنها مصنوعة من السكر ، وخميرة البيكنج بودر ، وبياض البيض، وربما بعض الزبيب . أعتقد أنه يمكنك شراء أمثالها من أى محل للفطائر والحلويات . ويمكنك أيضًا أن تضع فوقها بعض **(الكريمة)** ويمكنك أيضا أن تأكلها من دون **(كريمة)** .

فريبوزى :

ليست أنواع الحلوى كلها مريرة مثل فرانسيسكا . إن سوزى تعجبنى هكذا ، كما هى ... من دون كريمات ، أو أى شىء آخر .

القرين :

لا أدرى لماذا أشعر بالغثيان كلما نظرت إليها .

فريبوزى :

إنها بالنسبة إلىَّ مثال للبراءة والطهر والنقاء .

القرين :

أعــرف هذا النوع جـيـدًا ... ذلك الذى ســرعــان مــا تدب فــيــه الشيخوخة قبل أن يكمل الرابعة والثلاثين من العمر ... وسرعان ما تبلى وتذبل .

فريبوزى :

هذا يتوقف يا عزيزى على الطريقة التى سوف تتعامل معها بها . إنها ستكون فى رعايتى ، وفى حمايتى أيضا ...

القرين :

هل تفكر فى أن ... ؟ فريبوزى ، ماذا دهاك ؟

فريبوزى :

تماما يافريبوزى .. كما ترى .. نعم .. إننى أفكر فى أن ...

القرين :

مـا هذا التغييـر الذى طرأ عليك فـجـأة . وتفتـح عينيك فـجـأة فى الوقت الذى أغلق فيه عينى . على أية حال ، يمكنك الاستمتاع بهذه الأشياء التى لا طعم لها ولا مذاق فيها بدونى . أما أنا فسوف أرقد وأتهيأ للنوم ... هذه اللهجة تصيبنى بالتعب والإرهاق . **(يزحف على بطنه ، ويدخل أسفل السرير ، ويغطى وجهه بالجاكت)**

سوزى :

تنبعث من يديك حرارة ، ولكن لماذا ترتعش هكذا ؟

فريبوزى :

وماذا عن يديك ياحبيبتى سوزى ؟ ألا تشاركيننى الشعورنفسه ؟

سوزى :

إننى تعرفت إليك الآن فقط .. وأشعر أن كل شىء جديد فى حياتى. لكن مع ذلك أشعر بالألفة وكأننى فى بيتى ... نعم... كأننى أعود إلى بيتى بعد غياب طويل .

فريبوزى :

تكلمى ياسوزى ... تكلمى ياطفلتى ... لابد أن يستمر الوضع هكذا .

(تسمع طرقات شديدة وعنيفة على الباب . يقفز كل من فريبوزى وسوزى . تقتحم عليهما فرانسيسكا الحجرة).

فرانسيسكا :

سوزى ... حبيبتى . **(تأخذها بين أحضانها)** . كم أن مظهرك جميل، أشرطة وأربطة فى كل مكان، ويمكن القول أن كيثه كروزه خبيرة التجميل قد تعاملت معك أعتقد أنكما أصبحتما صديقين. أليس كذلك ؟

فريبوزى :

كان حديثًا شيقًا وممتعًا ... أليس كذلك يا آنسة سوزى ؟

سوزى :

بكل تأكيد .

فرانسيسكا :

ماذا كان يحكى لك ؟ هل كان يقص عليك بعض الأساطير ، أو أنه كان يقرأ عليك بعض المقاطع من حياة المغامر بيستالوزى ؟

سوزى :

على العكس تمامًا ... ياسيسكا .

فرانسيسكا :

لابد أنه حاول أن يظهر لك الجانب الإيجابى فى شخصيته ... ، ربما يكون قد قص عليك بعضًا من رواياته البوليسية ... هذه هى مشكلته الكبرى ... دائما يشعر وكأنه فى حالة صراع مع النفس بين هذا وذاك ... إما أن يتكلم عن بيستالوزى وإما عن شارلوك هولمز ... ومن ثم فإن هذه الشخصيات كلها تؤثر فى شخصيته ... أرجو ياأرنست ألا تعارض أو تقول شيئًا . إننى أعرفك جيدًا .

فريبوزى :

ولكنك لا تضعين فى الحسبان أن الإنسان سرعان ما تطرأ عليه التغييرات ، وربما فجأة . أحاول دائمًا أن أتغلب فى يوم من الأيام على هذا الانشقاق النفسى.

فرانسيسكا :

لن تقرأ سوى الروايات البوليسية ... أعتقد أن ذلك ليس من الغباء إلى هذا الحد .

فريبوزى :

إنك لا تفهمين ، ولا تقدرين كيفية التعامل مع تلك النزعة التى تتنابنى بين الفينة والفينة ... إن أعظم السياسيين ، وحتى أعظم العلماء ، يفضل فى بعض الأحيان القراءات البسيطة المسلية، والتى... فقط بغرض الاسترخاء .

فرانسيسكا :

إذًا عليك الآن أن تحمل حقيبة سوزى ... أيها السياسى العظيم ...

سوزى :

يمكننى أن أفعل ذلك بنفسى ... لأن الحقيبة ليست ثقيلة .

فرانسيسكا :

دعيه يفعل أى شىء ... إنه يجلس طول الوقت فى الفندق ، ولا يفعل شيئاً آخر ... لذلك اشتريت بطاقات لصعود الجبل .. غداً سنذهب إلى هناك للتنزه . (**تفتح الخريطة وتقول**) : سوف نقضى الليل فى هذا الكوخ ... وعلى كل واحد منكما أن يأخذ الأدوات الخاصة به ... لا تنسيا أخذ المنشفة والصابون والمشط وفرشاة الأسنان .

(تخرج الفتاتان من الحجرة ، ويتبعهما فريبوزى ... وفى هذه الأثناء يرفع القرين الجاكت عن وجهه ، ويتبعهم بنظره) .

القرين :

كم أنا مشفق عليك يافريبوزى ... الآن يجعلون منك فرداً من أفراد الكشّافة.

فريبوزى :

كنت دائما هكذا !

القرين :

ماذا عن بوروكر ؟ ألا تعتقد أيضاً أنه يميل إلى الشباب .

فريبوزى :

هل تقصد أن تقول ... ؟ (**يندفع خارجاً**) .

القرين :

الحقيبة يافريبوزى ! (**فريبوزى يعود ويلتقط الحقيبة**) . أعتقد أن سوزى لا تستطيع النوم بدون ملابس النوم .

فريبوزى :

أعتقد أنها تفضل ارتداء البيچامات . **(يندفع خارجًا.... ويزحف القرين أسفل السرير)** .

القرين :

أيتركنى هكذا معلقا ؟ ربما أكون عبئًا ثقيلاً بالنسبة إليه. أيتركنى أنا ، ويتبع فتاة صغيرة تنبعث منها رائحة الصابون وماء الكولونيا؟... إننى مشفق عليه ... ذلك الصبى العابث ...

فريبوزى :

(يدخل الحجرة مرة أخرى . يحملق فى المقعد الذى كانت تجلس فوقه سوزى منذ برهة).

فريبوزى :

لقد ضاع منها شىء .

القرين :

ماذا ؟

فريبوزى :

قلم أحمر الشفاه **(يجده ويمررفوق شفتيه)** .

القرين :

إنك تحاول أن تتعرف ذوقها ومذاقها . أليس كذلك ؟!

فريبوزى :

كيف ؟ وماذا تقصد ؟ ألا يعجبك لونه ؟ إنه يتناسب ولون فستانها الأزرق بشكل رائع وجذاب .

القرين :

تقصد فستانها الأخضر يافريبوزى ... فستانها لونه أخضر .

فريبوزى :

ربما ... لكن ، على أية حال ، لون قلم أحمر الشفاه يتناسب مع لون فستانها . إنه ليس لونًا صارخًا ، لكنه أنيق ورائع . لابد أن تتعلم منها فرانسيسكا الكثير والكثير .

القرين :

أنصت إلىَّ يا أرنست .. أنت صبى ذكى .. كلانا ذكى .. لقد كان والدنا خبازًا ... ونشبت الحرب ... واضطررنا إلى قطع الدراسة لكن الحظ لعب دوره فى أثناء الأسر فى السجن . فى نهاية المطاف استطعنا الانتهاء من الدراسة الجامعية ، ثم بعد ذلك جاء التعيين كمعلم فى مدرسة بيستالوزى . والآن نهتم كثيرًا بشتى أنواع المجالات فى الحياة . ولنا اهتمام خاص بالسياسة . فربما يمكننا القول إننا ننحو جهة السياسة اليسارية ، ولقد استبدلنا بأفكارنا ومعتقداتنا عن القومية والهوية الألمانية أخرى تشكّل القارة الأوروبية كلها وتؤثر فيها . وعدنا لا نقرأ أشعار "*Walter Flex*" ڤالتر فليكس أو نضع أشعاره فى حقيبتنا أينما ذهبنا ، ولكننا نقرأ اليوم أيضا أشعارًا للزنوج ... فريبوزي ، هل تسمعنى ؟!

فريبوزى :

نعم ... ولكن اختصر أرجوك ، لأننى متعب جدًا (**يتجه ناحية حوض غسيل اليدين ، ويقوم بغسل يديه**) .

القرين :

إذًا أنت – كما يقول المثل – مطلع على كثير من الأمور . إنك تقرأ لكثير من الفلاسفة والأدباء ، من أمثال آرنو شميت "*Arno Schmidt*" هنرى ميللر "*Henry Miller*" . ويزداد بك

العشق والهيام وأنت تقرأ عن شجرة الزيزفون ، التى تغنى بها الشاعر ريلكه Rilke فى قصائده .

فريبوزى :

وما شأنك أنت بمثل هذه الأشياء ؟ هل تفقه فيها شيئًا ؟ إنها رقيقة وشفافة إلى درجة أنك لابد أن تكون رقيقًا وشاعريًا معها. (**يمسك بفرشاة الأسنان**) . فى بعض الأحيان أتساءل كيف أن مخلوقًا مثل هذه الفتاة المرهفة ، يمكنه أن يستمر فى هذه الحياة. (**يضع المعجون فوق الفرشاة**) إنك ترى بنفسك فى كل مكان ، كم القذارة والسفالة والانحطاط . وترى أيضا ، كيف أن شهوتك القذرة تتزايد فى كل شىء . أصارحك بهذا حتى تكون على يقين . أقولها لك ، لكى تعرف أننى أرغب فى التخلص منك ، وعلى وجه السرعة ومن دون تردد .

(**يريد تنظيف أسنانه بالفرشاة. يقفز القرين، ويجرى نحوه**) .

القرين :

مع كل ما تتمناه لى ، فأنا لا أستطيع أن أتركك وشأنك ... لابد أن أسدى إليك خدمة كصديق يحبك قبل أن أنصرف . أراك دائما ممزق الروح ، ومشتت الفكر ياأرنست ، وتتنازعك الأهواء ، يا صديقى، لن أستطيع أبدًا - مهما يحدث - أن أنظف أسنانى بتلك الفرشاة التى تنظف بها أسنانك الآن .

(**فريبوزى ينظر فى ذهول إلى الفرشاة ، ويقذف بها بعيدًا**)

فريبوزى :

يا إله السموات والأرض . كيف نسيت أن ... على أية حال أتقدم إليك بخالص الشكر .

القرين :

لم أفعل شيئًا يستحق الشكر (**يرغب فى الزحف أسفل السرير مرة أخرى ، فريبوزى يمنعه) .**

فريبوزى :

سامحنى يا فريبوزى . لم أقصد إهانتك قط، أو الإساءة إليك.

القرين :

لابد أن تثبت لى نياتك الحسنة .

فريبوزى :

سوف أستمع إلى نصائحك كلها من اليوم فصاعدًا.

القرين :

بداية طيبة تستحق الثناء .

فريبوزى :

إلا فيما يخصنى أنا وسوزى .

القرين :

إنها لا تعنينى فى شىء .

فريبوزى :

إذًا، سوف أبرهن لك أنها إنسانة عظيمة ورائعة .

القرين :

أعرف المقاييس والمعايير التى تبنى عليها أحكامك .

فريبوزى :

إنها تتصرف بقدر كبير من التلقائية، ولا تتكلف فى شىء أبدًا .

القرين :

كذلك حيوان السنجاب ، يتصرف بالتلقائية نفسها التى تتكلم عنها. اذهب إذًا إلى حديقة الحيوان ، واعرضها هناك .

فريبوزى :

إنها تبدو بالنسبة إلىَّ كأنها مليئة بالأسرار ، ككتاب له سبعة أختام.

هل نتراهن على ديوان للشعر ؟

القرين :

لماذا ؟ وعلى أى شىء نتراهن ؟

فريبوزى :

من سيكسب الرهان يحظى بها دون الآخر

(وهو يبعد عنه يد فريبوزى)

القرين :

أننى أرفض الجائزة مقدمًا .. أننى أخشى معاشرة الفتيات الأبكار. **(يزحف أسفل السرير)** الآن اذهب ، وأحظَ أخيرًا بقسط من النوم ياأرنست . لابد أن نستيقظ مبكرًا غدًا. ونتسلق جبالاً متوسطة الارتفاع.

الفصل الرابع

المنظر :

صحراء مملوءة بالأحجار فى المنطقة الجبلية . وفى ملابس متسلقى الجبال يظهر كل من فريبوزى وفرانسيسكا وسوزى يحملون حقائب فوق ظهورهم ، ويمسكون بالحبال ، ويتحركون فى بطء تجاه القمة الجبلية . يظهر جزء من الكوخ فى قمة الجبل من جهة اليمين ، وهو الكوخ الذى سوف يقضون فيه الليلة . فى المقدمة تظهر فرانسيسكا ، فى حين يسير فريبوزى فى نهاية الركب، وينظر حوله دائما ، ويتلفت يمينا ويسارًا ... ويبطئ فى حركته فتزداد المسافة بينه وبين الآخرين .

فرانسيسكا :

إنك تبطئ فى السير كما لو كان عليك أن تمضغ جزءًا من الجبل فى أثناء تسلقه ، وتكتشف من خلال ذلك أن طعمه غير مستساغ...والآن ... أسرع ... هيا ... أسرع ... وإلا سوف تنتهى الأجازة قبل أن نصل إلى الكوخ .

سوزى :

ربما يكون متعبًا بعض الشىء .. ياسيد فريبوزى ؛ آلا نستطيع السير بخطى أسرع من ذلك ؟ تُرى هل تفضل أن نستريح بعض الوقت ؟

فريبوزى :

لا عليك ... اذهبا إلى الكوخ واصنعا القهوة لنا ، وانتظرا حتى أحضر إليكما !

فرانسيسكا :

هيا ياسوزى دعينا نبعد عن مجال نظره ، فى هذه الحالة فقط سوف يهرول إلينا ، ويسرع فى الخطى حتى يرانا مرة ثانية .

سوزى :

ربما ينقصه شىء ولا يود البوح لنا به ... ربما لا يرغب فى الاعتراف لنا به لأنه رجل .

فرانسيسكا :

إذا كان الأمر كما تعتقدين ، فهذا شىء فيه جديد بالنسبة إلىَّ. فأنا أعرف عنه أنه إذا ازدادت متاعبه ومشكلاته ، فمن عادته أن يرقد فى أى مكان ، ويجعل أحدًا يقيس له النبض .

سوزى :

ربما ! ولكننى أعتقد أنه متعب وشاحب جدًا .

فرانسيسكا :

أرنست ، بماذا تشعر ؟

فريبوزى :

ماذا تريدين منى ؟

فرانسيسكا :

كنت أسألك فقط هل ينقصك شىء ؟ هل يوجد بعض الحصى فى حذائك مثلا يمنعك من السير بخطى أسرع ، أو ربما تشعر بالألم فى أسنانك ؟

فريبوزى :

لقد قلت إننى سأحضر بعدكما ... ألا يكفى هذا ؟

فرانسيسكا :

لا فائدة من هذا الهذيان .

سوزى :

لكننى أعتقد أنه يعانى شيئًا ما ، أننى أشعر بذلك ؟

فرانسيسكا :

لماذا تشعرين أنت تحديًدا أنه يتألم ويعانى ؟

سوزى :

سيسكا أرجوك !

فرانسيسكا :

هل يمكنك أن تصفى لى ما تشعرين به ؟

سوزى :

لا أعرف على وجه التحديد .. لكننى أعتقد أنه يشعر بالكآبة والتعاسة ، ولا يبدو سعيدًا . كأن هناك ما يقلقه ويثقل كاهله .

فرانسيسكا :

يكمن ذلك فى الحقيبة التى يحملها ، هى التى تشكِّل حملاً ثقيلاً بالنسبة إليه . الآن هيا أسرعى !

سوزى :

ألا تعتقدين أنه من الأفضل أن تظل واحدة منا هنا إلى جانبه ، فإذا حدث له أى مكروه ، وجد من يسعفه .

فرانسيسكا :

عظيم جدًا ... يمكنكما البقاء وليساعد كل منكما الآخر .. ولكن لا تنسيا وتبالغا كثيرًا فى المساعدة .

سوزى :

ماذا ؟ ألا تخجلين من نفسك ؟

فرانسيسكا :

أعتقد أن لى عينين فى وجهى ، أستطيع أن أرى بهما ما يدور من حولى .. لذلك أقول لكما افعلا ما يحلو لكما . اجلسا أو ارقدا . فى النهاية ليستمتع كل واحد منا - نحن الثلاثة - بأجازته (**تسير بمفردها دون أن تلتفت إليهما**) .

سوزى :

لا يوجد أى شىء بيننا كما تدعين يافرانسيسكا !

أليس كذلك ؟! هل ترغب فى البقاء هنا قليلاً ؟ أعتقد أنه من الأفضل لو بقيت إلى جانبه يافرانسيسكا .. وأفضل من ذلك لو بقينا نحن الاثنتان إلى جانبه . والآن ، أعتقد أنك غاضبة منى (**تختفى فرانسيسكا وراء الجبل . يقترب فريبوزى من سوزى، وينظر حوله فى كل اتجاه ، ويتظاهر بأنه لا يراها مع أنها قريبة منه**) .

سوزى :

أرنست !

فريبوزى :

آنسة سوزى ، أمازالت هنا ؟

سوزى :

أرغب أن أبقى إلى جوارك حتى تتحسن حالتك .

فريبوزى :

ماذا حدث ؟

سوزى :

استمرت فرانسيسكا فى سيرها ، وبقيت أنا هنا إلى جوارك .

فريبوزى :

هل ذهبت إلى الكوخ ؟

سوزى :

نعم !

فريبوزى :

وفضلت أنت البقاء هنا إلى جوارى ؟

سوزى :

بالطبع .. ربما تحتاج إلى مساعدتى .

فريبوزى :

لكننى بصحة جيدة .

سوزى :

ألا يمكننا أن نتكلم بشىء من الصراحة .. أعتقد أنك تشعر بالمعاناة، وأن هناك ما يثقل كاهلك . ألا أستطيع حقًا مساعدتك ؟

فريبوزى :

(**يجلس على حجر ، ويقول**) : مساعدة ؟! مساعدتى ؟! تسألين إذا كان فى استطاعتك مساعدتى ... إذا كنت ... (**يمسك يدها**).

سوزى :

نعم ، ليتنى أستطيع مساعدتك .

فريبوزى :

ياله من شىء رائع . يكفى أنك تفكرين فى مثل هذه الأشياء الرائعة. فكلمة " يساعد " هذه ، و " مساعدة " ، و " تقديم

المسـاعـدة " تدخل الراحـة علىّ .. لكن مـشكلتى لا حل لهـا .. لا يمكنك المساعدة فى حلها .

سوزى :

بلى !

فريبوزى :

الجميع يقولون ذلك ، إنهم يرغبون فى مساعدتى .

سوزى :

لكننى لستُ " كالجميع " . انظر فى عينى !

فريبوزى :

حتى إن نظرتُ فى عينيك .

سوزى :

انظر بعمق وبكل هدوء ... لابد أن تثق بى، وعليك أن تصدق ...

فريبوزى :

أصدق ماذا ؟

سوزى :

أننى قادرة على مساعدتك .

فريبوزى :

ماذا لو باءت محاولاتك بالفشل . هل هذا معناه أننى صدقتك دون جدوى ؟

سوزى :

لماذا كل هذا اليأس والضعف والشعور بالانهزام ؟ لماذا لا تصدق ما يقـال لك ، لماذا لا تتـشـبث بالأمل ، لماذا ترفض أن يسـاعـدك الآخرون... إذا فعلت هذا مع الآخرين .. فلا بد أن يكون شعورك

تجـاهى مـخـتـلفًـا ... فلتـتـمـسك بى يا أغلى الناس (**يميل على صدرها**) والآن اقصص علىَّ ما يحزنك !

فريبوزى :

ماذا ؟ وعن أى شىء أحكى لك ؟

سوزى :

اصمت إذًا أو ابكِ ، أو تكلم بصوت منخفض .. أو اشرع فى البكاء، ثم بعـد ذلك ابدأ فى الكلام .. ربمـا بصـوت منخـفض ، أو ابدأ فى البكاء . وبعد أن تستريح قليلا اقصص علىَّ ... ربما يخفف البكاء عنك شيئًا من الطاقة المحبوسة بداخلك ، التى تسبب لك الاختناق. ابكِ أو تكلم ... أرجوك ، وثق بى يا حبيبى .

فريبوزى :

(**يقف**) لا أستطيع يا طفلتى ... لا أستطيع أن أشرح لك .

سوزى :

عليك الشـروع حـتى فى المحـاولة . أرجـوك ، حـاول ! ... هل فرانسيسكا هى التى تسبب لك هذا الضيق والاختناق ؟

فريبوزى :

ليست فرانسيسكا هى كل أسباب معاناتى .

سوزى :

ألا تشعران معًا بالسعادة ؟

فريبوزى :

لا أعرف على وجه التحديد .

سوزى :

لكن هذا ملحوظ ومحسوس .

فريبوزى :

المشكلة لا تتعلق بفرانسيسكا وحدها !

سوزى :

أعتقد أن جذور المشكلة تبدأ من عندها .

فريبوزى :

هل هذا رأيك ؟

سوزى :

أعتقد أنها تحبك ، ولكن بطريقتها الخاصة ، الحارة والخشنة .

فريبوزى :

بالتأكيد إنها تحبنى ... ما من شك فى هذا .

سوزى :

كيف تجرؤ على عكس ذلك ؟ أعتقد أنه لم يُخلق أحدكما للآخر ؛ لأن فرانسيسكا ترغب فى الارتباط بشخص يتميز بقوة الشخصية ويقف على أرض صلبة ، يكون نشيطًا ومتفاعلاً مع المجتمع، وله العديد من الصداقات . ولابد أن يكون له هدف واضح فى الحياة ، وليس شخصًا حالمًا مثلك .

فريبوزى :

اعتقد أنك تعرفننى جيداً .

سوزى :

هل هذا يثير دهشتك ؟

فريبوزى :

لقد قمت بتعريتى تمامًا فى كلمات قليلة ، ومن دون مواربة أو مواراة . هذا صحيح. إننى لست من هؤلاء الشجعان ، ولا من هؤلاء العظماء ، ولا أنتمى إلى الغزاة والفاتحين مثل .. مثل (يقفز) مثل بورروكر .

سوزى :

أرنست ؟ ماذا بك ؟

فريبوزى :

لا شىء أبدًا ! لقد قلت فقط " بوروكر "، وهذا شخص أعرفه ، وهو رجل نشيط جدًا .. لا أدرى لماذا فكرت فيه الآن . (**يقول فى عصبية**) عليك الآن أن تلحقى بفرانسيسكا يا طفلتى !

سوزى :

وهل أتركك وحدك ؟

فريبوزى :

ربع ساعة فقط .

سوزى :

ولكننى كنت أرغب فى مساعدتك .

فريبوزى :

لكنك فعلت أكثر مما تعتقدين .

سوزى :

أحقًا ما تقول ؟

فريبوزى :

دعينى وحدى الآن أفكر فى الأمور كلها ، حتى أنتهى إلى قرار؛ لأن هذا المكان المنعزل وسط الجبال ، والذى تحيطه الوحدة من كل جانب سوف يساعدنى على الوصول إلى قرار صحيح يجمعنا معًا .

سوزى :

هل تفكر فىَّ أيضا ؟

فريبوزى :

نعم .. أفكر فى قرار يجمعنا أنا وأنت . والآن اذهبى وكونى على حذر .

سوزى :

وكن أيضًا على حذر ... خذ حذرك ! أتسمعنى ؟ لكى أهدأ وقر عينى . (**تتسلق الجبل ، وهى تلوح له بين الفينة والفينة . فى تلك الأثناء يقفز القرين خلف صخرة، وينظر كل من القرين وفريبوزى فى الجهة التى تسير فيها سوزى ، حتى تختفى عن أعينيهما**) .

القرين :

أعتقد أن ساقيها قصيرتين، ولها عمود فقرى أجوف .

فريبوزى :

إنها النموذج الذى كنت أتمناه دائمًا .. إنها دليل الذكاء النادر .

القرين :

وهل لاحظت أنها لا تسمع بالأذن اليمنى ... فما قولك فى هذا ؟

فريبوزى :

إنك تعرف جيدًا أننى أنا وأنت نعانى ضعف السمع فى الأذن اليسرى .

القرين :

يا عزيزى فريبوزى . أعتقد أنها ولدت بهذا الضعف فى السمع، لكن المسألة تختلف كثيرًا عندى وعندك .

فريبوزى :

عظيم جدًا يا فريبوزى ... إن عملية جراحية بسيطة تصلح هذا الضعف السمعى، وتجعلنا نسمع كل شىء ، حتى الحشائش أثناء نموها. أعتقد أن قوة السمع عندى تكفينى ... إننى أستمع إلى

تلاميذ فصلين ، وأستمع إليك أيضا، وهذا يكفينى .. إذا ما تكلمت فرانسيسكا . وعندما تفعل ذلك أتمنى أن أصاب بالصمم حتى لا أسمعها . إن الوحيدة التى أتمنى أن أسمعها إذا ما تكلمت هى سوزى . إنها النبرة الوحيدة التى تطرب لها أذناى .

القرين :

ماذا عن السيد بوروكر ؟ ألا تصغى إليه عندما يلقى مواعظه وعباراته المملوءة بالحكم ، وترهف السمع عندما يتكلم ؟

فريبوزى :

(**يقفز فوق حجر**) : بوروكر ... السيد بوروكر ... زميلى فى العمل... ربما لن يأتى إلى هنا ؟

القرين :

ربما يكون فى انتظارك فى الكوخ عندقمة الجبل .

فريبوزى :

إنه قادر على فعل أى شىء (**ينادى بصوت مرتفع**) ياسيد بوروكر... بوروكر (**يجلس ويشعر بالإعياء الشديد**) . دائما يمسك بخيوط اللعبة جميعها فى يده . دائمًا يسبقنا إلى أى مكان نرغب فى الذهاب إليه ... دائما يحظى بالرعاية والعناية .. نعم .. هذا صحيح يافريبوزى .. الحق كله معك . كان من الواجب علىَّ أن أسدد إليه ضربة قاضية ... كان لابد أن أفعلها ... مرات ومرات بهذا الخطّاف . لكن لن يحدث معى فى المرة القادمة مثلما حدث فى المرة الأولى . كانت المرآة فى المرة الأولى هى السبب فى توترى وشعورى بالعجز وعدم القدرة . ولكن أعدك أننى سوف أفعلها فى أول فرصة .

القرين :

الفرصة آتية لا محالة .

فريبوزى :

هنا ؟!

القرين :

نعم هنا !

فريبوزى :

ولكن ؟

القرين :

عليك أن تفكر ، وعليك أن تستجمع شجاعتك .

فريبوزى :

دعنى أفكر لحظة ... نعم ، إنه سوف يأتى إلى هنا من هذه الجهة.

القرين :

سيأتى إلى هنا ، ونحن فوق قمة هذا الجبل المرتفع .

فريبوزى :

أندرياس هوفر "*Andreas Hofer*" *.

القرين :

ولكننا نأتى من منطقة التيرول "*Tirol*" . إذًا لقد فهمت .

فريبوزى :

ولكنه مثل نابليون .

---

* (أندرياس هوفر : ولد فى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر من عاما ألف وسبعمائة وسبع وستين ، وقتل فى العشرين من شهر فبراير من عام ألف وثمانمائة وعشر . ولد فى منطقة "Passaiertal" بسائير تال . وفى الفترة من عام ١٨٠٩-١٨١٠ ، أصبح قائدًا للمجموعة الثورية المتمردة على الفرنسيين فى منطقة مانتاو Mantua : المترجمة)

القرين :

وأنت مثل أندرياس هوفر الثورى .

فريبوزى :

إذًا إلى الجهاد فى " *Mantua* " مانتاءُو. (**يتعانقان ويغنيان ، ويبدأ فى جمع الأحجار ورصها فوق بعضها بعضا بعناية فائقة**) .

فريبوزى :

ثم ... ثم ماذا يفعلون بها ؟ بعد أن ...

القرين :

نعم ... تلك الأحجار الكروية التى تصل أحجامها إلى حجم الرأس.

فريبوزى :

نعم ، فى حجم الرأس أو ربما أكبر قليلاً ... ترى ماذا يحدث بعد أن يقوموا بجمع تلك الأحجار ؟

(ينظران إلى هذه الكومة الضخمة من الأحجار التى قاما بجمعها).

القرين :

رفسة صغيرة ، بالطبع غير مقصودة ، سوف تجعله يتدحرج من فوق الجبل .

فريبوزى :

وينتهى بوروكر .

القرين :

لن يوجد بوروكر على وجه الأرض .

فريبوزى :

لكن انتظر قليلاً ... أنت الذى سوف يختفى من على وجه الأرض.

(فى هذه الأثناء يقترب منهما السيد بوروكر مرتديًا ثياب متسلقى الجبال) .

القرين :

السيد بوروكر .

فريبوزى :

الزميل العزيز بوروكر ... لقد أتيت إلينا .

بوروكر :

يا صديقى العزيز ... عندما تنادينى ... فإننى أهرع إليك فى التو واللحظة . الآن ... أنا هنا !

القرين :

فى مثل هذا الموقف كان " أندرياس هوفر " سوف يشعر بالهزيمة، وعدم القدرة على المقاومة . **(يختفى وراء صخرة)** .

فريبوزى :

ولكن لماذا أتيت من أعلى ؟

بوروكر :

ما الذى يمنع أن يأتى الصديق من أية جهة يقصدها للقاء صديقه؟ هذا ما أقوله دائما لتلاميذى : إن الطرق كلها تؤدى إلى روما ... الآن ماذا لو أنك يا صديقى اعتقدت أننى سوف أحضر من جهة ما، ثم حضرت من جهة مختلفة ؟ لقد شعرتُ بذبذبات صوتك وهى تتجه نحوى وتنادينى .. فأسرعت إليك . إننى لا أعرف تحديد الاتجاهات والطرق فى المناطق الجبلية ، ولكن صوتك كان هاديًا لى، وقادنى إلى هنا ... إليك .. كان من الممكن أن تحدث كارثة مثلا فى الطريق ، وأتعثر فى بعض الأحجار . يمكن أن يحدث ذلك

فى لمح البصر .. فربما حصاة صغيرة فى حجم البندقة تأخذ فى طريقها قطعة من الحجر فى حجم البيضة، أو ربما فى حجم الفأر.. وتجد أن الثلاث تتدحرج وتأخذ فى طريقها خمسة أحجار فى حجم كرة التنس... ومن ثم هذه تأخذ فى طريقها أيضا قطعًا صغيرة من أحجار الجرانيت. فى هذه الأثناء يصرخ والدا تلك الأحجار الصغيرة ويسبان ويلعنان ويتدحرجان خلف أولادهما الصغار... ويتبعهما أفراد العائلة جميعًا .. لأن مثل هذه العائلات لا يترك فردًا يعانى مصيره بمفرده ، بل يتكاتف أفراد الأسرة جميعًا وكذلك فإن باقى الأسر الأخرى تهب لنجدته . ويجرى الجميع ، ويصرخون وينادون :" أمسكوا اللص ... أمسكوا اللص ... أمسكوا اللص " ... وفى أسفل الجبل يقف السيد فريبوزى ، ولا يدرى ما يحدث ويعتقد أنه يرغب فى القبض على اللص ، لكنه فجأة يجد نفسه راقدًا على الأرض ، والدماء تنبثق من كل بقعة فى جسده ، حتى الأنف ينزف بشدة .

فريبوزى :

لقد ملأت قلبى بالخوف وبالرعب .

بوروكر:

ما الذى أخافك ؟ لكن مع ذلك ، أجدنى فى غاية السعادة ، لأننى بالطبع أجدك تتمتع بالصحة والعافية .

فريبوزى :

هل كنت موجوداً فوق قمة الجبل ؟

بوروكر :

فوق القمة ... نعم ... بكل تأكيد .

فريبوزى :

فى الكوخ ؟

بوروكر :

لقد قمت بتنظيفه على أكمل وجه ... لأن من أقاموا فيه قبلنا ... كانوا على درجة كبيرة من الهمجية .

فريبوزى :

ما كان ينبغى لك أن تفعل ذلك ، لاسيما أن خطيبتى فرانسيسكا وصديقتها سوزى ...

بوروكر :

آه . إذًا هما اللتان قابلتهما هناك ... لقد اعتقدت ذلك حينما رأيتهما أمام الكوخ . لقد كنت عائدًا لتوى من الكوخ فرأيتهما أمامى، وقمت على الفور بتحيتهما فى أدب ووقار . إنهما مخلوقتان رائعتان بكل المقاييس . فهما تتميزان بالروعة، وتتفوقان على جمال الطبيعة التى رأيتهما فيها، تلك الطبيعة الصخرية الهمجية وغير المنسقة . فظهر جمال هاتين الفتاتين وفتنتهما. وفى هذا المشهد- بالتحديد - تتجلى عظمة الإنسان الذى يقف إزاء مثل هذه الخلفية. ويحفزنا هذا المشهد الرائع إلى أن تهتدى أعيننا إلى رؤية عظمة الإنسان . ونستطيع وقتها أن نقول بكل فخر : " **هذا هو الإنسان !** " أغلق كتابك وانظر وتأمل فى **عظمة الإنسان** واشبع عطش عينيك من هذه العظمة ، ومن هذه الفتنة .

فريبوزى :

أعتقد أنك لا تستطيع إخفاء إعجابك بالفتاتين .

بوروكر :

إعجاب ؟ لقد فُتنت برؤيتهما ... وانتعشت روحى عند النظر إليهما . لذلك أستطيع أن أسمى نفسى بالمحظوظ ، لأننى قمت بتنظيف الكوخ من أجلهما، وأعددت المدفأة ، ووضعت الماء فى القدر... لكى يستمتعا بالدفء ، لحظة وصولهما إلى الكوخ . وأتمنى أن يستمتعا بالمشروبات مثل الشاى والقهوة فور وصولهما . وبالتأكيد سوف نحصل وأنا وأنت على بعض هذه المشروبات ، عندما نصل إلى هناك ، لأنه سوف يكون قد أجهدنا السير ، وشعرنا بالإعياء والتعب .

فريبوزى :

أحقًا ترغب فى الصعود إلى الكوخ فى أعلى القمة الجبلية مرة ثانية ؟

بوروكر :

نعم ، سوف نقطع المسافة فى أقل من ربع الساعة . وسوف ندق على باب الكوخ .

فريبوزى :

أليس من الأفضل أن أذهب أولا، ثم تأتى أنت بعد ذلك ؟

بوروكر :

لقد شاهدتنى الفتاتان .

فريبوزى :

ولكنها على أية حال كانت نظرة سريعة وسطحية .

بوروكر :

ولكنهما قامتا برد التحية فى لطف بالغ .

فريبوزى :

لكن من المحتمل أن تجذع الفتاتان عند رؤية رجلين معًا .

بوروكر :

لا يحدث ذلك فى منطقة جبلية كهذه ، لأن الأكواخ قد صممت خصيصًا من أجل ذلك . إن الجوالين يعرفون دائما أنهم عرضة للمفاجآت والمغامرات فى هذا المكان ... فهم عرضة للعواصف وظلام الليل الدامس ، والتعب ... كل هذه الأشياء لابد أن تُوضع فى حسبان كل من يرتاد مثل هذه الأمكنة . فى هذه الحالة يرى المتسلق ضوءًا قادمًا من بعيد فيسير فى اتجاهه ... فتقوده قدماه إلى الكوخ .. فيدخل حيث الدفء يحتويه ، ويسعد بوجود آخرين من البشر . هل سمعت يافريبوزى هذه الكلمة جيدًا ؟ " بشر " وبعد قضاء عدة أيام يشعر فيها المرء أنه مهدد بأخطار عديدة، وأن هناك سلسلة طويلة ومتصلة من اللحظات الذى يشعر فيها بالعزلة والوحدة التامة ، تجده أخيرًا يشعر بالسعادة عندما يحظى بأناس يأنس إليهم. هذا شعور رائع ، ولا يمكن وصفه فى كلمات.

فريبوزى :

ولكننا لم نواجه أى نوع من أنواع الأخطار التى تتكلم عنها .

بوروكر :

أليس من الممكن أننا كنا قد واجهنا عديدًا من الأخطار ؟.... فكر مثلاً فى تلك الكومة من الأحجار التى ذكرتها لك سابقًا .. ماذا كان يحدث لو بدأت هذه الكومة فى التدحرج ؟ أقصد ، من غير قصد؟... كان من الممكن أن يصطدم أحد هذه الأحجار بأحد مسامير الحذاء مثلاً ... أو كان من الممكن أن يحدث شئ من هذا القبيل، شئ من هذا القبيل .

(يقترب بوروكر من كومة الأحجار ويدفعها ، فتبدأ فى التدحرج بسرعة وياندفاع شديد نحو التل . ومازال صوتها يُسمع لفترة طويلة) .

فريبوزى :

(يقول فى فزع ورعب) : يا إلهى !

بوروكر :

إنك تسمع الآن وترى بنفسك أيضًا .. إن الجبل يحتوى دائما على عديد من الأخطار ... وحتى الطبيعة نفسها تنتظر عديدًا من الأخطار ...

فريبوزى :

هذه هى المرة الأولى التى ارتاد فيها تلك المناطق الجبلية .

بوروكر :

يا للخجل .. الإنسان لا يستوعب مثل هذه الحقائق إلا متأخرًا جدًا ويراها أيضا بوضوح ، يا صديقى العزيز ، - مع الأسف - متأخرًا جدًا .

فريبوزى :

كنت من قبل أشعر بالثقة بالنفس ، أما الآن فأشعر بالارتباك والاضطراب الشديدين .

بوروكر :

عليك أن تثق بى ، أرجوك .. هذا كل ما فى الأمر .. إننى معتاد ارتياد تلك المناطق الجبلية **(يأخذ حبلا من فوق كتفه ، ويربطه فى الحزام الذى يضعه فريبوزى فوق وسطه ، ثم يقول)** :

لابد أن نأخذ حذرنا وحيطتنا ... وربما نخجل عندما نتذكر أن الآنستين قد قامتا من قبل بتلك التجربة من دون خوف أو تردد . ولاسيما عندما نتذكر تلك الفتاة التى قامت بالتجربة الأولى ... لابد أن لديها قدرًا من الشجاعة والجرأة ، وأعتقد أنها تتميز بالحزم والجدية .

فريبوزى :

إنك تقصد فرانسيسكا .

بوروكر :

إنها شارلوته حقيقية (**يقصد شخصية "شارلوته" بطلة مسرحية التبادلات المزدوجة، للشاعر الكلاسيكى يوهان فولف جانج جوته : المترجمة**) . أما الفتاة الأخرى – فهى من وجهة نظرى – تستطيع أن تقوم بأداء دور " أوتيلى" بشكل منقطع النظير .

(**يقفز القرين من وراء الصخرة ويتسلق وراء الاثنين**) : أشعر وكأن جوته يتسلق معنا هنا الجبل فى هذه اللحظة ... وربما يراودنى ذلك الشعور ، خاصة ونحن نعرف أن جوته لم يقم بزيارة سويسرا لجمالها ونظافتها فحسب ، ولكنه كان يزورها بسبب الطبيعة الخلابة فيها ، والتى لم تكن قد اسُتهلكت ، وظلت " بكرًا " من وجهة نظره . لذلك أعتقد أنه يحب الطبيعة فى سويسرا بشكل خاص .

(**يختفى بوروكر وراء الصخرة ، ويلحق القرين بفريبوزى**) .

القرين :

هاهى السكين ... أمسك بها واقطع الحبل .

فريبوزى :

لا فائدة من ذلك .

القرين :

أقول لك أمسك بالسكين واقطع ...

فريبوزى :

قلت لك لا طائل من ذلك .

القرين :

أنت يا هذا ... قلت لك هذه هى فرصتك الأخيرة ... خذ السكين...

فريبوزى :

لا جدوى ... يافريبوزى ... لا جدوى أبدًا .

القرين :

سيقع لحظتها على العمود الفقرى إذا قطعت الحبل .

فريبوزى :

إن هؤلاء أمثال بوروكر لا يقعون أبدًا ...

القرين :

خذنى معك إذًا إلى الكوخ .

فريبوزى :

هذا ينقصنى أيضا الآن ... أصطحبك معى إلى الكوخ ؟

القرين :

إنك بدونى غير قادر على التصرف ، وقليل الحيلة ... وتدعه يفعل معك وبك ما يحلو له بدون أن تقاوم أو تعارض . خذنى معك !

فريبوزى :

إنه لا يفعل ذلك معى وحدى ، ولكنه معنا نحن الاثنين ... اترك الحبل ... ! اترك الحبل قلت لك !

القرين :

أنا وأنت ... كل واحد فينا يتبع الآخر .

فريبوزى :

أبعد مخالبك إذًا عن الحبل !

القرين :

فريبوزى !

فريبوزى :

ابعد ...

القرين :

فريبوزى ! فريبوزى !

(فريبوزى يختفى وراء الجبل ويظل راقدًا هناك ، ينهض القرين فى شىء من التعب والإعياء ، ثم يقف ويتصرف هكذا كما لو أن فريبوزى يرغب فى أن يقذف فريبوزى الآخر من فوق الجبل . ويبدو وكأنه فى الوقت نفسه عليه الاستمرار فى صعود الجبل ، فى حين أن فريبوزى يرقد على الأرض أسفل الجبل ، ويعانى الصدمات والكدمات والجروح وكسور خطيرة) .

(الجبل يكسوه الظلام ... ويظهر الكوخ مضيئًا ... تجلس فرانسيسكا بجوار المائدة ، وتضع فوق قدميها البودرة . وتقف سوزى فى هذه الأثناء بجوار المدفأة) .

فرانسيسكا :

هل حقا تقصدين أنه أوقد المدفأة ووضع الماء على النار لعمل الشاى أو القهوة ؟

سوزى :

أقول إنه ربما يكون هو الذى فعل ذلك ، لأنه جاء إلى هنا .

فرانسيسكا :

ولكن ما كان ينبغى له أن ينصرف ويترك القدر تغلى فوق النار المشتعلة .

سوزى :

ربما يكون قد شاهدنا . واعتقد أننا نرغب فى قضاء الليل هنا فى هذا الكوخ .

فرانسيسكا :

إذًا كان يمكنه أن ينتظر حتى نصل إلى الكوخ ... كان لابد من أن نشكره على صنيعه هذا ... لكن لا أفهم لماذا انصرف هكذا ببساطة ؟

سوزى :

ربما خشى أن نشعر بالخجل ...

فرانسيسكا :

لا أعتقد . هل ما زال هناك أشخاص يشعرون بالخجل ؟

ولكنه قام بتحيتنا بكل لطف وود .

سوزى :

هذا صحيح !

فرانسيسكا :

ترى كم يبلغ من العمر ؟

سوزى :

لا أعرف على وجه التحديد .

فرانسيسكا :

ربما يكون فى الأربعين ؟

سوزى :

من الجائز جدًا .

فرانسيسكا :

لن يكون أكثر من ذلك بأية حال من الأحوال .

سوزى :

نعم ! ربما !

فرانسيسكا :

ماذا تقصدين بكلمة " نعم " ؟ هل تسمعين ما أقول أو إنك فقط ترددين كلمة " نعم " ؟

سوزى :

أسمعك بكل تأكيد ، سيسكا .

فرانسيسكا :

ألم يحز إعجابك ؟

سوزى :

إعجابى ؟ .. لا أعرف على وجه التحديد .

فرانسيسكا :

لا داعى إلى الإنكار ... ولا تقصى علىَّ هذه القصص والحكايات . هذا أمر تستطيع أن تعرفه كل امرأة ، ومنذ الوهلة الأولى .

سوزى :

لم أمعن فى النظر فيه ، كانت نظرة سريعة وخاطفة؛ لأنه ذهب سريعًا .. صحيح أننى كنت أرغب فى أن أستدير إليه مرة أخرى ؛ لأنظر إليه مليا ...

فرانسيسكا :

ولكنك مع أرنست استدرت ونظرت إليه حتى لُويت رقبتك ...

سوزى :

سيسكا أرجوك !

فرانسيسكا :

لقد رأيت ذلك بنفسى ! صحيح أنك فعلت ذلك بطريقة غير لافتة للنظر ، ولكنها لا تخفى على أمثالى ... ولكن ما الذى أعجبك فى أرنست ؟

سوزى :

(**بعد فترة تفكير وتدبير**) أقولها لك صراحة ... كثيرًا ما تمنيت أخًا يكبرنى ... وعندما رأيت أرنست اعتقدت ، وشعرت على الفور أنه يذكرنى بصورة الأخ الأكبر .

فرانسيسكا :

تتمنين شخصًا مثل أرنست ؟!

سوزى :

بكل تأكيد .

فرانسيسكا :

إذًا يمكنك أن تتخذى منه أخًا أكبر ... أعرف عنه أيضًا أنه كان

طفلاً وحيدًا فى بيت أسرته ... وأعدك أننى سوف أتفهم طبيعة العلاقة بينكما. بالمناسبة ... هل كان يعانى شيئًا عندما فضل البقاء بمفرده أسفل الجبل ؟ هل كان يشعر بألم فى قدمه، أو بشىء من هذا القبيل ؟

سوزى :

لقد اعتقدتُ ذلك فى بدء الأمر ، ولكنه لم يفصح عن شىء . وقال لى إنه يفضل البقاء بمفرده بعض الوقت؛ لأنه يريد التفكير فى شىء ما فى هدوء وسكينة.

فرانسيسكا :

تخطر هذه الفكرة على باله فى الوقت الذى لابد علينا فيه من التجوال فى الجبل . هل هذا معقول ؟

سوزى :

نعم ، وبكل تأكيد ، لأن رؤية الجبل هى التى أوحت إليه بهذه الفكرة: أن يجلس فى عزلة ، ويتدبر أمره .

فرانسيسكا :

مفهوم ... مفهوم !

سوزى :

أعتقد أنه من النوع الذى لا يظهر ما فى أعماقه بسهولة .

فرانسيسكا :

هل أخبرك بما فى أعماقه ؟

سوزى :

ليس كما تعتقدين ، ربما يعانى شيئًا ما ، ويرغب فى أن يبوح لشخص ما بما يعتمل فى صدره . أعتقد ياسيسكا أن هناك نوعًا من البشر لا يعبأ بأى شىء . ولكن ربما تختلف المسألة عندى بعض الشىء ، وأعتقد أن أرنست مثلى . إن شخصية أرنست تتطلب أن يتعامل معها الآخرون بحذر . وعلى من يتعاملون معه ، ألا يجبرونه على الكلام ، بل يتركونه وشأنه . وعليهم أيضا أن يزيلوا الشعور بالخجل أو الخوف برفق وحذر.

فرانسيسكا :

كيف تفعلين ذلك ؟ أقصد " الإزالة " ، ومثل تلك الأشياء التى تتحدثين عنها فمن اللاشىء لا يتولد إلا لا شىء .

سوزى :

أعتقد ، أنه لا جدوى من الكلام معك !

فرانسيسكا :

كيف إذًا ؟ إن كلمات مثل "الخجل"، و " الإزالة "، التى تستخدمينها، تجعلنى شغوفة إلى معرفة الكثير والكثير .

سوزى :

إنك لا تعرفين مثل هذه الأحاسيس . لأنك من النوع الجرىء الذى لا يعبأ بأحد . لذلك فأنت تسخرين من أمثالنا .

فرانسيسكا :

هل تقصدين بكلمة أمثالنا " نفسك أنت وأرنست " ؟

سوزى :

نعم ... فطبائعنا تتشابه من حيث الانطواء والخجل .

فرانسيسكا :

إذا تكلمت عن نفسك وعن أرنست بصيغة الخطاب " نحن " ، فلابد وأن أخاطبكما بصيغة المثنى " أنتما " . وسوف أقص عليكما أنتما الاثنين شيئًا .. وأقول لكما إننى أحمل قلب طفلة صغيرة ولا أصدق كل ما يقال لى ؛ لذلك يمكنكما أن تقولا لى ما يحلو لكما ... فقط إذا كنتما تعتقدان أنكما تداعبان روحى ، وتمزحان معى بمثل هذه العبارات ، من مثل : " الشعور بالخجل " ، وهو يعتقد أنك أخته ، وأنت تقولين له أخى ، فهذا لا يصدقه عقل ، وربما أقول لك أنك أنت هو ، وأنه أنت ، وأنتما الاثنان أبى وأمى . وبالمناسبة ، أرى أن لفظ " نحن " الذى تستخدمينه ، عندما تتكلمين عن نفسك وعن أرنست شىء جميل ورائع. يا عزيزتى أنكما تخدعان نفسيكما كثيرًا . وتضلان كثيرًا ... والآن لابد من أن أفرغ حقيبتى ، وأضع ملابسى فى الدولاب .

سوزى :

أين نضع الأدوات الخاصة بكل فرد منا ؟

فرانسيسكا :

لا أبالى أبدًا فى مثل هذه الموضوعات .. ضعيها فى أى مكان يحلو لك .

سوزى :

لماذا الانفعال ؟

فرانسيسكا :

ضعيها فوق الرف ، وخذى حاجياتى أنا أيضا وضعيها بجوار أشيائك.

سوزى :

أشكرك .

فرانسيسكا :

لا شكر على واجب . من أجلك أفعل أى شىء يا عزيزتى .

سوزى :

سيسكا !

فرانسيسكا :

هل لديك أية أمنيات أخرى ؟ بالمناسبة ، أى الأسرَّة سوف تختارين؟ سأنام فوق السرير الفردى ، وأتمنى لكما ليلة سعيدة فوق السرير الآخر .

سوزى :

إنك تظلميننى .

فرانسيسكا :

هل فعلت ذلك ؟ لا تغضبى منى ! سوف يحضر أرنست الآن ويطيب خاطرك . إنه يفعل اى شىء من أجل راحتك وسعادتك . لقد قال لى ذات مرة إنه يقف كالخط المستقيم تجاه أفعالى كلها. انتبهى، إنه يقصدها حرفيًا .

سوزى :

ما الذى أتى بى إلى هنا يا ربى ؟ لا أستطيع احتمال أكثر من ذلك ، لم أعد أحتمل أكثر من ذلك (**تلقى بنفسها فوق السرير وتبكى**) .

فرانسيسكا :

لماذا تتظاهرين بأنك متعبة ومتوترة . الأفضل أن تنتظرى حتى يحضر أرنست لكى تقومى بتمثيل ذلك فى حضوره . الآن عليك أن تكملى البلوفر الذى بدأتُ فيه من أجل أرنست (**تقذفها بالجزء الذى قامت بغزله ، وتقول**) :

مثيلاتك يكفيهن غزل الأشياء مثل البلوفرات ، مثلا ، ومع كل غرزة عليك أن تتخيلى موقفًا عاطفيًا مع أرنست (**تأخذ سوزى البلوفر وتبدأ فى الغزل**) .

(**يظهر بوروكر أمام الكوخ ، ويجر فريبوزى الأمتار الأخيرة جرًا. يبدو أن فريبوزى منهوك جدًا ، وغير قادر على صعود الأمتار القليلة الباقية من الجبل لكى يصلا إلى الكوخ**) .

بوروكر :

تبدو متعبًا جدًا يا صديقى العزيز . أعتقد أنك غير معتاد تسلق الجبال ... إننى الآن على يقين من ذلك .

فريبوزى :

(**يجلس على الفور أمام الكوخ**) : لقد كان مرهقًا بعض الشئ .

بوروكر :

إذًا أنصحك بعدم الجلوس هنا فوق هذا الحجر لأنه بارد جدًا ... ولماذا نقف هنا ونحن على بعد خطوات من الكوخ الذى يشع بالدفء ؟ .. انهض أيها الشاب الجوال ! ..

فريبوزى :

لحظة واحدة ... دعنى أسترح بعض الشىء .

بوروكر :

اخلع عنك الحبل إذًا ... فهو يمكن أن يكلفك فقد حياتك **(يساعده على خلعه)** .

فريبوزى :

أحقا تريد أن تبقى معنا الليلة فى الكوخ ؟

بوروكر :

إذا كانت الآنستان قادرتين على احتمالى ... وإذا ظل الجو هكذا ، لأنه ينذر بعاصفة وزوابع ... لذلك لن أستطيع النزول من الجبل لهذه الأسباب ... انظر تُرى ماذا ترى من بعيد ؟

فريبوزى :

أتقصد أن الطقس ينذر بعاصفة وتقلبات جوية ؟!

بوروكر :

لا أجنح أبدًا لأن أكون متشائمًا ، ولكننى ضليع بأحوال الطقس هنا على جبل " الريجى " . لأنه عندما تصفر الرياح هكذا ، فهذا دليل على سوء الأحوال الجوية .

فريبوزى :

لابد أن يأخذ الإنسان حذره ، ويضع كل شىء فى الحسبان .

بوروكر :

الحقيقة الثابتة هى أن الطقس يصبح عادة أسوأ من العلامات التى ينذرنا بها . لكن إذا جلسنا داخل الكوخ ، لن نخشى شيئًا . فالكوخ لن يطير بنا من شدة العواصف (**يضحك**) .

وكما أقول دائما لتلاميذى : " خذوا حذركم من السكون الذى يسبق العاصفة .. إن هذا السكون يكون أسوأ من العاصفة نفسها ، ومن الزوابع كلها ".

فريبوزى :

أرجوك ، لا تتكلم بصوت عال . أرجوك ، يجب أن تتفهم موقفى .

بوروكر :

ماذا بك يا صديقى الغالى ؟ أحقًا تعتقد أننى سوف أفترس فتاتيك الجميلتين ، أو ربما أتصرف بهمجية تجاههما ؟!

فريبوزى :

لا أقصد ذلك أبدًا ... أعتقد أنه لا ينبغى أن نعرى أمامهما سر العلاقة التى تربطنا بعضنا بعضا .

بوروكر :

لن يحدث ذلك أبدًا ... فالليل طويل أمامنا ، ويمكننا الانتظار حتى الصباح ... ومن ثم يمكننا توضيح كل شىء ، وإزالة أى غموض يمكن أن يحدث .

فريبوزى :

هل هذا معناه أنك سوف تتكلم فى الموضوع نفسه ؟

بوروكر :

لا .. لا .. لا .. ماذا تعنى بعبارة " الموضوع نفسه " ؟ إنها عبارة تتم

عن السخف والغباء . إننى أرغب فى توسيع الدائرة... وبهذه الطريقة سوف يجد كل منا طريقه إلى الآخر ، وهكذا ... فقط علينا أن نتعامل مع بعضنا بعضا بعناية فائقة ... ولابد أن اعتمد على مساندتك لى ، وأن أضعها موضع الحسبان .

فريبوزى :

(**يقفز من مكانه**) : لا ... لا ... لن يحدث أبدًا ... أريد الاستمتاع بحريتى ، وهاتان الفتاتان أيضا ... وترغب فى إجبارنا على ...

بوروكر :

أنا خادمك .. لا أرغب إلا فى مساعدتكم ..

فريبوزى :

لكننى أعتقد العكس تمامًا .. أتفهم ما أقول .. " حرية " .

بوروكر :

يا صديقى العزيز ... يا زميلى الغالى ... أينبغى على أن أجيب عن تساؤلك هذا بشىء على غرار قصائد السخرية اليونانية التى أبدعها جوته ولم يفهمها إلا قليلون ؟

فريبوزى :

افعل ما شئت ... فلا أهتم بما تقوله أبدًا .

بوروكر :

(**بصوت مرتفع**) هؤلاء المدافعون عن الحرية ... أعتقد أن كل ما يقال فى هذا الصدد ما هو إلا شعارات عن الحرية ، لا أقتنع بتأثيرها أبدًا ... إنها ليست من المبادئ التى اعتنقها أو أنادى بها . الكل يبحث فى نهاية الأمر عن التعسف .. وإذا كنت ترغب فى العمل على رفع لواء الحرية عاليًا ، فهذا معناه أنه لابد عليك أن

تكون فى خدمة البشرية جمعاء . وهذا أمر خطير .. أترغب فى معرفة إلى أى حد هو جد خطير ؟ ... عليك أن تبادر بالمحاولة ...

فريبوزى :

كما ترى . سأذهب وأمهد لهما فكرة حضورك إلى هنا .

بوروكر :

ولا تنس أن ترسل بتحيتى إلى الفتاتين .

(يدخل فريبوزى الكوخ ، فى حين أن بوروكر يخرج من جيبه مسرحية " التبادلات المزدوجة " ويفتحها ثم يقرأ فيها ويقول لنفسه) :

ينبغى لى أن أستعد للموقف . ولابد أن أفتح الكتاب ، صفحة رقم ثمان وأربعين ، تلك الصفحة التى يجلس فيها الضابط قبالة شارلوته ، وفى الوقت نفسه يتابع إدوارد الحديث الذى يدور بينهما . أما أوتيلى فإنها لم تظهر فى هذه الصفحة بعد، ولكن هذا لا يؤثر فى سير الأحداث أبدًا، فليس لها دور فعال فى الحديث الذى يدور بينهما ولن يؤثر غيابها على مجرى الأحداث ؛ لأن الموقف معد لثلاثة أشخاص فى أغلب الظن . ولنسمع الآن ما يقوله الضابط **(يقرأ بصوت مرتفع)** : إذا كنت تعتقد أن هذا يبدو مرهقًا ومتعبًا جدًا **(يستكمل الضابط كلامه)** ، فيمكننى أن أشرح لك الموقف باختصار ، بلغة الإشارة ... فلنفترض مثلا أن الحرف "أ" يرتبط بالحرف "ب" ، وأنه يرغب الآن فى أن ينفصل عنه لعدة أسباب، أهمها استخدام الأسلوب العنيف والحاد . ولنفترض أيضًا أن هناك علاقة قائمة بين الحرف " جـ" والحرف "د" . والآن سوف نقوم بالتجربة التالية : سنجعل كل حرف ينفصل عن زوجه المكمل

له ، ليدخل فى علاقة أخرى ليكون مجموعة مختلفة . فالمنطق يحتم أنه لابد أن تتوطد العلاقة بين الحرف "أ" والحرف "د" ، وكذلك الحرف "ب" والحرف "جـ" .ولا يُعنى أحد بمعرفة من ترك من ليدخل فى علاقة أخرى ... وهكذا .

بوروكر :

أخشى أن لعبة الحروف هذه تبدو بالنسبة إليهم غامضة بعض الشىء وربما يتعسر عليهم فهمها ... والآن نود أن نعرف ما الوضع داخل الكوخ ، وأيضا كيفية وضع المقاعد حول المنضدة ، ومَنْ يجلس إزاء مَنْ . ربما يكون ترتيب الأشخاص حول المنضدة نوعًا من أنواع حكمة الطبيعة ، فهى التى فرضت هذا الوضع ... ربما يجعلنا ذلك نمعن فى التأمل فى حكمة الطبيعة التى تفرض علينا أين تتقاطع القوانين ، وأين تتلامس . (**ينهض من مكانه ، ويختفى وراء الكوخ**) .

(يقف فريبوزى داخل الكوخ أمام فرانسيسكا ، وتجلس سوزى فى هذه الأثناء ، وتمسك بإبرتى التريكوه ، وتستكمل العمل فى البلوفر) .

فرانسيسكا:

أدخله ... لماذا هذه المناورات كلها ؟

فريبوزى :

لأنه غريب الأطوار قليلا .

فرانسيسكا :

كلنا كذلك .

فريبوزى :

سوف يفسد علينا الليلة بأسرها.

فرانسيسكا :

وربما يحدث العكس تمامًا .

فريبوزى :

إنه لا يناسبنا قط .

فرانسيسكا :

ما وظيفته ؟

فريبوزى :

لماذا ؟ ... مدرس بالمدرسة الثانوية .

فرانسيسكا :

هكذا .

فريبوزى :

ولكنه مدرس بالتعليم الثانوى .

فرانسيسكا :

إنه مكسب شخصى بالنسبة إليك . لك أن تتعلم من خبراته فى عديد من المجالات .

سوزى :

لكن إذا كان أرنست لا يرغب فى وجوده هنا بيننا ؟

فريبوزى :

أعرف تمامًا أنه لن يحظى أبدًا بإعجاب سيادتك ، يا آنسة سوزى .

فرانسيسكا :

الأفضل أن تخاطبها " أنت " ، بدلا من سيادتك ، ولا داعى إلى هذا التكلف المفتعل.

فريبوزى :

أعتقد أنه لا داعى إلى هذه المشادات الآن ياسيسكا . ما علاقة ما أقوله بما تقولينه ؟!

فرانسيسكا :

دعه يدخل إذًا ... لقد قام بعمل كل شىء لنا فى الكوخ ، حتى النار أشعلها لنا .

فريبوزى :

لم يطلب منه أحد ذلك .

فرانسيسكا :

بفضل صنيعه نجلس الآن ونستمتع بالدفء .

فريبوزى :

لو أنه لم يشعل النار ، ما كنت سأشعر بشدة البرد .

فرانسيسكا :

ولكنه يشعر بالبرودة وهو يجلس الآن خارج الكوخ فى هذا الوقت من الليل .

سوزى :

هل تأذن لى فى أن أصنع له فنجانًا من القهوة ، وأناوله إياه بالخارج؟!

فرانسيسكا :

لا تتدخلى فيما لا يعينك ياسوزى . إذا كان لابد من تقديم شىء له، فسوف أفعل ذلك بنفسىَ . والآن ماذا نفعل ؟ هل أبدأ فى العد حتى الرقم عشرة، وبعدها ...

فريبوزى :

أعتقد أن اقتراح سوزى هو أنسب شىء يمكن أن نقوم به الآن .

فرانسيسكا :

هل ستطلب منه الدخول أو لا ؟

فريبوزى :

لا !

فرانسيسكا :

إذًا سوف أذهب إليه وأحضره بنفسى .

(تقترب من الباب ، وتقفز سوزى وراءها) .

سوزى :

لا تفعلى ذلك يافرانسيسكا !

فريبوزى :

إنها تلوم نفسها على أنه موجود الآن بالخارج .

فرانسيسكا :

هل تعتقد أن هذا هو أدب الضيافة ؟ نتركه هكذا ينتظر بالخارج؟!

إنك تعرفه ... صحيح أننى لا أعرف على وجه التحديد منذ متى، لكننى أعرف جيدًا أنه صديقك وزميلك . والآن ... عليك أن تفعل أى شىء ، ولا تقف هكذا . فلتفرغ مثلا حقيبة الملابس . هذا هو

الدولاب ، وهذه هى ملابسك ... وهذه أدواتك الخاصة ، وفرش الأسنان أيضا هيا ... هيا ...

(فريبوزى ينظر فى ذهول إلى السرير الذى وضعت فرانسيسكا فوقه الأدوات الخاصة بكل واحد منهم) .

فريبوزى :

ألا يمكن أن نضع هذه الأشياء فى أى مكان آخر ؟ فى مكان غير هذا المكان ... ربما الأفضل أن نتركها كما هى فى حقيبة السفر ، أو حتى أسفل السرير .

فرانسيسكا :

اعتقد أنه ما كان من المفروض أن تتسلق الجبل ... لقد أثر ذلك فيك بشكل مروع : أعتقد أن تسلق الجبل فى ذاته ، هو الذى أثر فيك ، وليس اختلاف درجات الحرارة .

(تخرج وهى ثائرة . ما زال فريبوزى يقف أمام أدواته الخاصة) .

سوزى :

لماذا ترغب فى أخذ أدواتك الخاصة ، وإلى أين بها ؟

فريبوزى :

اهدئى ياسوزى .. لا أقصد ذلك .

سوزى :

أتمنى من كل قلبى أن أساعدك ياأرنست .

فريبوزى :

يرغب الجميع دائما فى مساعدة شخص ما . حتى هو نفسه يرغب فى المساعدة ...

سوزى :

ما الخبر ؟ هل حدث خلاف بينكما ؟

فريبوزى :

نعم ... ولا ... نعم ولا ... أعتقد أن الوقت غير مناسب كى أشرح لك الحالة فى كلمات قليلة .

سوزى :

ليس من الضرورى أن تفعل ذلك . ولكن أتمنى أن تفعل فقط ما يعجبك وما يحلو لك . (**تهب واقفة**) إذا كنت ترغب فى وضع أدواتك الخاصة فى مكان آخر ، فافعل ما شئت ... ربما (**تبحث بعينيها عن مكان يمكن أن تضع فيه حاجياته**) .

فريبوزى :

دعك من هذا ... لا عليك ! سأضع ملابسى الآن فى الدولاب (**يفتح الدولاب ، ويرتب ملابسه بداخله ، وهى تحاول مساعدته**) . شكرًا ، سأفعل ذلك بمفردى ... وسوف أستعين بك إذا كنت فى حاجة إلى ذلك ... خذى من فضلك هذه الكراسات وضعيها هناك.. (**يأخذ أدواته الخاصة ويضعها فوق الرف ، ويأخذ فى يده مجموعة من الكراسات**) .

سوزى :

أهذه كراسات تلاميذك ؟

فريبوزى :

ولابد أن أصحح آخر موضوع تعبير فى هذا العام الدراسى .

سوزى :

هل يمكننى (**تأخذ كراسة وتتصفحها، وتقرأ بصوت تقلد فيه**

الأطفال) : " فى الصباح .. عندما استيقظ من نومى ، أهب واقفًا من سريرى ، وأنظر من النافذة لكى أعرف أخبار الطقس ، وهو دائمـا أو فى أغلب الأحوال سيئ ... بعد ذلك اغتسل ، وأنظف أسنانى بالفرشاة ، وبمعجون الكلورومنت .

فريبوزى :

هل المفروض أن تفعلى ذلك ياسوزى الآن ؟

سوزى :

أرجو المعذرة ... لم أكن أعرف أن ذلك ... **(تجرى نحوه مسرعة)**.

فريبوزى :

(يمسك بذراعيها برفق ، ثم يقول) : لابد أن نكون حذرين جداً .

سوزى :

مفهوم ... مفهوم .

فريبوزى :

إننى أحبك .

سوزى :

نعم .. وأنا أيضًا .

فريبوزى :

أتسمعين ما أقول ياسوزى ؟

سوزى :

نعم أسمعك ، جيدًا وأحبك **(يمسح بيده على ذراعها ... تُسمع فى الخارج ضحكات ... فى الداخل يأخذ فريبوزى حقيبة سفره ، فى حين تجلس سوزى على مقعدها فى خفة وسرعة ... ثم تظهر فرانسيسكا ومعها بورركر وهما يدخلان الكوخ)** .

فرانسيسكا :

يالك من رجل ... تفضل بالدخول !

بوروكر :

الليدى أولا !

فرانسيسكا :

إذا كان لابد من ذلك (**تدخل ثم يتبعها بوروكر**) .

أعرِّفك بسوزى صديقتى ، وهذا السيد بوروكر ، مدرس فى مدرسة ثانوية .

فريبوزى :

لم أره قط يدخل من أى باب قبل اليوم .

بوروكر :

ربما لا تتذكريننى جيدًا ... ولكننا تبادلنا من قبل النظرات العابرة.

سوزى :

طبعًا ... بالتأكيد .

فرانسيسكا :

هذا أرنست ، أعتقد أنك تعرفه جيدًا .

بوروكر :

هل يعجبك الكوخ ؟ هل تشعر فيه بالراحة والأمان يا صديقى العزيز؟ لقد كنت على حق عندما تنبأت بالأحوال الجوية ... لأن الطقس الآن متقلب وسيئ جدًا . والعاصفة تهب بشدة . لكن يجب ألا نخشى شيئًا ، لأننا نستمتع هنا بالأمن والأمان . لا تخشيا شيئًا يا سيداتى .

فريبوزى :

إن السيد بوروكر قد تسلق جبل الريجى من قبل عديدًا من المرات وهو معتاد ذلك .

بوروكر :

أكثر من اثنتى عشرة مرة . آه لو كانت السماء صافية لكانت الرؤية أفضل ، أريتكم كثيرًا من الأشياء المهمة هنا، مثل الدير والبحر، ومن جهة اليمين تجدون مدينة لوزان ، وعن اليسار مدينة شفتيس وأشياء أخرى . هل تتذكران هذه الأشياء يا آنستى . لا ... لا ... لا تخشيا شيئًا .. لن أدخل فى التفاصيل ، ولن أعذبكما بحديث عن الشاعر شيللر . هذا الشاعر المهذب الأنيق لم يكن قط فى هذه المنطقة، واكتفى بالحصول على المعلومات ، التى يرغب فى معرفتها ، من أطلس جغرافيا الخرائط ، وكذلك من بعض المصادر الأخرى . كل هذه المدن والمعالم التى كتب عنها الشاعر فى مسرحية له ، تركع الآن تحت أقدامنا ... انظروا هناك ... سوف تجدون بحر Zuger " تسوجر " . وإذا نظرنا على البعد سوف نستطيع رؤية منطقة جبال Aargau " آرجاو "، وكذلك جبال Jura " يورا " . ربما لا تصدقوننى إذا قلت لكم إننا إذا نظرنا إلى مسافة أبعد ، فسوف نشاهد منطقة الغابات السوداء . نعم ، إذا حالفنا الحظ غدًا ، يمكننا رؤية جزء منها ، هذه الغابات الموجودة فى ألمانيا . ولكن إذا نظرنا تجاه الجنوب ، سوف نشاهد الغابات الكثيفة التى تتخللها الصخور الضخمة ، وسوف نرى أيضا السحب، والأسوار ، والمجرى الجليدى ، والجليد الدائم الذى لا ينصهر أبدًا . وعلينا ألا نخلط بين جبل Uri Rothstock " أورى

روت شتوك " وجبل Rigi " الريجى " . فالأول يبلغ ارتفاعه ١٦٦٣ مترًا، أما الآخر فيبلغ ارتفاعه حوالى ٢٩٣٢ مترًا. وفى خلفيته تشاهدون جبل Titles "تيتلس" الذى يصل ارتفاعه إلى ما يقرب من ٣٢٣٠ مترًا ... إذا لم تخنّى الذاكرة... ربما يحالفنا الحظ غدًا وتتقشع السحب ونشاهد كل هذه الجبال والغابات . وبالمناسبة، أين يمكننى أن أضع الأدوات الخاصة بى ؟

فرانسيسكا :

فوق هذا الرف ... أعتقد أنك شاهدت كثيرًا من معالم هذه المنطقة . بالمناسبة، يمكنك وضع أدواتك الخاصة فوق الرف الآخر.

بوروكر :

هذا صحيح ، إن المناطق الجبلية تجذبنى إليها ، ولو مرة واحدة كل عام ... ولكن لماذا تصمت يا عزيزى فريبوزى ؟

فرانسيسكا :

لقد تعب فقط من تسلق الجبل بسرعة . ولكنه سوف يستريح ، ويعود إلى حالته الطبيعية .

بوروكر :

(يقف قبالة الرف الموضوعة فوقه الأدوات الخاصة بكل فرد فيهم، ثم يقول) :

هل يمكننى أن أزيح هذه الأكواب بعض الشىء ؛ حتى أتمكن من أن أضع أدواتى فوق الرف ؟

فرانسيسكا :

تفضل بكل تأكيد !

بوروكر :

ولكننى نسيت فرشاة أسنانى ... يا للغباء (**يضحك**) . هذا تصرف سيئ جدًا ، ربما نجد وسيلة أخرى لإنقاذ الموقف . إن هذه الفرشاة الحمراء تبدو غاية فى الأناقة والجمال . هل هذه فرشاة أسنانك ؟

فرانسيسكا :

هل تجذب فرش الأسنان انتباهك بصفة خاصة ؟

بوروكر :

إذا كانت جميلة فقط .

فرانسيسكا :

(**تضحك**) أننى أهديها لك . إنك شخصية غريبة .

بوروكر :

وهذه الشخصية الغريبة قبلت هديتك . (**يضع الفرشاة على الفور فى جيبه**) .

فرانسيسكا :

أرجو ألا تغضب . ولكن هذا المشهد يثير غريزة الضحك فىَّ . وتملؤنى الدهشة من فكرة أنك تتسلق الجبل ، وتتحمل تلك المشقة؛ من أجل الحصول على فرشاة أسنان مستعملة ، هذا بالإضافة إلى أننى أعجب كل العجب ، لأنك لست كأى شخص ، بل أنت مدرس بالمدارس الثانوية .

بوروكر :

ملاحظتك يا عزيزتى تستحق التفكير . ويمكننا أيضا فى هذا الصدد أن نتفكر فى مثل هذه الأمور : ترى من يهدى من ، وماذا يهديه؟

فرانسيسكا :

يالك من مبتكر . لكن لماذا فرشاة الأسنان ، تحديدًا ، هى التى تجذب انتباهك ، وليس نصف مشط مثلا، أو دبوس للشعر ...

بوروكر :

لا أطلب الكثير . فرش الأسنان تكفينى ... أنا أتمسك بهذه المقولة التى تقول : " إنه يمكنك أن تعرف شخصًا ما من خلال رؤية فرشاة أسنانه " .

فرانسيسكا :

إنه إذًا من مذهب متعبدى فرشاة الأسنان . هل رأيت ياأرنست، أو أنت ياسوزى، شخصا مثله من قبل ؟ من أين أتيت بهذه الأفكار ... تفضل بالجلوس ... واقصص علينا قصتك .

فريبوزى :

أعتقد أن السيد بوروكر متعب الآن ، وفى حاجة إلى الراحة .

بوروكر :

على العكس ... إننى منتعش وسعيد جدًا ، وأشعر وكأننى طائر يحلق فى الفضاء بكل خفة وانتشاء . ليس هناك فى الحقيقة ما يمكن أن أقصه عليكم ، ولكن إذا رغبت الآنستان فى ذلك ، فلم لا؟!

فريبوزى :

أرجوك ياسيسكا ... إن سوزى متعبة جدًا ، وتحتاج إلى الراحة ، كما أننى أشعر بالإعياء والتعب .

بوروكر :

ولكن يا صديقى العزيز ... لن أقص عليكم الكثير فى هذا الموضوع. سوف ألخصه فى جمل قليلة . أنت تعرف ذلك جيدًا .

فرانسيسكا :

ماذا ؟ أنت ياأرنست تعرف الموضوع جيداً ؟ إنك لم تقص علىَّ أى شىء فى هذا الصدد . عليك الآن أن تخبرنى بالتفاصيل .

سوزى :

إذا كان هذا الموضوع لن يستمر طويلا ، سوف أستمع إليه ، لأننى لستُ متعبة جدًا .

فرانسيسكا :

ألا ترى ياأرنست ، إن سوزى متشوقة إلى الاستماع إلى هذا الموضوع ؟

سوزى :

أم إنك ترغب فى النوم الآن ياأرنست ؟

بوروكر :

لا ... لا ... لن ينام الآن ... إننى فى أمس الحاجة إلى أرنست فريبوزى ... إذا أصرَّت الآنستان على أن أقص عليهما ذلك الموضوع ، فلابد من وجوده إلى جانبى ... ربما يجانبنى الصواب فى بعض الأحيان ... وابتعد عن سرد الحقائق ... ففى هذه الحالة عليه أن يصحح ما أقول ... ويقول : هذا صحيح ، وهذا غير صحيح.

فرانسيسكا :

والآن فلنبدأ ... إننى متشوقة جدًا إلى سماع قصتك ..

سوزى :

أما أنا فيتملكنى بعض الفضول .. ليس أكثر من ذلك .

بوروكر :

آه ، ترى متى كان ذلك بالضبط يا صديقى ؟ .. فى شهر مارس من العام الماضى ، أعتقد أنه فى هذا الوقت كانت الفكرة قد نضجت بداخلى وتجسدت .. ترى متى رأيتك ياآرنست أول مرة ؟

فريبوزى :

لا ... لا ... هذا غير صحيح .

بوروكر :

ماذا دهاك ؟ ... أعتقد أنك تهذى . أتفضل أن نرجئ هذا الحديث إلى الغد ؟

فريبوزى :

لقد رجوتك أكثر من مرة .

فرانسيسكا :

لن يحدث هذا أبدًا . ابدأ فى الكلام الآن ! ... طوال الوقت تقومان بتشويقنا ... لقد نفذ صبرى ... سوف أعد ببطء إلى العشرة ، وإما أن تحكى لنا ... وإما سوف آخذ منك الفرشاة التى أهديتها لك الآن .

بوروكر :

(**يضحك**) يا أعز صديق ... لا بد من الاعتراف الآن . أعتقد أن المسدس الآن مصوب إلى صدرى . إما أن أحكى وإلا فسوف أُقتل. أعتقد أنه قبل أن أُقتلَ لابد أن أقص عليكم الحكاية .. إذًا فلنبدأ من البداية ... التى كانت فى شهر مارس من العام الماضى ... عندما تجسدت هذه الفكرة بداخلى ... وبعدها بشهرين رأيت صديقى العزيز فريبوزى أول مرة فى فندق " الفصول الأربعة " .

وكان ذلك فى حجرته بالطابق السادس . كان المكان فى بدء الأمر شاهقًا ، ويحتاج إلى مجهود مضنى حتى أصل إليه بعد مشقة وعناء. كنت أتسلق أسطح المنازل حتى أصل إلى حجرة صديقى فى الطابق السادس .

(فى هذه الأثناء يأخذ فريبوزى أدواته الخاصة ، ويضعها فوق الرف) .

فريبوزى :

لن يرانى أحدكم بعد اليوم ... ابدًا ... أبدًا **(ثم يقذف كل الأشياء الخاصة بالآخرين من فوق الرف . ويسحب وراءه باب الكوخ ... يخرج مسرعًا . عندما يفتح الباب تُسمع زمجرة العواصف والرعد. تقفز سوزى وراءه . ويجلس كل من بوروكر وفرانسيسكا فى استرخاء) .**

سوزى :

(تصرخ) أرنست ... أرنست ... أرجوك .. استمع إلىَّ !

فرانسيسكا :

ربما يحتاج إلى بعض الهواء المنعش الرطب .. لا عليك .. سيحضر إلى هنا مرة أخرى وهى معه .. أم هل لديك رأى آخر ؟

بوروكر :

أعتقد أنه لن يضيع منا .

(تظهر الآن الصحراء المملوءة بالصخور .. الطقس سيئ جدًا ، ومصحوب بالعواصف، ومحمل بالزوابع والأتربة . يضل فريبوزى الطريق ، تظهر سوزى على البُعْد ، وتحاول أن تلحق به) .

فريبوزى :

(بعيدًا عنها) : لن يرانى أحدهم بعد اليوم ... أبدًا ... أبدًا ... ولن أسمع شيئا مما يقول .

سوزى :

ولكن أرنست ... أرجوك !

فريبوزى :

فليقص عليكما ما يشاء ، وما يحلو له ... ولم لا ؟ .. ولكن فى عدم وجودى .

سوزى :

أرنست ... أرجوك .

فريبوزى :

فريبوزى ضاع ... انتهى ... لا ولن يوجد فريبوزى بعد اليوم .

(يأتى كل من بوروكر وفرانسيسكا ويلحقان بسوزى) .

(الثلاثة ينادون) :

فريبوزى - أرنست - ياسيد فريبوزى - فريبوزى - يا زميلى فريبوزى - فريبوزى - أرنست فريبوزى - فريبوزى !

(يخفت النداء) .

فريبوزى :

لى اسم آخر الآن ... فلينادوا هذا الاسم إلى الأبد . فربما يتصادف ويتقابلون مع شخص بهذا الاسم . ولكن ماذا أفعل الآن ؟ كل هذا يحدث بسبب هذا المتطفل ... أبشع من ذلك أنها تعطيه فرشاة أسنانها . **(يحاول البحث عن طريق يسير فيه، لكنه يجد**

فى الاتجاهات كلها فرش أسنان ضخمة تتحرك بين الصخور العملاقة. يظل فى هذه الأثناء ثلاثة من الأطفال يرتدون ثيابًا تشبه أنابيب معجون الأسنان ، يرقصون ويغنون قبالته) :

الأطفال الثلاثة :

ننظف أسناننا كل صـبـاح

وننظفـهـا أيضـا كل مـسـاء

بالفـرشـاة ... بالفـرشـاة

وننظف كل سنة على حـدة

وعـددها اثنتـان وثلاثون سِنّه

ننظفـهـا فى كل صـبـاح

وأيضـا حـينمـا يحل المسـاء

ننظفها .. ننظفها .. ننظفها !

الطفل الأول :

أنظف أسنانى بمعجون " نوفومنت " .

الطفل الثانى :

أنظف أسنانى بمعجون " الكورودنت " .

الطفل الثالث :

وأنظفها " بالأوكسى دونت "

يردد الأطفال جميعا :

النوفومنت ... الكورودنت ... الأوكسى دونت . اثنتان وثلاثون سِنّه.

(يرقص الأطفال وينصرفوا ، وعندما يحاول فريبوزى أن يعبر

الطريق ، تمنعه ثلاثة مجموعات من المحلفين السويسريين ويقطعونها عليه ، ويرقصون قبالته لكى يمنعوا مروره وهم يرتدون ملابس وليم تل . ثم يحملون ثلاثة أطباق ضخمة ، وفوق كل واحد منها يوجد طاقم أسنان ضخم لإنسان ، وخنزير وسمك القرش)

المحلف الأول :

أنا من جبل أوروى .

المحلف الثانى:

وأنا من جبل شفتيس .

المحلف الثالث:

وأنا من الغابات السفلى .

المحلف الأول :

ونحمل أطقم أسنان لكل من الإنسان والخنزير وسمك القرش .

المحلف الثانى:

وكل ما نتمناه هو أن نتحد ونكوّن شعبًا واحدًا ... ونصير جميعًا إخوة .

المحلف الثالث:

يقولون عن سمك القرش إن طاقم أسنانه يوجد فى مقدمة وجهه .

المحلف الثانى:

أما شكل طاقم أسنان الخنزير ، فيتكون من أربعة وأربعين سنه .

المحلف الأول :

يجب ألا نفترق أبدًا مهما يحدث ، ومهما يواجهنا من أخطار أو شدائد .

المحلف الثانى:

يتكون كل من الجـزء العلوى والجزء السفلى من مجموعة مختلفة من الأسنان والأضراس.

المحلف الثالث:

أما طاقم أسنان السمك ، فيكون مختلفًا تمامًا، سواء فى البناء الداخلى للضرس ، أو حتى فى الاتساع ، أو التجويف الذى يضم الأسنان . وكـذلك يختلف فى عظام الفم ، وحتى عظام الحلق والزور ، وأيضا هناك اختلاف فى أعداد الأجيال المختلفة من الأسنان .

فريبوزى :

(**يتساءل**)، والإنسان ؟ ... ماذا عن الإنسان ؟ أين هو ؟

المحلف الأول :

إننا نحب الانطلاق والحرية ، ونتمنى أن نعيش مثل الآباء .

المحلف لثانى :

ونتمنى الموت قبل أن يفكر أحد فى استعبادنا ، أو إخضاعنا لأوامره.

المحلف الأول :

طاقم الأسنان يشكل فى مجموعه " الإنسان " بصفة عامة . أما فى حالة الحيوانات ذات العمود الفقرى ، فيعد طاقم الأسنان هو جهاز المضغ فقط . أما اذا تكلمنا عن الأسنان فإننا نقصد طاقم الأسنان الصناعية ، أو ما نسميها بالأسنان البديلة .

(يسيرون ببطء فى اتجاهات مختلفة ، وتتكمش فرش الأسنان وتتضاءل) .

فريبوزى :

من أين أتيتُ ؟ إنهم يأتون من كل اتجاه من شفتيس ، من أورى ومن الغابات السفلى، ولكن أين أنا ؟

وأين مكانى ؟ وهل مكانى هو فندق " الفصول الأربعة "، الذى يطل على جبل " الريجى " ، أو أن مكانى يوجد فى مدرسة بيستالوزى ؟

(يقفز الأطفال ، ويطوقون فريبوزى ، ويتجاذبونه هنا وهناك . يغنون ويضحكون)

أننا ننظف كل صبـــاح
وننظف كل مــســـاء
اسناننا بالفـــرشـــاة
ونغــسل بعــدها اسناننا
اثنتـــان وثلاثين سِنه
اثنتـــان وثلاثين سِنه
ســــوف ننظف وننظف
كل صبــاح وكل مــســاء
اثنتـــان وثلاثين سِنه

(ثم يدعون فريبوزى وشأنه، والذى ما إن يبدأ فى السير حتى يعترضه القرين ويقطع عليه الطريق . كان القرين من قبل يزحف بين الصخور، ويتتبع خطوات فريبوزى بنظراته) .

(فريبوزى ينظر إلى القرين لفترة طويلة ، والذى يبدو متهالكًا ومتعبًا جدًا ، ثم بعد هنيهة يقول له) :

آه يا فريبوزى ، لقد التقينا ثانية .

القرين :

خذنى معك ياأرنست ، ولا تتركنى هنا وحدى ... إننى أرقد هنا وحيدًا .

فريبوزى :

هل جُرحت ؟

القرين :

ألا تشعر بى ، وبما أعانى ؟!

فريبوزى :

نعم ياأرنست ، إنك تعرف جيدًا أن جروحك وقروحك تؤلمنى بشدة.

القرين :

لأن جرحك هو جرحى . وكل ما أشعر به تجاهك هو الأسى واللوعة.

فريبوزى :

وأنا أيضا أشعر تجاهك بالأسى واللوعة . ولكن هل هذا يكفى ؟ تُرى ماذا نفعل الآن ؟

القرين :

أعتقد أن أهم ما فى الموضوع هو أنك هنا ... لقد التقينا معًا بعد أن افترقنا وسار كل منا فى طريق .

فريبوزى :

بالتأكيد ... ولكن ماذا نفعل الآن ؟

القرين :

أتألم كثيرًا لأننى كنت دائمًا معك عنيفًا . ولكننى أفعل ذلك بدافع الحب تجاهك ، والاهتمام بك ، والخوف عليك .

فريبوزى :

لا أشك فى ذلك يا أرنست . لا أشك فى ذلك أبدًا .. ولكننى أريد أن أعرف منك ، ماذا نفعل الآن ؟!

القرين :

أهم ما يجب أن نفعله هو أن نتكاتف ونتوحد... من الآن فصاعدًا .

فريبوزى :

إنك تعرف جيدًا أن ما تقوله صعب التحقيق ... انه ليس بالشىء الهين .

القرين :

احملنى ياأرنست ... لأننى لن أستطيع السير . لقد أصبحت معوقًا . من اليوم سوف تحملنى أينما تذهب ... لا أقوى على المشى...

فريبوزى :

ماذا يحدث لو امتنعت عن ذلك ؟

القرين :

لن أخبرك بإجابة هذا السؤال ... لكن لا يهم ... ستعرف الإجابة... الإجابة هى ... سنذهب معًا إلى فندق " الفصول الأربعة" ... أليس كذلك ؟

فريبوزى :

لن يحدث ذلك أبدًا ... لن أذهب إلى هناك مرة أخرى فى حياتى.

القرين :

ألا ترغب فى الذهاب إلى فندق " الريجى " ؟

فريبوزى :

سأحضر أمتعتى من هناك ، وأدفع فاتورة الحساب وأذهب بعيدًا ... بعيدًا جدًا ...

القرين :

إلى أين ؟

فريبوزى :

أنت تعرف جيدًا إلى أين .

القرين :

ربما ستتوجه إلى مدرسة بيستالوزى ...

فريبوزى :

أرجوك ياأرنست ... من الواجب عليك مساعدتى بدلا من تعذيبى.

أخبرنى إلى أين ... إلى أين ؟!

فريبوزى :

(يمسك بالقرين ، ويحاول رفعه)

قل لى إذًا إلى أين يا فريبوزى ؟

فريبوزى :

لن أقول لك قبل أن ترفعنى على ظهرك .

(فريبوزى يحمله ، ويقول) :

الآن إلى أين ؟ إلى أين ؟

القرين :

أقول لك الآن يافريبوزى ، إنهم خدعونا ... ضحكوا منا... سخروا بنا .. ضربونا ... عذبونا ... كذبوا علينا ...

ترى من الذى ضربنا ... وسخر منا ... وعذبنا وخدعنا . قل لى من ؟ اعتقدت أنها أوروبا هى التى فعلت ذلك كله بنا . لذلك ينبغى لنا أن نرحل عنها ، وإلى الأبد .

فريبوزى :

نرحل عنها ؟

القرين :

نعم نرحل عنها !

فريبوزى :

أحقًا لن نأخذ أى شىء معنا ؟

القرين :

يكفى أن يأخذ كل منا الآخر ... هذا يكفى .

(ينزلان الجبل ببطء) .

الفصل الخامس

يلقى جزء من سفينة ضخمة تسير فى المحيط بظلاله على خشبة المسرح . يظهر فى وسط هذه السفينة من الداخل كابينة مضيئة . كما يظهر من خلال طاقة الضوء بهذه الكابينة سريران .

(يحاول فريبوزى أن يقذف بالقرين من الطاقة الجانبية للسفينة فى عرض المحيط) .

القرين :

(**يصرخ**) سوف تندم يا فريبوزى .. سوف تندم على فعلتك هذه .

فريبوزى :

إننى مستعد ومهيأ تمامًا للاعتراف بفعلتى والندم عليها . ربما أكون مستعدًا ومهيأ لأن أفعل أكثر من ذلك . لكن أهم شىء فى حياتى هو أن تختفى منها ... فى المكان الذى سوف أذهب إليه لن أحتاج إلى أمثالك .

القرين :

بل أعتقد العكس تمامًا . أعتقد أيضا أنك تخادع نفسك يافريبوزى. إنك سوف تحتاج هناك إلى من يتميز بالإرادة القوية مثلى .

فريبوزى :

ربما كان ذلك منذ مائة عام ، لكن الآن لا ... أعتقد أنك ضحية القراءات التى قرأتها فى حياتك . لأنك لم تقرأ سوى الروايات البوليسية . ولم تقرأ أنواعًا أخرى ، مثل الأدب الكلاسيكى ، أو العلوم الأخرى المتخصصة .

القرين :

لكن يمكننا بسهولة تعويض ما فاتنا . ولذلك لا توجد أية أسباب تبرر فعلتك هذه .

فريبوزى :

ألم تقل إنك معوق ... ألا ترى أن حادثة بسيطة من فوق الجبل أحدثت بك إعاقة دائمة ... وأصبحت بلا قيمة . أتفهم ما أقول؟ إنك عديم القيمة .

القرين :

هل هذا هو الشكر الذى تمنحنى إياه ؟ ... كم يبلغ عمرنا الآن ؟ أكثر من خمس وثلاثين سنة ... نعم ... خمس وثلاثون سنة كنت لك فيها نعم الرفيق والصديق الوفى. كنت أقوم بحمايتك ورعايتك على أكمل وجه ، مثلما تفعل الأم الرؤم تجاه أطفالها .

فريبوزى :

لقد حدث ذلك فى أوروبا ... ولكن نحن الآن هنا ... وهذه المنطقة لا تخضع للقوانين التى تتبع فى أوروبا ... والآن تقدم يا عزيزى ... ليس كل شخص سيجد من الأمواج مقبرة له .

القرين :

لم أعد أفهمك ... يافريبوزى ... إننى فى فزع شديد من سلوكك تجاهى !

فريبوزى :

وأنا أشعر بالملل فى وجودك .. فلتتقدم يا فتى .

القرين :

فكر فى أمنا التى ولدتنا .

فريبوزى :

كانت أمى تقول لى دائما : عليك أن تقتل الخنزير الذى بداخلك يافريبوزى .. وها أنا أنفذ وصيتها الآن . تقدم إذًا يا فتى .

القرين :

وكثيرًا ما كانت تقول لى الكلام نفسه ...

فريبوزى :

لا ... كانت تقول لى أنا فقط .

فريبوزى :

والآن دعك من هذا .. تقدم بسرعة .. لا وقت عندى .

القرين :

سوف أقفز وحدى، ليس عليك أن تجهد نفسك... فسوف تلتهمنى الأسماك .. هذا فى ذاته شىء طيب. أما أنت ، فلا تعرف من الذى سوف يلتهمك ... ترى من يكون لديه شهية وقابلية لالتهام فريبوزى؟ إننى على يقين من أن الجميع سوف يمتنع ويقول : لا نستطيع ؛ لأنه مقزز ويبعث على الاشمئزاز ... أتسمع ؟ ... مقزز !!

فريبوزى :

كفى يافريبوزى ... **(يسدد إليه الضربات العنيفة. القرين يردد)** مقزز ... مقزز ... مقزز .

(يُلقى به من الطاقة الجانبية للسفينة)

فريبوزى :

دائما ما أسمع هذه الكلمة ... مقزز ... ألم يكن من الواجب علىَّ أن أترك هذه الكلمة فى أوروبا ؟

(يجلس بجوار المنضدة، ويبدو عليه التعب والإرهاق ، ويشعر بالدوار. يفُتح باب الكابينة، ويدخل المضيف والسيد شليبه ، الذى يترنح فى مشيته ويبدو أنه شرب حتى الثمالة ... يحاول المضيف أن يساعده على حفظ توازنه . لكنه مع ذلك يترنح بشدة) .

شليبه :

أين نحن الآن يا نادل أعالى البحار ؟!

المضيف :

أعتقد أن اليابس وراءنا والمحيط الأطلنطى أمامنا .

شليبه :

يجب عليك أن توضح لهذا المعلم معنى كلمة الأطلنطى .

فريبوزى :

هل تحسبنى جاهلاً ... أو ماذا ... إن صيد الحيتان ...

شليبه :

إن الحيتان تنقرض .. تمامًا مثل الأرانب .

المضيف :

إن هذا المعلم على حق ... إن صيد الحيتان فى المنطقة الشمالية من المحيط الأطلنطى تحديدًا كان إلى عهد قريب يصل إلى الجزء الجنوبى من الأطلنطى . أى إن صيد الحيتان كان شيئًا مباحًا فى أغلب مناطق المحيط الأطلنطى . وتحديدًا فى منطقة جنوب

جورجيا . وأصبحت الحيتان مهددة بالأخطار، وأيضا بالانقراض، لولا قانون منع صيد الحيتان وحمايتها ، الذى يطبق أخيرًا . ولكن لم يمنع هذا من تناقص عدد الحيتان .

شليبه :

أقول دائما إن أفضل شىء هو عمل رابطة لحماية الحيوان ومنع انقراضه . سوف يؤدى هذا إلى أن نعانى أيضًا نقصًا فى زيت كبد الحوت .

المضيف :

ومع ذلك فإن المحيط الأطلنطى مازال - كما كان من قبل - فى مقدمة المحيطات كلها - ، فيُستخرج منه كل عام ما يزيد على ألف وثلاثمائة كيلو جرام من الرنجة ، وكذلك ألف وخمسمائة كيلو جرام من سمك البكلاه . أقول ذلك فقط على سبيل المثال ، لا الحصر .

فريبوزى :

إنهم يمارسون تجارتهم للتوسع فى الثراء بشتى الطرق .

المضيف :

ولن يتوقفوا أبدًا أو يتراجعوا عن ذلك . ولكن يجب ألا ننسى أن الأسماك أصبحت غذاءًا أساسيًا تعتمد عليه شعوب العالم جميعًا منذ عشرات السنين .

فريبوزى :

هذا نوع من أنواع الجشع الإنسانى ، الذى يصيب البشر ويجعلهم يرغبون فى امتلاك كل شىء .. ومع هذا فكلما زادت ممتلكات هؤلاء ، ازدادوا فقرًا فى حقيقة الأمر .

شليبه :

(**يقول للمضيف**) : إن هذا المعلم زاهد فى أوروبا ، ويشعر بالأسى والإرهاق من كونه أوروبيًا .

فريبوزى :

ربما الأفضل أن تقول إن وجودى فى أوروبا قد أصابنى بالمرض المزمن الذى لا أجد شفاءً له .. آه .. كان لزامًا علىَّ أن أتنازل عن أشياء كثيرة هناك .

شليبه :

ولكن لماذا تقرر الرجوع إليها مرة أخرى ؟

فريبوزى :

كيف أستطيع أن أعبر لك عن مكنون صدرى فى ثلاث كلمات ؟

شليبه :

إذا كنت لا تستطيع التعبير فى ثلاث كلمات ، فلتجعلها خمس كلمات ، أو ربما مائة كلمة ... لدينا متسع من الوقت ... فلتُسمعنا قصتك.. أليس كذلك يا أيها المضيف ؟!

المضيف :

ستبدأ الرحلة الآن . وأعتقد أن قلب المحيط الأطلنطى يتسع لكى يعبر كل إنسان عما يحزنه ويؤرقه .. فكل من يركب هذه السفينة يستطيع أن يغنى الأغنية الخاصة به وحده ... أى يستطيع أن يعبر عن نفسه فى حرية تامة . (**يغادر الكابينة**) .

شليبه :

هل أنت مهاجر ؟

فريبوزى :

يمكن أن تعدَّنِى كذلك !

شليبه :

لا تخف علىَّ شيئًا ... يمكنك أن تقص علىَّ كل ما يجول بخاطرك. فأنا أيضًا أحاول أن أتخفف من العلاقة التى تربطنى ببلدى ، ولكن لابد لى من الرجوع مرة أخرى .

فريبوزى :

هل هذا معقول ؟ أنت أيضا تترك هذا البلد الطيب ، وتتخلى عن تلك اللغة الرائعة ؟! (**يقفز**) هذه اللغة التى تحتوى على كثير من المعانى ، مثل الشجاعة ، والإقبال على الموت ، والغيرة، وكلمات، أخرى مثل القدر ، والمعاناة !!

شليبه :

إن أمثال هذه الكلمات تعرفونها أيضا فى بلادكم ، مثل القدر، والشدة ، والضيق ، والعسر .

فريبوزى :

إن أرض الوطن هى أرض الوطن . لاجدال فى ذلك .

شليبه :

ربما تستطيع العودة قريبًا إلى أرض وطنك .

فريبوزى :

لا أعتقد ذلك أبدًا ، على الأقلِ لن يحدث ذلك فى وقت قريب .

شليبه :

أعتقد أن كلامك هذا يشير إلى خلل فى طريقة تفكيرك .

فريبوزى :

إنهم الآخرون الذين أحدثوا هذا الخلل فىَّ ، ولست أنا المسئول عن ذلك .

شليبه :

أعلم ذلك جيدًا . دائما يدير الآخرون الدفة وليس نحن .. يديرون.. ويديرون .. ويتوقف المرء هنا ، ولا يقدر على الحراك ... وفى النهاية نقبع هنا على ظهر هذه السفينة معًا . وأتمنى أن يحالفنا الحظ ، وتكون رحلتنا عبر المحيط موفقة، ولا يوجد ما يعوق سيرها .

فريبوزى :

هل سافرت كثيراً إلى الولايات المتحدة ؟

شليبه :

سوف تجد زبائنى فى كل مكان .

فريبوزى :

إذًا ، ما السلعة التى تتاجر فيها ؟ هل تسمح لى بهذا السؤال ؟

شليبه :

براءات الاختراع .

فريبوزى :

رائع ... يجب علىَّ إذًا أن أطلق عليك لفظ مخترع أو مكتشف .

شليبه :

ليس بالضرورة ، ولكننى أجيد التعامل مع هؤلاء . ليس من السهل التعامل معه . وهناك بالفعل عديد منهم أجد صعوبة بالغة فى

التعامل معه . ففى هذا الوقت ، بالتحديد ، أمر بظروف خاصة مع ذلك الهولندى ... السيدَ " Borrien " بورين ، الذى قام بابتكار نوع جديد من الخيوط . ولا يرغب فى أن يدلنى على كيفية التصنيع - ومن الواجب عليه أن يفشى بالسر . وهذا ما يحزننى فى هذه الفترة . سأكون سعيدًا لو أصبح كل شئ بينى وبينه على ما يرام ... ولكن لابد من مواجهة مثل هذه العقبات . وبالمناسبة ، يقال عن هذا النوع إنه أمتن الخيوط التى صُنعت فى هذا المجال .

فريبوزى :

هل تقصد نوعًا جديدًا من الخيوط . فالموضوع يتعلق إذًا بالأقمشة والأنسجة التى تصنع من الألياف الصناعية ، أليس كذلك؟ مثل النايلون والبرلون ...

شليبه :

هذا يعنى أنك فهمت قصدى وما أرمى إليه ... الموضوع حقًا يتعلق بالألياف الصناعية ... وهذا الهولندى يرغب فى توريد الكمية المطلوبة منه للشخص الذى طلب منه ذلك ... إذا كان لديه وقت .

فريبوزى :

ما معنى هذا الكلام الذى تقوله ؟ هل هذا معناه أنه رفض عرضك؟

شليبه :

إنه يرفض حتى الكلام فى هذا الموضوع معى . لقد قالها لى واضحة وصريحة . قال لى بالحرف الواحد " فوق جثتى " !

فريبوزى :

وما معنى مثل هذا العبارات . إنها لا تدل على شىء بعينه .

شليبه :

سوف نرى ، إن السيد " بورين " به بعض نقاط الضعف، مثل قصر النظر، أو مثلاً أنه إذا توتر فإنه لا يستطيع التحكم فى أصابع اليد ، ويتصرف مثل النساء فى هذه المواقف .

فريبوزى :

ومع هذه العيوب فإنه يبدو رجلاً محنكًا . حتى لو اتهمته بقصر النظر، أو أنه فى بعض الأحيان لا يحتفظ برجولته .. ولكن الأهم من ذلك أنه فى اللحظات الحاسمة – ومع قصر نظره وضعفه –يبدو بعيد النظر وعميق النظرة أيضا. فقصر النظر الذى تتهمه به يدفعه فى أحيان كثيرة إلى أن يستغنى عنه بعقد الصفقات .

شليبه :

أنت لا تعرف السيدة " بياتا " إذًا .

فريبوزى :

أتقصد تلك المرأة التى كثيرًا ما تكون بصحبتك ؟!

شليبه :

إنها رفيقتى !

فريبوزى :

بالتأكيد إنها تتمتع باللباقة وطلاقة اللسان .

شليبه :

لذلك فهى والسيد بورين يتمتعان بقدر كبير من التفاهم والانسجام. ومع ذلك فعندما تبدأ فى التنويه بهذا الموضوع معه، سرعان ما يغالبه الضحك ، ويقول لها على الفور " فوق جثتى"!

فريبوزى :

إنه لا يرغب إذًا فى البوح بسر صناعته وبخبرته فى هذا المجال، وربما تُجبر فى يوم ما على أن تتعامل معه بطريقة مختلفة " ، لكى تستطيع أن تحظى بثقته . وربما يستطيع هو من جانبه أن يقدم بعض التنازلات . وربما تستطيع أن تقدم إليه عرضًا يعجبه ويتفق مع شروطه . وبهذا تتم الصفقة التى ترغب فيها بشروط تعجبه، وتجعله لين الجانب فى عقد الصفقة معك ، ياسيد شليبه . أقولها لك : لابد أن تثق به حتى تحظى بثقته . فلتتعامل معه أولا من مبدأ " الثقة مقابل الثقة " ، أليس كذلك ؟! لقد لاحظت أنه ربما تكون الصفقات التى تعقدها نوعًا من أنواع اللصوصية الصغيرة ، أو ربما المتوسطة الحجم . إننى أستطيع أن اكتشف مثل هذه الأشياء، مع أنها ليست من صفاتى ، ولا علاقة لى أبدًا بمثل هذه الأمور . واعتقد أيضا أنه ليس فى مقدورى أن أوجه إليك الاتهامات فى هذه الكابينة التى تسير فى عرض المحيط ، وتبعد أميالاً كثيرة عن اليابس. لكننى أعتقد أنك تفكر بطريقة خاطئة عندما تتكلم عن "قصر النظر" ، أو عن " قصص النساء " ، وتعتقد أن هذه هى أهم السمات التى يتميز بها رجل الأعمال الهولندى . كان من الواجب عليك أن تكون بعيد النظر أكثر من ذلك ، وأن تكون عميق التفكير . سأذكر لك شيئًا عنى ، على سبيل المثال ، فى هذا الصدد : لقد حاول الآخرون دائما وضعى فى قالب معين لا يمت لى بأية صلة،

ولم يحاولوا التفكير إلا بسطحية شديدة . يا إلهى، هل هناك أحد من البشر يخلو من العيوب ؟ إن بوروكر ...

شليبه :

هل تقصد ذلك المعلم ؟

فريبوزى :

لقد كلمتك عنه ، وأريتك إحدى صوره .

شليبه :

ولكنه يبدو مشوشًا .

فريبوزى :

ولكنه مثقف ومتعلم إلى حد بعيد، وأهم من ذلك أنه معلم وتربوى، ولم يتشبث قط بالأخطاء البسيطة التى بدرت منى . وكان دائمًا يلقانى فى الأوقات التى لا ينفع فيها استخدام العقل ، أو الحكمة، أو حتى العلم ، أو السلوك التربوى الحميد . إنه كان يثير تقززى واشمئزازى إلى حد بعيد .

شليبه :

تقصد هذا الصديق والزميل ؟!

فريبوزى :

نعم ! وسأحاول أن أفسر لك طبيعة العلاقة التى كانت تربطنا ببعضنا البعض . كان من ناحية، يتودد إلىَّ ويرغب فى مصادقتى. ومن ناحية أخرى ، يرتكب عديدًا من الحماقات التى لا يمكن أن تغتفر .

شليبه :

مفهوم .. مفهوم . وبسبب هذه التصرفات ترغب فى الهجرة من هنا ؟

فريبوزى :

هل تقدّر الآن مدى التضحية التى قدمتها ؟ لقد ضحيت بالحب وبالوطن وبالصداقة وحتى بالوظيفة ... كل شىء تنازلت عنه بسببه .

شليبه :

لكنه لم يكن يقصد ذلك قط ... لم يكن يرغب فى أن تترك كل شىء وراء ظهرك ، وتبحر على متن هذه السفينة دون كلمة وداع .

فريبوزى :

كان لابد عليه ، وعلى الآخرين أيضًا ، أن يحولوا دون أن أترك لهم كل شىء وأرحل عن هنا .

شليبه :

أتقصد الفتاتين ؟!

فريبوزى :

هذه النزعة إلى الرحيل كانت فى الحقيقة أقوى من أن يمنعونى من ذلك . لم يستطيعوا إقناعى بالتنازل عن هذا الشعور .

شليبه :

طوال الوقت أحاول - كما تنصحنى - أن أمعن فى النظر وأنت تسرد علىَّ قصتك - ولكننى لا أستطيع .

فريبوزى :

ربما تستطيع الآن أن تفعل ذلك . ولكن على أية حال ...

شلبيه :

عبارة " على أية حال " لا توجد عندنا . (**يُسمع طرق على الباب، وتدخل السيدة بيآتا**) - ماذا عندك يابيآتا ... قولى له إن الحظ حليفنا ... خططنا كلها تنجح دائما .

بيآتا :

ولكن قل لى قبلها، أين تختفى طوال الوقت ؟ أسأل عنك فى كل مكان ... وأنت على يقين من أننى لا أحب هذه الطريقة فى التعامل.

شلبيه :

أعرفك أولاً إلى السيد فريبوزى ، الذى حدثتك عنه سابقًا .

بيآتا :

آه تذكرت ، ذلك المعلم المدرسى .

فريبوزى :

أرجوكم ، خذونى معكم ... أود فى الهجرة من هنا !

بيآتا :

أستطيع أن أتخيل مدى اشتياقك إلى الهجرة، وإلا لما كان هناك سبب لوجودك بيننا الآن على متن هذه السفينة .

شلبيه :

والآن أخبرينى ، ماذا فعلت ؟

بيآتا :

ما كنت أتصور أن يكون بهذه الوقاحة ... يطلب منى أن أعمل لديه كموظفة لمدة عامين . ويقول إن هذا هو الحل الأمثل لكى أتقن هذه

الصنعة ، ويقول أيضا إنه يمكنك أنت أيضا أن تعمل لديه فى هذا الوقت ، فى وظيفة حارس ليلى ، أو سائق مثلاً .

شليبه :

هل هذا معناه أنك استسلمت بسهولة ومن دون أدنى مقاومة ؟

بياتا :

ومع ذلك فعليك أن تتأكد من أن كل شىء سيكون على ما يرام .

شليبه :

هل حقًا أنت متأكدة ؟ هذا يثير ضحكى بشكل منقطع النظير .

فريبوزى :

أتسمح لى بهذا السؤال ... هل ما تقولانه معناه أن السيد المعنى غير قادر ...

شليبه :

تخمينك فى محله ... إنه حقًا غير قادر على ...

فريبوزى :

إذًا فالمسألة تتعلق بالقابلية ... التى كنت أتكلم عنها فيما سبق .

شليبه :

أتقصد الشعور بالتقزز والاشمئزاز ، وأيضا الرغبة فى التقيؤ من شىء ما ؟

فريبوزى :

تمامًا ... هذا الشعور يختلف من شخص إلى آخر . فهناك مثلا بعض الناس الذين لا يحتملون رائحة السمك ويشمئزون منها .

بياتا :

هل من الواجب علىَّ أن أقوم بدور الطبيبة، وآخذ على عاتقى مسئولية معالجته ؟

فريبوزى :

بل يتوقف على جدية المحاولة ... لابد أن يكون لديك متسع من الوقت ، وأيضا الأحاسيس الصادقة ، كى تنجح مساعيك . يا إلهى ... عندما أفكر فى صديقى بوروكر ، كم تكلف من العناء والإعياء ، فهو لم يدخر وسعًا فى إجراء جميع المحاولات المضنية .

بياتا :

وماذا كانت النتيجة ؟

شليبه :

أنت ترينها بنفسك . إنه يصر على الهجرة ، وباءت محاولات صديقه كلها بالفشل .

فريبوزى :

ربما يحالفك الحظ ، ويكون رجل الأعمال الهولندى أقل تعقيدًا منِّى . وربما يكون لين الجانب، وتُعقد الصفقة فى سهولة ويسر، أو ربما تتصرفان حياله بمهارة وحذق ، أو لابد لكما من التذرع بالصبر . ولتكن محاولاتكما فى هذا الصدد أكثر جدية من الزميل بوروكر ، وأتمنى لكما النجاح والتوفيق .

(يتمشى فى الكابينة ذهابًا وإيابا) .

شليبه :

ما قولك الآن ؟

بياتا :

هذا لا يعجبنى ، سأشعر بالسعادة عندما ينتهى كل شىء . ولكننى لا أعتقد أننا سنتقدم كثيراًفى هذا الشأن . إنه يبلغ الخامسة والخمسين من العمر .

شلبيه :

هكذا ؟

بياتا :

هذا ما أستطيع قوله .

شلبيه :

ولكننى أعتقد أننا نسير بخطى سريعة ونحظى بالنجاح .

بياتا :

ربما على المستوى النظرى فقط يبدو كل شىء على ما يرام ، ولكن التجربة العملية تثبت عكس ذلك تمامًا ...

شلبيه :

أوافقك الرأى تمامًا ... لا ينبغى القيام بمثل هذه التجارب والمغامرات . ولنتوقف عند هذا الحد .

بياتا :

(تغادر الكابينة) .

فريبوزى :

أعتقد أنكما لم تدرسا الموقف بشكل جدى أو موضوعى .

شلبيه :

هكذا ؟ هل هذا رأيك ؟

فريبوزى :

أعتقد أنه فى مثل هذه الأحوال ، ليس هناك شىء مؤكد يضمن النجاح ، فكل يوم له ظروفه ، ولابد من المغامرة مع كل يوم جديد . فالتجربة التى لا يكتب لها النجاح اليوم ، يمكن أن تفشل أيضا فى الغد، أو بعد غد . ولكن ربما يكون النجاح حليفها فى يوم ما . وفى الختام ، أعتقد أن ما يمكن أن أقوله هو أن حواركما هذا يثير فىَّ الاشمئزاز والتقزز .

وفى حقيقة الأمر ، إن كلامكما فى هذا الموضوع لا يثير اشمئزازى، ولكن طريقة العرض نفسها ، وكذلك كيفية تناول الموضوع والمناهج المستخدمة فى تحقيق أغراضكما .

شليبه :

استمر فى عرض رأيك فى صراحة ووضوح .

فريبوزى :

لابد أن أؤكد لك أن بوروكر لم يحاول قط ابتزاز، أو تهديدى، ولم يستخدم أى نوع من أنواع العنف حيالى . كان يعتمد دائما على قدر الصداقة التى تربط بيننا . كما أنه كان وفيًا لمبادئه ، ولم يبخل بأىٍ جهد، حتى عندما لم يحظ بالنجاح ، وحتى عندما باءت مساعيه كلها بالفشل . ترى ما الذى كان ينقصه ؟ ربما لم يحالفه الحظ بسبب عدم اتباع منهج منظم فى سير الأحداث أو تطورها ، ومع ذلك فكانت تبدو خطواته فى بعض الأحيان وكأنها غير مدروسة ، أو غير مخطط لها من قبل . لذلك كانت تبدو عشوائية . ولكن اليوم بعد أن بعدت عنى تلك الفترة ، أستطيع أن أقول له :

يابوروكر العزيز ، كان ينبغى لك أن تسجل الأحداث ، ويمكننى أن أقول لك أيضا : خذ إحدى الكراسات وسجل فيها ... نعم خذ كراسة عادية جدًا ... مثل هذه الكراسة (**يخرج كراسة مدرسية من دولابه**) . عليك أيضا يا بوروكر أن تأخذ قلمًا .. ولا تنس قبل أن تسجل حتى أبسط الأحداث وأقلها شأنًا أن يكون قلمك مسنونًا . هل تستطيع أنت أيضا أن تفعل ذلك ياسيد شليبه ؟!

شليبه :

أنا لا أقوم بسن الأقلام فحسب .

فريبوزى :

عظيم ... عليك إذًا أن تبدأ أنت أيضا فى تسجيل عديد من الأشياء ..

أولها : المحاسن والميزات .

وثانيها : عيوب كل شخصية من شخصيات زبائنك .

وثالثها : العادات السيئة التى تراها فيهم ... وتحت كل فقرة من هذه الفقرات عليك أن تسجل بالتفصيل الميزات والعيوب وهكذا . وربما أفضل من ذلك أن تخصص لكل زبون من زبائنك صفحة كاملة ، لكى تكتب فيها البيانات كلها الخاصة به ، مثلاً : من أهم الأقرباء وأقربهم. إن كان نصف يتيم (أى إنه فقد أحد الأبوين : المترجمة) أو يتيمًا كاملاً (أى إنه فقد الأبوين كليهما : المترجمة). عليك أن تسجل أسماء الأقرباء الذين يمكن الاتصال بهم. ولا تستهين بمثل هذه المعلومات المهمة ، لأنه دائما ما يحدث أن ...

شليبه :

(ينهض من مكانه، ويمسك الكراسة، ويقول) :

عبارتك الأخيرة التى لم تكملها لا تحدث معى أبدًا ... كل شىء عندى ينفذ طبقًا لخطة محكمة ، ويصير كل شىء على ما يرام . أتفهم ؟!

فريبوزى :

بالتأكيد ... ولماذا لم يتم أى شىء ، ولم يصبح كل شىء على ما يرام ؟

شليبه :

ما هذا الذى تهذى به ؟ هل ينبغى لنا أن نرسم خطة ، ونسير على نهجها ؟! ماذا إن لم يتفق الإطار الخارجى مع مضمون هذه الخطة؟ ماذا إذًا ؟ ...

فريبوزى :

هذا معناه أنك لم تكن دقيقًا فى رسم خطتك ...

شليبه :

سنحتاج إلى ما يقرب من عشرين سنة ... **(ينزع ورقة من الكراسة التى يمسكها فى يده ويكورها)** عشرين سنة داخل الزنزانة **(ثم يدس الورقة فى فمه، ويبدأ فى مضغها ببطء ، ثم يلفظها خارج طاقة السفينة المفتوحة ، ثم يقول) :**

ربما تجد خطتك هذه استحسانًا لدى الأسماك ... أو ربما !

فريبوزى :

(يضحك فى خجل ، ويقول) :

من الجائز جدًا .... ماذا تعرف عن سكان البحر ؟!

شليبه :

(يشرب فى عصبية ، وكذلك فريبوزى يأخذ جرعة من الماء)

فريبوزى :

ما كان عليك أن تمضغ الورقة طويلاً ... بسبب ذلك تشعر الآن بالعطش .

شليبه :

تبدو المسألة بالنسبة لى ، وكأنه ينبغى لنا أن ننتظر يومين أو ربما ثلاثة أيام .

فريبوزى :

ولكن موضوعنا لن يُحسم اليوم . مازال المحيط الواسع أمامنا .

شليبه :

هذا ما أعتقده أنا بالضبط .

فريبوزى :

ألم تخبرنى بأن المسألة تتعلق باختراع الألياف الصناعية ؟

شليبه :

(فى شك وريبة) :

إنك تعرف أكثر من المفروض بكثير ياسيد فريبوزى .

فريبوزى :

ليس الأمر كما تظن .. ولكننى أعرف فقط بعض النقاط الأساسية فى الموضوع . ربما كنت أود معرفة بعض المعلومات عن طريقة الاستعمال ، وأيضا بعض المعلومات البسيطة الأخرى .

شليبه :

إذا كنت تستفسر دائما عن كل ما يعن لك ، فأعتقد أنك فى خلال يوم واحد سوف تلم بأطراف الموضوع بأسره ، وبأدق التفاصيل، وسوف تحتفظ بها فى رأسك ، رأس المعلم المدرسى .

فريبوزى :

إن المعرفة لا تضر أبدًا ، وبالتحديد إذا كان ذلك فى مجال الأنسجة المصنعة من ألياف صناعية . ففى هذا المجال ليست لدى أية خبرة .

شليبه :

دعك من هذا . أنصحك بأن تستمر فى حفظ جدول الضرب .

فريبوزى :

ما هذه الألغاز التى تحدثنى عنها ؟

شليبه :

أليس كل نسيج يشبه النسيج الآخر ؟ وكل نسيج يحمل المميزات نفسها كالمتانة ، وعدم ارتفاع سعر التكلفة عند الإنتاج ؟أما إذا كنت تقصد الألياف الصناعية التى تصنع منها فرش الأسنان ، فهذه الألياف نطلق عليها اسمًا مشابهًا لاسمك ، أى " فريلون " .

فريبوزى :

(فى ذعر وارتباك)

أعتقد أن الأمر قد اختلط عليك . ربما يكون رجل الأعمال الهولندى من الجزر " الفريزية " - أعتقد أن البداية واحدة، ومشتركة بيننا ؛ وهى " الفرى " - الفريزية - أيضا الفريلون ، هذا هو كل ما فى الأمر .

شليبه :

(ينهض ببطء ثم يقول) :

لا ... لا ... لا ... من يرتعد الآن بشدة أمامى هكذا ؟

إن هذا الاسم (**يقصد : فريبوزى : المترجمة**) . ليس هو اسم رجل الأعمال الهولندى ... لقد أطلقه أحد المخترعين ... ولابد أن يكون شيئًا مضحكًا جدًا ... ذلك المخترع ... ولكنه يبدو نشيطًا جدًا ولابد أن يكون قد عُنى بهذا الأمر لفترة طويلة من الزمن. (**يمسك فريبوزى من ياقة القميص**) والآن ... تكلم ... هل أنت منضم إلى الجماعة التى تطلق على نفسها اسم : " فريق الفريلون " ؟

فريبوزى :

لا أدرى .. ولا أعلم أى شىء ... ولكننى أعتقد أن كل شىء سيصبح على ما يرام . سوف أتكلم مع السيد فى هذا الأمر ... أقصد مع رجل الأعمال الهولندى . وإذا كان الأمر كذلك ، أى إذا كانت توجد علاقة وثيقة بين اسمى وبين الاسم الذى يُطلق على نسيج فرش الأسنان ، فسوف ... إذن ... فسوف ...

شليبه :

(يهزه بعنف وشدة)

سوف ماذا ؟ أجب ! ... إذًا ... سوف ماذا ؟!

فريبوزى :

سوف أصر على أن يحققوا ما تصبو إليه . وبهذا سوف يصبح كل شىء على ما يرام ... بالتأكيد .

شليبه :

أنا أيضـا على يقين من ذلك .. وإلى ذلك الحين سوف تُعنى بيـآتا بأمرك ... أتفهم ما أقول ؟ **(يضغطه فى الحائط بقسوة وعنف)** .

فريبوزى :

(فى خوف شديد) : أعتقد أن ذلك غير ضرورى بالمرة . بالإضافة إلى ذلك ، فلابد أن تعرف أن لى خطيبة ، وربما عندما تتحسن الأمور ، ويصبح كل شىء على ما يرام ؛ سوف أرسل فى طلبها ... نعم فى طلب خطيبتى سوزى .. يجب أن أبدأ حياة جديدة .. ونتمنى أيضا أن تكون البداية سعيدة .

(ينفتح الباب ، وتدخل بيـآتا، ثم تجلس وتشرع فى الشرب من كأس فريبوزى) .

شليبه :

هل انتهى كل شىء ؟

بيآتا :

نعم ... ولكن فى الاتجاه العكسى !

شليبه :

تكلمى ! ما الخبر ؟ ... ماذا حدث ؟ **(يترك فريبوزى)** .

بيآتا :

يمكننا الآن جمع حقائبنا ... كل شىء على ما يرام الآن .. إنه يغط فى نوم عميق ... كان يرغب فى مقاومة الحقنة ... الآن ... فالأوراق... وكل شىء معد فوق المنضدة .

(تظهر رأس بورروكر ، وكذلك الجزء العلوى من جسمه، من خلال طاقة السفينة، ويزحف من خلالها داخلاً إلى الكابينة) .

بياتا :

إننى أشعر بحركة فى الخلف .

بورروكر :

عمتم مساءً يا سادة .

فريبوزى :

وها أنت تأتى من خلال طاقة السفينة ... إنك تفعل ذلك دائما .. فهذا ليس بالشىء الغريب عنك .

بورروكر :

سأجعلك تتكلم فى وقت لاحق ، أيها الصديق العزيز ... أما بالنسبة إليك أيتها الآنسة الغالية ... وأنت يا سيدى الفاضل ، الذى يقف بجوار الآنسة .. أتمنى لكما مساءً طيبًا . آمل فى ألا أكون قد أثقلت عليكما ، وسببت لكما الرعب والفزع . لقد كنتما على درجة كبيرة من التعمق .. فيما أنتما بصدده الآن .
لقد حاولت أن ألفت انتباهكما ، ولكنكما لم تلاحظا ذلك قط. فما كان منّى إلا أن رفعت صوتى بعض الشىء .

شليبه :

وماذا تريد منا ؟

بورروكر :

أعتقد أنكما تريدان منى شيئًا بعينه . أليس كذلك !؟

شليبه :

لم تربطنى بك أية علاقة ، لا فيما سبق ولا الآن . وخذ حذرك حتى لا تسقط من فوق متن هذه السفينة .

بوروكر :

أشكرك على هذا الاهتمام الخاص بى . ولكن فى حقيقة الأمر يصعب أن أشارككما الحديث من مكانى هذا . وأعتقد أنه لو أننى تكلمت معكما من مكانى هذا ، فإن ذلك سوف يشكّل خطورة بالغة... ولكن ماذا يبقى لى إذا كنت تمنعنى من الاقتراب ؟

شليبه :

لم يسألك أحد عن رأيك .

بوروكر :

إنه خطؤك يا عزيزى الشاب . إن الطموح والشجاعة لهما وزن كبير عندى .. ولكن لابد من الحذر والتعقل يا عزيزى .. وأعتقد أن أول شىء أنصحك به هنا فى هذا الموقف بالتحديد ، هو تحكيم العقل فى كل ما تفعل ... هذا ما أقوله دائما لتلاميذى ...أقول لهم : لا ... لا للمغامرة والجرأة ... ولا ... أيضا للتردد والخوف .

فريبوزى :

لقد أخبرته منذ قليل بأن يتبع النصيحة نفسها .

بوروكر :

والآن ... لقد تأخر الوقت عن فعل أى شىء . لأن صديقنا رجل الأعمال الهولندى سوف يستيقظ من نومه الذى أجُبر عليه ... فإذا لم تذهبا إليه على الفور وتطلبا منه العفو والصفح ... فسوف يضغط الزر ... وينادى المضيف !

بياتا :

إنه على حق يا شليبه ... أعتقد إنه يعرف كل شىء عن " الفريلون".

بوروكر :

أحب أن ألفت نظركما إلى أنه أنا الذى اخترعت هذا النوع من الألياف الصناعية .. والآن اذهبا إلى السيد" بورين " وأبلغاه تحيتى ، وقولا له : تحية خاصة من السيد بوروكر ، المعلم الثانوى . سأقوم بنفسى بتصحيح الأوضاع الخاطئة ... وفى النهاية سيصبح كل شىء على ما يرام ... لا تخشيا شيئًا ...

شليبه :

أشكرك الشكر الجزيل .

بياتا :

حقا إنك غاية فى الإنسانية .

بوروكر :

عظيم جدًا ... والآن لا ترتكبا أية حماقة .

شليبه :

والآن لا تقلق إذًا أيها المعلم ... (**يذهبان**) .

بوروكر :

هؤلاء الشطار ... إنهم متسرعون فى انفعالاتهم .

الواضح أنهما يتمتعان بالموهبة والذكاء ... لكن ألا ترى يا عزيزى فريبوزى ذلك ؟ ولكن ينقصنا شىء .. أعتقد أنك تفهم قصدى .

فريبوزى :

هل حقًا ترغب فى أن تسلمهما إلى شرطة الموانئ ؟

بوروكر :

ولكن كيف ؟ إنك تعلم جيدًا أن معاقبة هؤلاء من أية سلطة كانت، قانونية أو من الشرطة نفسها ، تؤدى إلى إفسادهم ، ويؤدى بهم ذلك إلى حالة من التمزق والضياع .

فريبوزى :

حقا إنك متسامح إلى درجة كبيرة .

بوروكر :

لقد كنت فى سن هؤلاء، وأعرف ما يعتمل فى صدور من هم فى مرحلة الشباب ... ولكن لنعد إلى ما كنا بصدده ... ألا ترى ؟ ها نحن نلتقى مرة أخرى - يا صديقى العزيز - فى منتصفِ واحدٍ من بحار العالم السبعة .

فريبوزى :

إنك تفاجئنى دائمًا .

بوروكر :

وأنت تفاجئنى أيضا بتصرفاتك . تختفى فجأة ، ومن دون سابق إنذار ، ولا تخبرنى بأى شىء .

فريبوزى :

لم يبق لى شىء الآن سوى فكرة الهجرة من هنا .

بوروكر :

ولكن هذه الفكرة لم نتطرق إليها قط . هل فكرت لحظة واحدة ماذا سيكون حالنا من دونك ؟ أقصد إذا طار العصفور مثلا ؟ هل من الواجب علينا أن نتقدم بطلب إلى الشرطة للبحث عنه ؟ ونكتشف أنه فى آخر لحظة أمكننا العثور على أثر منه ، لذلك كان

لزامًا علينا أن نكمل الأوراق بطريقة سريعة جدًا . وأحمد الله أن المسئولين قد أبدوا تفهمًا كبيرًا ، وقاموا بمساعدتنا قدر استطاعتهم. وبفضل ذلك تجدنى الآن أجلس أمامك ، وكما يقول المثل :

" الكل الآن فى مركب واحد " .

ونأمل فى أن يستمر الوضع هكذا .

فريبوزى :

وماذا عن خطيبتى السابقة ؟

بوروكر :

لقد تزوجنا ... جاء القرار سريعًا واستجبنا له . لذلك أرجو ألا تكرر مرة أخرى لفظ " خطيبتى السابقة " . ولكن أفضل أن تناديها باسمها " فرانسيسكا " . هذه الصديقة العزيزة بالنسبة إليك . إنها كانت ومازالت تكن لك أجمل معانى الود والامتنان (**تظهر فرانسيسكا فى حالة من الفظاظة والجمود من خلال طاقة السفينة اليسرى . يخاطبها بوروكر بقوله**) : قولى له ذلك بنفسك يا أغلى الناس يا أعز ما عندى . أعتقد أنك سوف تجدين العبارات المناسبة لهذا الموقف .

فريبوزى :

إن هذا التصرف أكثر من أن نسميه " حماقة " ، أيها المعلم الفاضل.

فرانسيسكا :

هل كنت تعتقد أننى أستطيع القيام بمثل تلك الحركات بمفردى؟

(تقصد أن تدخل من طاقة السفينة ، كما يفعل بورروكر، وليس من الأبواب : المترجمة) .

فريبوزى :

أعتقد أنك رياضية ورشيقة .

فرانسيسكا :

ولكن بورروكر وضع اللمسات الأخيرة . إنه مدرب عظيم .

فريبوزى :

ألم يكن من الأفضل لو انتظرتما بعض الشىء ؟

فرانسيسكا :

ننتظر ماذا ؟ أن تخبرنا بموعد عودتك ؟

فريبوزى :

كنت أعتقد أنكما تقدران على مواجهة الحياة من دونى .

فرانسيسكا :

يمكن أن يحدث ذلك، ولكن بصعوبة بالغة . إنك تتأكد بنفسك أننا لا نستطيع الاستغناء عنك أبدًا .

فريبوزى :

تمامًا مثل النباتات المتسلقة والمتشعبة .

فرانسيسكا :

ولكن لماذا تهرب منا ؟

فريبوزى :

ولماذا تتبعان خطاى أينما ذهبت ؟ أتمنى أن أحظى بالراحة والهدوء. اتركانى وشأنى ، وكفى ما تنازلت عنه ، وما ضاع منى

بسببكما . لقد قبلت قهر النفس ، وقبلت التعذيب ، وألقيت بنفسى على متن هذه السفينة، وغرقت ، ورحت أصارع الأمواج .. والهدف من وراء ذلك كله هو أن أبدأ حياة جديدة .

أحاول أن أبدأ من جديد ... نعم ... إن خططى المستقبلية تختلف تمامًا عن خطط الماضى . والآن لا يوجد بينى وبينكما أية عوامل مشتركة .. وأعترف لك يا سيادة المعلم أن هناك ما يجمع بينى وبينك حتى خارج إطار العمل الذى يجمعنا . وأتمنى أن تصدق فرانسيسكا ما أقول . أعتقد أننى كنت نعم الخطيب بالنسبة إليها ... وكنت وفيًا لها ، وكنت قد قررت أن نحتفل بعقد قراننا فى القريب العاجل .

فرانسيسكا :

ولكن عندما حضرت سوزى ...

فريبوزى :

لا أنكر .

فرانسيسكا :

وكانت النتيجة هى اختفاؤك .

فريبوزى :

إذا كنت تسمين ما حدث كذلك ... ؟

فرانسيسكا :

والآن تتمنى لنفسك ولخطيبتك السعادة .

فريبوزى :

نعم ، فلحظة وصولى إلى هناك ، واستقرار الأوضاع ، وعندما يصبح كل شىء على ما يرام ، سوف أخطط للمستقبل بحكمة

ورجاحة عقل ... عندئذ سوف أرسل فى طلبها **(تظهر سوزى فى طاقة السفينة الموجودة فى الجهة اليمنى من الكابينة ولا يراها فريبوزى . يكمل حديثه عنها):**

سوف أطلب إليها أن تقف إلى جانبى .

سوزى :

أرنست ... أرنست . ولكننى الآن موجودة هنا ، وأقف إلى جانبك .

فريبوزى :

ما هذا يا إلهى ! ماذا تفعلين هنا يا طفلتى ؟

(يهرع إلى طاقة السفينة ، ويمسك بسوزى، ويسحبها إلى داخل الكابينة. يتعانقان) .

بوروكر :

لم يمنحنا القدر تلك الخاصية التى نستطيع بها أن نتبعك فى طريقك الضيق ، لأن هناك نوعًا من السمنة (نتمتع بها) تحول دون ذلك .

فرانسيسكا :

لنكن معه متسامحين ... يابوروكر ... ولنرافقه فى طريقه على متن هذه السفينة . وفى أثناء السير ، علينا أن نبدأ فى العد ببطء حتى... حتى كم ؟

بوروكر :

ثلاثمائة .

فرانسيسكا :

لا . حتى مائتين وخمسين فقط . وبعدها سوف نأتى إليهما مرة أخرى ، ونعرف ماذا حدث بينهما .

(يختفى بوروكر وفرانسيسكا ، ويغلق فريبوزى الطاقة) .

فريبوزى :

سوف نرى من الذى يستطيع أن يدخل إلى هنا من دون أن يستخدم الباب .

سوزى :

أرجوك ياأرنست . إنك تظلمهما .. دعنا جميعًا نجلس معًا، ونتناقش ونتحاور بعضنا مع بعض .

(تفتح سوزى طاقة السفينة) .

فريبوزى :

إذًا دعينا نسرع ، كى نتمكن من أن نتكلم معهما (يضغط زر الجرس) .

سوزى :

هل ستنادى المضيف ؟

فريبوزى :

من غيره ؟

سوزى :

لماذا تسرع هكذا ؟ إنهما يحسنان الظن بنا .

فريبوزى :

لا أشك لحظة واحدة فى ذلك . ولكن هذا لايعنينى الآن . أرغب من وراء ذلك فى أن أكون وحدى ، وبمفردى .

سوزى :

وماذا عنى ؟

فريبوزى :

أنت ؟ بك سوف أعبر أعمق أعماق حدود نفسى .

سوزى :

هذا ما أطلق عليه لفظ " أنانية " . أنت لا تحب التفكير الجماعى. ولا تفكر أبدًا فى حب الآخرين . لابد أن تتعلم القسمة . هذا هو أهم شىء فى الحياة ، ولاسيما عندما نتزوج ويكون لنا أطفال ، فلابد أن يتعلموا ذلك منك . ولكننى أخشى أنك لا تستطيع أن تتعلم ذلك ، أو تعلمه أطفالنا . ربما يصعب عليك ذلك . إنك ترغب فى الحصول على كل شىء وحدك ، ولنفسك ، وبمفردك . وتتمنى أن تحيا فقط لنفسك ، ومع نفسك . ماذا سيحدث وقتها لى ولأطفالنا . ألا تؤرقك هذه الفكرة أو تشغل بالك ؟

المضيف :

(يدخل ويقول) هل ناديتنى ؟

فريبوزى :

متى نصل إلى نيويورك ؟

المضيف :

فى الثامن والعشرين من هذا الشهر . وسوف تعزف الموسيقى.

فريبوزى :

ومتى ستسافر أول سفينة عائدة إلى أوروبا ؟

المضيف :

السفينة الفرنسية. وسوف يكون ذلك فى اليوم الثلاثين . ولن تغادر قبل أن تعزف المارشات العسكرية . وعندما تصل إلى أوروبا ، فسوف تُرفع الأعلام ، وتُستقبل الاستقبال الرسمى الحافل .

فريبوزى :

هل يمكنك أن تحجز مكانين باسمى، بالسعر نفسه الذى أتيت به إلى هنا .

المضيف :

سأجرى اتصالاتى مع شركات السياحة .

فريبوزى :

لك خالص الشكر !

(**ينصرف المضيف**) .

سوزى :

لماذا لا تصغى إلىَّ ؟ سوف توقعنا جميعا فى براثن التعس والألم .

(**تتجه ناحية طاقة السفينة وتنادى**) : ياسيد بوروكر ... سيسكا أرجوكما ... انتظرا ... ولتسامحنى يا حبيبى، إننى غير قادرة على مساعدة نفسى ... لا أستطيع العيش من دونهما ...

فريبوزى :

(**يقذف بها بعيدًا**) إذًا ، أنت تتحالفين معهما ... وتفعلين الأشياء نفسها التى يفعلها الآخرون . أخبرينى ... تكلمى (**يمسك بها ويهزها فى عنف . يظهر كل من بوروكر وفرانسيسكا . كل واحد منهما يظهر من طاقة مختلفة**) .

بوروكر :

ولكن يا صديقى العزيز ... أعتقد أنك على مستوى راق من الفكر، وعلى خلق عظيم . ولكن ما هذا الذى أرى ... ماذا تفعل بسوزى ؟

فريبوزى :

أخبرونى أنتم أولا ! ماذا تريدون منى ؟ فى البداية ، فرانسيسكا، ثم بعد ذلك سوزى ... إذًا لقد اتحد كل من الماضى والحاضر والمستقبل ضدى. ماذا تريدون منى ؟... أنتم ترغبون فى إفساد حياتى وتدميرها بالكامل ... إنكم تنزعون المستقبل من بين يدى ... ماذا يتبقى لى ؟ إننى لستُ أكثر من معلم وضيع . ماذا عن الطموحات والتطلعات التى يمكن أن يحلم بها ويخطط لها فى مستقبله ؟ أرجوكم .. أريد أن أعيش فى سلام ... أتمنى أن أحيا من دون منغصات ، يا سيادة المعلم بوروكر ! أتمنى أن أتزوج ، ياسيادة المعلم بوروكر ... أتمنى أن أنجب أطفالاً ... وأن أعيش فى وئام مع النفس ... أن أصبح إنسانا يمارس حقوقه بمعنى الكلمة . أتفهمنى ياسيد بوروكر ؟

إنسان ... إنسان !! (**يسحب مسدسًا**). والآن كفى ... لن أزعج أحداً بعد اليوم ، افعلوا ما شئتم - أنتم الثلاثة - بعيدًا عنى ... (**يهم بإطلاق الرصاص على نفسه**) .

بوروكر :

أعرف جيدًا أنك لن تفعلها .

فريبوزى :

سأفعلها ، لكى أتحاشى - على أقل تقدير - عذابات تنظيف الأسنان بفرشاة مشتركة بيننا .

بوروكر :

من يدرى ؟ ... من يدرى ؟

فريبوزى :

هل الرعاية الصحية ، والاهتمام بالنظافة يلعبان دورًا كبيرًا عند الصعود إلى أعلى (**يقصد بعد الموت : المترجمة**) . شىء يثير الضحك .

بوروكر :

هذا الرجل الطيب يرغب فى الفرار ... يمكننا أن نطلق عليه لفظ: " الهارب الصغير " .

فريبوزى :

إننى الأحمق الذى يرغب فى الهجرة . واعتقدت أننى قادر على ذلك ، حتى وإن فعلت ذلك من دون الحصول على تأشيرة دخول، ومن دون السماح لى بذلك من قبل وزارة الصحة . وربما تكون أفضل طريقة فى حالتى للهجرة هى (**بانج**) (**يقصد إطلاق الرصاص على نفسه : المترجمة**) وبهذا ينتهى الفيلم. (**يرفع المسدس ويتهيأ لإطلاق الرصاص**) .

بوروكر :

والآن أرجوك ... استمع إلىَّ ولو مرة واحدة... يا صديقى العزيز .. قبل أن تصوب هذا السلاح البشع إلى رأسك ، لكى تنهى ما تسميه بالفيلم .

فريبوزى :

لا بأس .. لا أستطيع أن أرفض كلمة أخيرة تريد أن تسمعنيها والآن هيا !

بوروكر :

أتوجه إليك بنصيحة بسيطة ... إذا كنت حقًا ترغب فى الانتحار ، فلا تفعل ذلك بقطعة الحديد هذه ... فهذه الطريقة متبعة منذ عشرات السنين ، إلى درجة أنها أصبحت من الأشياء المستهلكة، والمعادة ، والمكررة ... إنها تستخدم منذ أيام " Werther " فيرتر **(يقصد رواية الآم فيرتر التى كتبها المؤلف الألمانى يوهان فولف جانج فون جوته : المترجمة) .**

هناك عديد من الطرق الأخرى التى تستخدم فى الانتحار، مثل الشنق ، والطعن ، والأقراص ، وكذلك بالحقن من طريق حقن الهواء . ولكن أنصحك باختيار الطريقة التى تبدو طبيعية، ولا تلفت الأنظار إلى كونها طريقة انتحار . إن أبسط الأفكار عن الانتحار لا تأتى أبدًا على ذهن المتعبين واليأسين من العيش فى الحياة أو التكيف معها . أقولها لك بصراحة : إن أحدث طريقة للانتحار وأفضلها من وجهة نظرى هى أن تبقى على قيد الحياة ... فهذه أسهل طريقة للانتحار... هل تفهم قصدى ؟!

فريبوزى :

(بصوت خفيض) : نعم !

بوروكر :

والآن ! اقذف بهذا المسدس فى عرض البحر . هذا هو المكان الحقيقى له .

فريبوزى :

(يلقى بالمسدس فى عرض البحر ، ثم يقول) : إنك تهيمن على حياتى كلها ، وتفعل معى ما يحلو لك .

بوروكر :

هيا .. والآن أعطنى فرشاة أسنانك .

فريبوزى :

هل تحتاج إلى المعجون أيضًا ؟

بوروكر :

بالتأكيد ... وأيضا أحتاج إلى كوب من الماء ، وأشكرك على ذلك كثيرًا جدًا .

فريبوزى :

(**يناوله ما طلب إليه، ثم يقول**) : إنه النوع القديم نفسه: "كلورومينت" .

بوروكر :

نعم ... هذا يزيد من سعادتى ... والآن ، عزيزتى سوزى ... لماذا إذًا كل هذه الخلافات والصراعات . (**ينظف أسنانه**) .

سوزى :

إنه يود العودة إلى أوروبا ... لقد حجز مكانين لنا على متن السفينة العائدة إلى أوروبا .

فرانسيسكا :

هذا هو فريبوزى دائما!

بوروكر :

وما العيب أو الضرر من وراء ذلك ... إن أوروبا مازالت تتمتع بجمالها وفتنتها ... وعلينا أن نصطحبه فى رحلته إلى هناك .

سوزى :

ولكنه يفضل العودة بمفرده .

بوروكر :

هل حقًا هذا رأيك ؟ أترغب فى أن تترك سوزى الصغيرة الرقيقة هنا بمفردها ؟

فريبوزى :

إن كل شىء يقلب إلى ضده إننى أرغب فى اصطحابها معى فى أثناء عودتى إلى أوروبا ، هى وحدها ... فقط .

سوزى :

ولكننى لا أستطيع اصطحابك بمفردى من دون فرانسيسكا أو السيد بوروكر .

بوروكر :

عليك إذًا أن تقررى ما تختارين ، وسيكون بلا شك اختيار صعب يا فتاتى ، يا طفلتى الحبيبة .

سوزى :

لقد قررت . سأبقى معكما !

بوروكر :

(يقول وهو يناول فرانسيسكا الفرشاة والمعجون) :

أرجوك يافريبوزى أن تملأ الكوب بالماء مرة أخرى ، يا صديقى العزيز المأسوف عليه .

سوزى :

ولكن سأملأ الكوب بنفسى ... ويجب عليك أن تخجل من نفسك ومن تصرفاتك يا أرنست .

فريبوزى :

أنا ؟ أنا الذى يجب عليه أن يخجل من نفسه ؟ كيف بالله عليك ؟

فرانسيسكا :

ربما يعتقد أنه ينبغى لنا نحن أن نخجل من أنفسنا .

سوزى :

لقد بالغ السيد بوروكر فى الاهتمام بإعداد كل شىء من أجلنا ... حتى بالنسبة إليك ... لقد أصبحنا أثرياء الآن ... والأبواب كلها مفتوحة أمامنا ... والمستقبل السعيد بين أيدينا .

بوروكر :

لا تصدق .. إن سوزى الصغيرة تبالغ بعض الشىء ... ولكننى سأسرد لك القصة فى سرية تامة. أمازلت تتذكر ذلك المخترع، وقصته البسطية عن الأنسجة والألياف الصناعية ... هذا المخترع أجرى اتصالاته ليستعلم عن أحوال السوق فى هذا المجال تحديدًا . ولكن هذا فى ذاته لا يكفى ... إن السيد" بورين " صديق لنا نحن الاثنين ، إنه رجل الأعمال الهولندى . لقد تعَّرف على الفور أن الخيوط المستخدمة فى فرشاة الأسنان من نوع " الفريلون "؛ ولذلك نسبنا هذا الاسم إليك أنت يا صديقى العزيز ... لأن هذا النوع من النسيج من أفضل الأنسجة التى تستخدم فى عمل فرش الأسنان . وبعد وقت قصير سوف تباع فقط فرش الأسنان المستخدم فيها هذا النوع من الأنسجة . ولن ننظف أسناننا بشىء سواه ، لأن الفريلون يحافظ على صحة اللثة ، وكذلك يعمل على عدم تلف الأسنان . كما أنه يشعرنا بالسعادة ، وسيصبح هو كل شىء فى حياتنا ، إلى درجة أننا سوف نستخدمه كقَسَم عندما نرغب فى أن نقسم على شىء .

فريبوزى :

ولكن ما شأنى أنا وهذا كله ؟ لستُ من رجال الصناعة كما تعلم ، إننى معلم ومربى - وكل عملى ينصب على تربية النشء والجيل الجديد، واعنى بهؤلاء : الذين لم تكتمل شخصيتهم بعد - وفى حاجة إلى رعاية وتقويم . ولكن أخبرنى ، هل ترغب فى الإطاحة بوظيفتك ومهنتك كمربٍ ومعلم ؟ افعلها إذًا بعيدًا عنى .. أما أنا فلن أقدم على ذلك أبدًا .

بوروكر :

ألا تلاحظون درجة الحماسة التى يتكلم بها ... آه ما أجملك !

فرانسيسكا :

انتظروا واستمعوا إلى بقية القصة . سوزى تفضلى !

(تناولها فرشاة الأسنان والمعجون ، وكذلك كوب الماء) .

فريبوزى :

حتى أنت ياسوزى ؟

سوزى :

نعم ، كما ترى بالضبط **(تنظف أسنانها بالفرشاة نفسها)** .

بوروكر :

هل أصابتك الدهشة من انضمام سوزى إلينا بهذه السرعة ؟ إنك تعرف جيدًا أن هذا يزيد من سعادتنا ، وبذلك سوف تتسع دائرتنا .

فرانسيسكا :

فلتخبره إذًا عن المال .

بوروكر :

هذه هى خطتنا : الوسائل عديدة ، ولدينا مصادر لا حصر لها للحصول على المال . وهذا يسمح لنا بطبيعة الحال ألا نعتمد على دعم الدولة ، أو الحكومة ، أو الكنيسة، أو أية مؤسسة أخرى . فلقد حصلنا على المال بعرق الجبين . ورُزقنا به هنا فى الولايات المتحدة . وأصارحك القول : إذا كنت ترغب فى بناء مدرسة فى أوروبا ، فى بلدنا القديم ، عليك فقط أن تخبرنا أى نوع من المدارس ترغب فى التخطيط لبنائه .

فريبوزى :

هل هذه هى فكرتنا السابقة ؟

بوروكر :

بكل تأكيد !

فريبوزى :

أن تتكون مجموعات كبيرة ؟

بوروكر :

قلت لك ذلك مرات عديدة ... نعم ... نعم ... نحلم بتكوين جماعات كبيرة من البشر ... ويحلم الجميع بذلك ... ولقد كان يحلم بهذه الفكرة من قبل الأدباء والفلاسفة ، من أمثال ريبلياس ، وروسو، وحتى بيستالوزى . ويجب ألا ننسى جوته فى هذا الصدد؛

لأنه تزعم فكرة التبادلات المزدوجة ... دائما أبدًا ... ودائمًا من جديد .

فريبوزى :

ومـاذا عنا ؟ ... هل لدينا الوسائل الفكرية التى نستطيع بها أن نقارن أنفسنا بهؤلاء الكبار ؟

بوروكر :

على أية حال ، لا ينبغى أبدًا أن تقلل من شأنك أو من قدر نفسك . إننا الآن نمتلك المال الوفير ... رأس المال الذى نستطيع به أن نحقق الخطط كلها ، ونجعلها حقيقة ملموسة وواضحة المعالم . يافريبوزى العزيز ... أرجوك ... ابق معنا . ودائما معنا، وقريب منا، وساعدنا على تحقيق أحلامنا وخططنا .

(تصفق كل من فرانسيسكا وسوزى استحسانا . تناول سوزى فريبوزى الفرشاة والمعجون وكوب الماء) .

سوزى :

والآن ... أرجوك يا أرنست ... ليس هذا بالأمر الصعب أو العسير... كما تتخيل أنت ... إننا جميعا بصحة جيدة . إن الصديق الوفى بوروكر يؤكد لنا هذه الحقيقة كل يوم من جديد . ما الذى يجعلنا نشعر بالحرية ونستمتع بها ؟ " إنها الرعاية الصحية " . والآن لا تمتعض هكذا ياأرنست . والآن أبدأ فى العد إلى عشرة، وإذا لم تكن قد ...

بوروكر :

ولكن ببطء ... يا عزيزتى ... نحن لا نرغب فى أن يشعر أننا نبتزه.

فريبوزى :

(يأخذ بيطء فرشاة الأسنان والمعجون ، ثم يقول)

كثيرًا ما سافرت إلى هنا وإلى هناك، ولكننى الآن أرغب فى الهجرة إلى أمريكا ... وسوف أتنازل قبلها عن كل شىء ، وعن العلوم كلها التى تعلمتها فى حياتى ، وعن أصدقائى ورفاق الحياة كلهم... هذا كله سوف ألقى به فى البحر قبل وصولى إلى هناك ... الآن أقف بمفردى ... ولا يرافقنى فى مشوارى سوى فرشاة الأسنان . لا أدرى كيف أن كل هذه التغيرات التى تحدث لى تجعلنى أشعر باليأس والحزن . والآن أتمنى من أعماقى أن أسمع منك كلمة تعضدنى ، وتزيد من قوتى ، وتشد بها أزرى .

بوروكر :

أحقًا ترغب فى سماع قولى .

فريبوزى :

إنك تحتفظ بكثير من الآراء والأقوال العظيمة.

بوروكر :

هل ألقى عليك قصيدة ؟ ما رأيك ؟

فريبوزى :

سأستمع إلى ما تقوله .

بوروكر :

أو أقص عليك شيئًا من قصائدى وأشعارى ؟

فريبوزى :

هل أنت شاعر ؟

بوروكر :

ألقى شعرى فقط فى الجماعة التى أنتمى إليها من الأصدقاء.

(يخرج ورقة من جيبه) .

فريبوزى :

وكيف أصبح واحدًا من هذه المجموعة من الأصدقاء ؟

بوروكر :

فى الحال ستنضم إلى هذا الجمع ، وتصبح واحداً منهم . ينشد قصيدته التى يقول فيها :

صديقى وزميلى العزيز فريبوزى

الذى يمتلك من الأسنان اثنين وثلاثين سِّنة

يهتم بها وينظفها يوميا ، سنة تلو الأخرى

وعندما يرفع الفرشاة وتنفرج الشفتان

تظهر من بينهما أسنان بيضاء اللون

إنه رائع هذا الإنسان

إنه رائع هذا الإنسان .

(فى هذه الأثناء يغمض فريبوزى عينيه ، وينظف أسنانه ، فى حين ينظر الآخرون إليه) .

يسدل الستار


Bibliotheca Alexandrina
06668978